

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا

نَقَّبَسْنَا مِنْ تَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ

فالتمسوا نورا

فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ

قَبْلِهِ الْعَذَابُ

جمع وترتيب

الخادمة لكتاب الله وأهله الموصلية

صبرية يحيى عموري

أم نصير

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م

اسم الكتاب

فالتمسوا نورا

جمع وترتيب

الشيخة الموصلية

صبرية يحيى حمودي (أم نصير)

عدد الصفحات : ٤٥٢ صفحة

حجم الكتاب : ٢٥ x ١٧ سم

الطبعة : الأولى

سنة الطبع : ١٤٢٩هـ - ٢٠١٨م

جميع الحقوق محفوظة

للمؤلف

تنسيق طباعي : كرم الفارس

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق

الوطنية (١٦٧٩) لسنة ٢٠١٨م



الوسام

للطباعة والاستنساخ

موصل - شارع النجفي - عمارة الشبخون

موصل - المجموعة الثقافية - الفرع الأول بعد النفق

٠٧٧٠٢٠٤٣٨٨٠ - ٠٧٥٠١٧٤٤٠٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ... والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد :

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحديد: ٩ .

لو تأملنا في هذه الآية الكريمة التي بدأت بكلمة (هو) أي الله سبحانه وتعالى، ربنا، خالقنا، ورب جميع العالمين وهو المعبود ليس لنا معبوداً سواه و (لا إله إلا الله) عندما نقولها بشروطها وهو العلم بوجود الله أي إن الله واحد أحد لا إله إلا هو. كما قال تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ محمد : ١٩ قولاً باللسان وموضعاً في القلب وأن يكون لديك يقين بالإيمان بالله من دون شك أو ارتياب وأن محمداً عبده ورسوله ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ الحديد: ٩ .

فعبد الله ورسوله هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وهاشم من قريش وقريش من العرب والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

ويكون الإيمان الراسخ من دون شك ولا ارتياب في أن الله واحد أحد وأن محمداً عبده ورسوله ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ الحجرات: ١٥ .

ويكون الإيمان هذا خالصاً لوجهه الكريم ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ البينة: ٥ .

عن عِثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ " [صحيح البخاري . كتاب الصلاة]

﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٢ - ٣

هذه العلامات الإيمانية من العلم بالله واليقين والإخلاص والصدق لا تتأتى إلا بمحبة الله ورسوله الكريم ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قَالَ : " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَى فِي النَّارِ " [صحيح البخاري . كتاب الإيمان]

فالعقيدة المسلم راسخة لا تتزعزع أبداً والانقياد إلى الله من شروط العقيدة الصالحة ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ الزمر: ٥٤

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ النساء: ١٢٥

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى على عبده رسول الله ﷺ القرآن الكريم هدىً ورحمةً للعالمين، فيه آياتٌ بيناتٌ واضحاتٌ لتخرج الناس الضالين من الظلام الحالك إلى نور الله الواضح الذي أنار به الكون والكائنات، وبين لنا فيه ما ينفعنا وما يضرنا وهو دستورنا الذي وضعه رب العزة لنا لتستقيم حياتنا ونهتدي إلى صراط مستقيم صراط الحق المبين، الطريق الذي لا عوج فيه .

هذه الرسالة الربانية التي أرسلها لنا بواسطة نبينا محمد ﷺ لنقرأها ونستدرکها ونرتلها ونحفظها في قلوبنا ونعمل بها....نعم نعمل بها. لان فيها أوامر ونواهي وفيها أحكاماً وشرائع وفيها مواعظ وأخلاقاً وفيها قصص الأمم السابقة فهلاً تدبرناها.....

إخوتي أخواتي أبنائي بناتي أسألكم وأصدقوا القول مع الله ثمّ معي. لو وصل إلى أحدكم رسالة انترنت أو بالموبايل في منتصف الليل أتقوم من منامك وتشعل الضياء لتقرأ ما وصل إليك مرة أو مرات لتفهم معناها وما تحوي من كلمات إن كانت من صديق أو أخ أو حبيب أو والد أو أو أو

نعم سوف تقرأها ولو كنت متعباً وتقوم من منامك وترد على هذه الرسالة وتفكر فيها وإذا كانت فيها أوامر من رئيس أو مرؤوس فإنك سوف تمتثل لهذه الأوامر، وإلا سوف يحاسبك وربما أستقطع من راتبك وربما فصلك من العمل إذا لم تأتمر بهذه الرسالة.

هذه رسالة من بشر له سلطة عليا وهو رئيسك في العمل تخاف منه وتحسب له ألف حساب.

فكيف لا تخاف ربك وتحسب له حساب الدنيا والآخرة وهو خالقك ومربيك ورازقك والمنعم عليك بهذه النعم العظيمة التي لا تعد ولا تحصى، فالخوف منه أحق من أن تخاف غيره.

أرجو أن تفكر ملياً عدة مرات وتعيد النظر في حياتك وتعود إلى الصواب لتقرأ هذه الرسالة الربانية وتعرف ما فيها من الآيات والحكم والأوامر والنواهي وتعمل بها قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى

النَّاسَ سُكَّرِيٍّ وَمَا هُمْ بِسُكَّرِيٍّ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الحج: ٢

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ

﴿فألتمسوا نورا﴾ الحديد: ١٣

فألتمسوا هذا النور المبارك الذي أنزله الله علينا وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

أردت في هذا الكتاب الذي أسميته (فألتمسوا نورا) أن أقتطف به آياتٍ بيناتٍ ومواعظٍ وآداباً وأخلاقاً وعقائدَ وأوامرَ ونواهيَ وتوصياتٍ من الله تعالى مع شرحها شرحاً مبسطاً جمعتهُا من كتب التفسير لشيوخنا الأفاضل المفسرين الوارد ذكرهم في المصادر حتى تحفظ وتقرأ في الصلوات إذ لم تكن قادراً على حفظ القرآن الكريم كله.

إقرأها، إحفظها، تدبرها حتى تكون لك نوراً في الدنيا والآخرة قبل أن يضرب الله بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

هذا الباب الذي يفصل بين المنافقين والمنافقات وبين المؤمنين والمؤمنات.

اللهم اجعلنا من الذين آمنوا والتمسوا هذا النور المبارك وأجرنا من نار جهنم جميعاً. وأنت قلت وقولك الحق ﴿ادْعُوِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وها نحن ندعوك فاستجب لنا يا رب ، إنك ولي ذلك والقادر عليه ...

الخدمة لكتاب الله

صبرية يحيى حمودي

(أم نصير)

٢٠١٤ - ٢٠١٥ م

١٤٣٥ - ١٤٣٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الكريم المنان ، ذي الطول والفضل والإحسان ، الذي هدانا للإيمان ، وفضلَ ديننا على سائر الأديان ، ومنَّ علينا بإرساله إلينا سيدَ الأكوان ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فمحا الله به عبادة الأوثان ، وأكرمه بالقرآن ، المعجزة التي تحدى بها الإنس والجآن . وأفحمَ بها أهلَ البلاغة والفصاحة والبيان ، وجعلهُ ربيعاً لقلوبِ أهلِ البصائر والعرفان ويسرَّهُ للذكر حتى استظهرهُ صغار الولدان وتعهَّدَ بحفظه من كل تغيير أو تزوير أو بهتان ... قرآنٌ ختمَ الله به كتب السماء ، وأنزلهُ على نبي هو خاتم الأنبياء ، وبدين خاتم الفعم الانتهاء ، قرآنٌ جعلهُ الله نعمةً ورحمةً للأمة الإسلامية .

قال تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّتِ فِي

ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ العنكبوت: ٥١

قرآنٌ هزَّ الوجود وخشعَ له كلُّ موجود ، والآيات على ذلك شهود : ﴿ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ المزل: ٥ ، قرآنٌ جعلهُ الله روحاً تتوقف عليه الحياة الحقيقية وبدونه يموت قلب الإنسان : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى: ٥٢ .

أما بعد ..

فقد اطلعتُ على كتاب الأخت الفاضلة (أم نصير) الموسوم بـ ((فألتمسوا نوراً)) ووجدتُ فيه تفسيراً لآياتٍ مختارةٍ من القرآن الكريم ، وقد أجادت المؤلفَةَ في حُسن اختيارها لهذه الآيات وشرحها وعرضها بتبسيطٍ

وتفصيلٍ جميلٍ وشيقٍ واسلوبٍ كثيرٍ المعاني قليل المباني مما يدعو القاري إلى النظر والتأمل والقراءة بشغفٍ من غير ملل ولا كلل ، وقد خاطبت الجميع من خلال هذه الآيات خطاباً يستهوي القلوب ، وينير الدروب ، وهي بذلك تدعو إلى التماس نور هذه الآيات وجعلها واقعاً عملياً يظهر على السلوك من خلال اتباع أوامر ونواهي ربنا وخالقنا.

وقد قرأتُ الكتابَ من أوله إلى آخره ووجدتُ فيه جهداً عظيماً وعناءً بيناً لا سيما وقد استخرجتُ من بحر القرآن اللآلئ والجواهر والمرجان .

وهذا الكتاب جديرٌ بالطبع والنشر وأنا أدعو الأخت الفاضلة (أم نصير) لبذل المزيد والمزيد في مثل هذه المواضيع ، والله أسألُ أن يوفقها في كتابها .. وينفع به المسلمين .. وأن يرزقها الصديق والأخلاق والقبول آمين ... وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الشيخ عباس فاضل حسن

إمام وخطيب جامع صلة الأرحام

٩ عرفة / ذو الحجة / ١٤٣٧ هـ

١١ / ٩ / ٢٠١٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ الكهف: ١

الصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد سيد العرب والعجم محمد بن عبد الله المبلغ عن الله والذي يقول فيه سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَنُلْقِي الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ النمل: ٦

لقد وافقتي أختي الكريمة ((ام نصير)) بكتابها المعنون ((فالتمسوا نورا)) ومن ثم سرحت النظر فيه وأجلت الفكر في ثناياه فالفيتة سِفراً لا غنى للعالم فيه ولا مندوحة للمبتدئ عنه إذ طوّفت الباحثة في كتاب الله وساحت عبر سطره والتقطت الدرر النفيسة من بحاره الزاخرة وكشفت الاصداف فإذا بها ترنو الى لآلى لماعة جاذبة الأبصار أينما رُحِت تستقرئ تلك الكلمات المصوغة بعبارات الفصاحة والمعاني البلاغية القرآنية التي لا تتأتى إلا للعلي الأعلى منزل ذلك الكتاب لذلك أكد الأديب مصطفى صادق الرافعي الحقيقة (رحمة الله عليه) حين قال في الكتاب العزيز ((آيات منزلة من حول العرش الأرض بها سماء هي منها كواكب)) .

اجل لقد دبجت الاخت الكريمة اسلوبها ببسر وسهولة بعيداً عن التقعر والغموض اللفظي كما انها جنفت عن ابراز الاختلافات في المعاني حتى لا يضيع القارئ في متاهات الاجتهاد ذات الشخصية التي اوردها كثير من المفسرين أثابهم الله لكي يقف القارئ على وحدة المعنى ولا تتعرج به السبل فيفهم معنى ويغيب عنه معنى آخر او يهضم عبارة وتلتبس عليه أخرى وحين يعدل عن ذلك يكون مساره القرآني مستضيئاً بسمة الوضوح الذي لا تضطرب به

الخطى ولا تلتبس عليه الآراء المتشعبة وبذلك يكون على هدى في التدبرِ ورسانةً في التفكير وعلى ضوء ذلك يحصل المقصود ويُجتنى الثمر المرجو.

هذا هو القرآن وهذه هي معانيه البلاغية وعباراته البيانية التي غلبت أرياب الفصاحة وأعيان البيان ورحم الله الشاعرَ حافظ إبراهيم حين قال في اللغة العربية.

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آي به وعظات

وما المح به الشاعر هو أنّ القرآن العظيم الذي لولاه لتاه أصل اللغة بين العجمة والبطانة ولكن الله سلّم ، جزى الله اختنا الكريمة ((أم نصير)) على هذا الاهتمام بكتاب الله والهيام به وارجو أن يكون ذلك ذخراً لها يوم لا يكون الذخر إلا بحب الله ورسوله وكتابه والتمسك بأهداب هذا الكتاب وسنة رسوله الناطق بالصواب .

الحادي عشر من محرم الحرام سنة الف واربعة مئة وسبع وأربعين الموافق الثاني عشر من الشهر العاشر سنة الفين وست عشرة للميلاد.

وعد الله إبراهيم الشيخ ظاهر

المشرف الاختصاصي الاول على اللغة العربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمد الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وأُصَلِّي وأُسلِّم على مُعلِّم البشرية وهادينا النَّبي الكريم محمد وعلى آله وصحبه الميامين الاخيرار .

الاسلام دين الفطرة ، ما من نظام يُعالج الفطرة كما يُعالجها الاسلام، والمؤمن لا تُفْتَح مَغَالِق فِطْرَتِهِ الا بمفاتيحِ الله واذا ما التمسنا نورَ منهجِ الله نجدُ مفاتيحَ كُلِّ مُغلَقٍ وشفاءَ كُلِّ داءٍ .ومعرفته تعالى والالتجاءُ اليه والاطمئنانُ عنده من امثال الفطرة السليمة التي عاهد الله عليها بني الانسان، واخذ منهم الميثاق .

ومن المعاني الاخلاقية الاسلامية وقيمها الروحية الايمان الصالح والمُنْتَفَح على روح المؤاخاة حيث لا حياة لفكر دونها ، ومن مُنطلق التَأصيل، قول الكلمة، اضاءة نور الوحي الالهي وصياغة عقول المسلمين، واستيفاء مقتضيات التحولات الشاملة ، وتجديد اوعيتها التبليغية - عقديّة، فكرية ، معرفية لتضاهي القوة الفاعلة للمفاهيم المعاصرة ، ويتحقق هذا باعداد مشروع شامل تدعمه الفاعليات وتمده الطاقات مشروع دعوي تروي سهل التنفيذ والتطبيق غايته تجديد وتعزيز هذه المفاهيم في نفس الفرد والمجتمع قريب من فضاء القران الكريم في بحر جماله النوراني البهي ((فآآمسوا نورا)) بالتوجه الى الله مخلصين له الدين ؛ ويتطلب وجود نموذج او شاهد الرشد وهو معنى القدوة الذي يتوجب تعميق تعلقنا بها.

وكم كان شوقنا كبيراً ونحن نرى صدور اعمال الشيخة الجليلة فسارعنا شوقا الى فحصها وثبتنا بالدليل ما عظم من مزاياها التي تناسب مقتضيات الممارسة اليومية ، فايّة دراسة حينما تكون دقيقة وامينة تاتي النتائج اكثر صحة وسبحان الله القائم على مجريات الامور -صغيرها

وكبيرها - سرّها وعلانيتها - قائم على شؤون عياله الذين خلقهم يعولهم يعينهم يسمعهم ويصّرهم فلا كلمة تُقال دون ان يسمعها ، او همسةً دون ان يدركها او نظرةً دون ان يبصرها أو فكرةً تخطر على بالٍ دون ان يعلمها ، كلّ شيء يخضع للاستجلاء له سبحانه وثمره الايمان الغراء شريعتنا لا تقوم وحدها بغير اصلها الكبير ذلكم هو التكامل والتناسق بين سنن الكون والقيم الايمانية وليسيع تصويره على الاخوة بالله التي من اعظم نعمه علينا بعد نعمة الايمان والهداية برابطتها الاقوى من رابطة النسب بالعلاقة المتينة الراسخة علاقة الدين بالخيرات، فيها امتثال لامر الله ، سمعٌ ، طاعةٌ ، رضاً بما ارتضاه ، لتصغر الى جانبه الاحقاد ، الثارات ، الاطماع ، العنصرية ، ويجتمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال نلتمس من كل هذا نورا ، بهذه المساهمات الكريمة المتكاملة والفعاليات الجليلة حرّكت الرسالة وعي كلّ فطن مؤمن وبالاسلوب الجهادي الدعوي المتجذر المتجدد فتحت قلوبنا الى توجه الاسلام والمسلمين العلمي ، الثقافي ، الروحي ، التربوي، التوجه الموصوف باكبر من ان تسجله الترجمات الموجزة والاشارات المتفرقة ، فمن القران ومن الرسالة الى العمران ، عمران الانسان ، عمران الدنيا ، عمران الآخرة ، ومن كلّ نلتمس نورا ، توجهٌ يحيل المؤمن الى تصور كاملٍ شاملٍ رفيعٍ يجعله في مرتع زكيّ ، مرتقى عالٍ تصور الانسان وحركته والكون المتناسق الجميل الذي ابدعه الله سبحانه ، والنشأة للانسانية الممتدة في شعاب هذا المدى ، كلّ يطمئن الى رحمة الله ، وعدله ، وحكمته ، يتجه اليه في روحٍ كلها خشوعٌ يستشعر راحتَهُ وانسه. كلّ هذا الكوثر يفيض على القلب ومن فيضه يلتمس المؤمن نورا.

والقران المجيد فيه ايسر وسائل التربية الالهية ، فكم من ابٍ وامٍّ تعبوا وراء السراب بحثا عن منهجٍ قويم لتربية الابناء والبنات وربط العلاقات الاسرية والاجتماعية القائمة على التعاطف والتوادد والتراحم مما يعطي للحياة داخل المجتمع الاسلامي معنىً جميلاً. وان معاني الآيات السامية حاضرة في كل حالة من حالات النفس البشرية لتوجه نظر الانسان ، طاقاته ، استعداداته ، قوته ، ضعفه ، حالاته المتغيرة يتلقاها هادئ النفس ، مطمئن السريرة ، قدير العين يتلقاها بسهولة ايمان المؤمن بالله وبرسوله الكريم ، ومعرفة اليوم الاخر والايمان به باخلاص العبودية لله وحده ، التوبة ، الاستغفار ، الصدق ، العدل ، الصبر ، الاحسان لترتفع به الى اقصى درجات كمال الطرق الصاعدة الى الله تعالى.

ألست تريد ان تلتمس نورا ؟ الرسالة الكريمة بين يديك فعليك بمعانيها ، من منهج كتاب الله منهج الوحي الالهي منهج القران العظيم اجعله صاحبك ، رفيقك طول عمرك وفرصةً منقذةً لك ودونك المصاحبة لكتاب الله رسالة ((فألتمسوا نورا)) بهذا الزمان منهج من نبض قلب المؤلف وناظرها وكفى بها مائدة للروح وطريقاً للهدى ، جاعلة معاني القران فينا ملء السمع ، ملء العين ، دقة التدبر وشوقه.

((اطرق باب المسجد تجد وجه الله))

ادخل فضاء القران تسمع كلام الله))

الا ايها اللبيرة....واللبيب ((فألتمسا نورا)) .

يطهر الخواطر يطرد غشاوة التضليل عن البصائر لتستقيم الاسرة على مفاهيم الاسلام وعلى مواحيد الايمان وقيم الدين والتخلق بجماله وانواره وذلك بما اتبعوا من نور الله العظيم وكفى منه ان ((فآآتمسوا نورا)) .

فالحمد لله الذي انزل الكتاب المبين، له الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه حمدا كثيرا طيبا على واسع فضله وجميل احسانه اساله سبحانه وتعالى من واسع فضله وعظيم ثوابه وارجو ان ينفعني به والمسلمين انه هو الحق المبين وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد
وعلى آله وصحبه الغر الميامين

الاستاذ / حازم شاكر مصطفى
ماجستير في اللغة العربية والعلوم الاسلامية
المشرف الاختصاص التربوي
في اللغة العربية والتربية الاسلامية

القول في آية التسمية وبيان نزولها

عن الضحاك ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أول ما نزل به جبريل على

النبي ﷺ قال : يا محمد استعذ ثم قل : ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)) .

ذكر بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا لا نعلم فصل بين السورتين حتى أنزل

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : نزلت ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))

في كل سورة . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

* * * * *

فاتحة القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ

﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ

الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ الفاتحة: ١ - ٧

في معنى الحمد : اللام في قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ هي لام الاستحقاق والاختصاص ، بمعنى أن الله تعالى وحده هو الذي يستحق الحمد من عباده ، وأن الحمد خاصٌّ به وحده جلّ وعلا كما ذكره النحويون والمفسرون ، والتفسير خاص بالله وحده مستحقّ لله واجب ثابت لله تعالى ولا يجوز لغيره ، أما العبد فيشكر ويمدح على ما فعل من خير ولا يحمد، والشكر جائز للعبد كما هو واجب لله تعالى ، فانه يحمد ويشكر، والعبد يشكر ويمدح ولا يحمد ، جاء في الحديث الشريف ، عن أبي سعيد، قال : قال رسولُ الله ﷺ : "من لم يشكرِ الناسَ لم يشكرِ الله" [سنن الترمذي الجامع الصحيح . كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ] ، ولم يقل: من لم يحمد الناس .. لأن الحمد خاص بالله وحده ولا يجوز لغيره ، لذلك هدد الله تعالى الذين يحيون أن يحمدوا ولا سيّما حين يحيون أن يحمدوا بشيء لم يفعلوه فوعدهم بعذاب أليم ، قال تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ آل عمران: ١٨٨ ، وقد ورد عن عمر بن عبد العزيز ﷺ : أن أرملة جاءت إليه ومعها خمس بنات لها تذكر حاجتها وتطلب العون والإنصاف فأخذ يسألها عن اسم كل بنت منهن ، وكلما ذكرت اسماً قال : فرضنا لها كذا

من الشهر ، فنقول: الحمد لله رب العالمين ، وهكذا حتى ذكرت الخامسة ولمّا فرض لها عطاءً قالت: حمداً لك يا أمير المؤمنين ، فظهر على وجهه الإنكار وعدم الرضا عمّا قالت ، قال : لن نفرض للأخيرة الخامسة شيئاً لأنك أوليت عند عطائها الحمد لغير أهله ، أو ما علمت أن الحمد لله؟ وزعي عطاء الأربع على خمس ، واحمدي الله وحده لا شريك له إنما أنا عبد أجير بين يديه أوزع على عباده من فضله وكرمه ونعمه وعطائه ما هو حق لهم قال تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص: ٧٠ وقال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ سبأ: ١٠ .

[الحافظ المتقن]

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداجٌ ثلاثاً ، غير تمام " (ومعنى الخداج الناقصة) ، فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام ، فقال : إقرأ بها في نفسك ، فإنّي سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " قال الله تعالى : قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل ، فإذا قال العبد : (الحمد لله رب العالمين) قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله تعالى : أثنى عليّ عبدي ، وإذا قال : (مالك يوم الدين) قال الله : مجّدي عبدي . وقال مرةً فوّض إليّ عبدي . فإذا قال العبدُ : (إياك نعبدُ وإياك نستعين) قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل ، فإذا قال العبدُ : (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : هذا لعبي ولعبي ما سأل " [صحيح مسلم. كتاب الصلاة]

قد حوت سورة الفاتحة (المكية) ، معاني القرآن الكريم ، واشتملت على مقاصده الأساسية بالاجمال ، فقد تناولت العقيدة والعبادة والتشريع والاعتقاد بيوم القيامة والإيمان بصفات الله الحسنى وإفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء بالهداية والاستقامة وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين إلى غير ما هنالك من

مقاصد وأهداف ... كالأم بالنسبة لبقية السور الكريمة ولذا تسمى (أم الكتاب) لأنها جمعت مقاصده الأساسية.

تفتح جميع سور القرآن الكريم [بالبسمة] ماعدا سورة التوبة، تيمناً بسم الله مصدر الانعام والبركة وتنبهياً للناس ان هذه السورة أنزلها الله برحمته وفضله لهداية خلقه. كذلك تُذكر طاعةً لأمره جل شأنه فقد أمرنا بذكر اسمه في مناسبات

كثيرة كقوله : ﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الإنسان: ٢٥

وقوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الأنعام: ١٢١

وقوله : ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ الكهف: ٢٤

والمراد [أبتدئ وأتيمين في قراءتي أو عملي بسم الله الرحمن الرحيم] مستمداً العون والقوة منه وحده.

عن أبي سعيد بن المعلى قال : قال لي رسول الله ﷺ : " أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ " فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج قلتُ يا رسول الله إنك قلت : لأعلمنك أعظم سورة في القرآن ، قال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أُوتيتهُ " [صحيح البخاري . كتاب فضائل القرآن]

الحمد والثناء لله وحده الذي يدبر أمر المخلوقات وهو أعم من الشكر الذي لا يكون إلا مقابل نعمة واحدة ويكون الحمد بالقلب (الإيمان والتصديق بالله) واللسان (النطق بذلك) والأعضاء (بالانقياد والطاعة لله) (والله) إسم الجلالة الذات الإلهية الواجب الموجود والمعبود بحق فلا يطلق على أحد سواه ولا يحلف إلا به أو بصفةٍ من صفاته للتعظيم. (رب العالمين) المرابي للإنس والجن وهو إسم الله تعالى معناه المالك السيد والمصلح والمرابي والمعبود.

انت يا ربنا المستحق أن نخصك بالعبادة، فنطيعك ونخضع لك باتباع ما أمرتنا به وتجنب ما نهيتنا عنه، لأننا عبيدك الخاضعون لمشيتتك، كما إنك

المستحق لأن نستعينك على جلب الخير لنا ودفع الضر عنا. فلا نلجأ إلا إليك، ولانطلب المعونة إلا منك ولا نتوسل إليك بشفعاء في تيسير أمورنا وشفاء مرضانا وقضاء حاجاتنا لأنك أقرب إلينا من حبل الوريد.

فدلنا ياربنا القادر على طريق الخير دلالة تحفظنا من الضلال والخطأ ووقفنا إلى السير فيه، وهو الطريق المعتدل الذي لا ينحرف عن الجادة ولا يميل عن الغاية، الطريق الموصل إلى الحق والهدى وطريق أهل الإيمان والصلاح من عبادك الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. وأبعدنا عن طريق من غضبت عليهم من الكفار ممن حادوا عن سبيل الحق بعد علمهم به، وأبعدنا عن طريق من ضلوا عن سبيلك وأنحرفوا عن شرائعك.

وكلمة آمين : إسم فعل بمعنى (استجب يارب لنا) وهذا اللفظ ليس من

القرآن.

عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : " إِذَا قَالَ الْإِمَامُ : ﴿ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ فَقُولُوا : آمِينَ ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ عُفِّرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " [صحيح البخاري . كتاب الأذان]

وهذه اللفظة ذكرت في آخر الفاتحة للترنم بها بعد تلاوة الفاتحة الشاملة لجميع مقاصد القرآن الكريم العامة. وسورة الفاتحة لها أسماء عديدة منها : فاتحة الكتاب، وأم الكتاب، والسبع المثاني ،

وهي أعظم سورة في القرآن وفضلها عظيم لحديث أبي بن كعب ، عن أبي هريرة : قال رسول الله ﷺ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا ، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ " هذا حديث حسن صحيح [سنن الترمذي الجامع الصحيح . كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ]

صفات المؤمنین

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن

قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ البقرة: ١ - ٥

(الم) تُقرأ : ألف لام ميم ، وقيل في معناها : أنها من أسرار القرآن الذي لا يعلمه إلا الله ، وقيل هي مما يفتح به القرآن ، وفيها أنها لإعجاز العرب وإقامة الحجة عليهم فكأنه يقول لهم : هذه الحروف هي الحروف التي نُظِمَ منها القرآن وهي الحروف التي تنظمون منها كلامكم فلماذا عجزتم عن الإتيان بمثله ؟ ذلك القرآن العظيم الذي لا ريب فيه ولا شك في أنه حق من عند الله ، هادٍ من الضلالة ومرشد للخير للذين تجنبوا المعاصي وأدّوا الفرائض فوقوا أنفسهم من العذاب.

ثم بيّن الله تعالى موقف الناس من القرآن الكريم وذكر أنّهم ثلاثة أصناف ، فمنهم من آمن به وعمل صالحاً وأولئك هم المفلحون ، ومنهم من كفر به واستكبر عن الحق قولاً وعملاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، ومنهم من آمن بالله

وباليوم الآخر قولاً باللسان فقط وبقي قلبه مملوءاً بالكفر والضلال وأولئك لهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وهم المنافقون.

قال مجاهد : " أربع آيات من أول السورة نزلت في المؤمنين وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين ". [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

أمّا المؤمنون المتقون فلهم أوصاف أربعة : الإيمان الصادق بالغيب الذي أخبر الله عنه وقام الدليل عليه، فلا يقتصرون على الماديات والمحسوسات وإنما يؤمنون بما وراء المادة ويقيمون الصلاة باعتبارها عماد الدين ويؤتون الزكاة للفقراء والمساكين والزكاة أساس بناء المجتمع كما ان الصلاة أساس بناء الفرد ويؤمنون بجميع ما أنزل الله على رسله من الكتب السماوية ويؤمنون بالآخرة إيماناً يقيناً لا شبهة فيه ولا شك.



صفات الكافرين

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ البقرة: ٦ - ٧

أخرج ابن جرير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : " في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآيتان نزلتا في يهود المدينة ، قال ابن عباس : نزلت هذه الآيات في يهود المدينة ومناققيها منهم : عبد الله بن أبي سلول ، ومعتب بن قشير ، والجد بن قيس ، كانوا إذا لقوا المؤمنين يظهرن الإيمان والتصديق ويقولون : إنا لنجد في كتابنا نعتَه وصفته " [أسباب النزول للحافظ المتقن]

ذكر الله سبحانه وتعالى صفات الكافرين كأبي جهل وأبي لهب وغيرهما والوليد بن المغيرة فبيّن أنّ هؤلاء قد طُبِعوا على الكفر ورسخت فيه أقدامهم فسواء عليهم إنذار النبي إياهم بما ينالهم من العذاب يوم القيامة وعدم إنذاره. لأنهم جاحدون مكابرون يعرفون الحقّ وينكرونه عناداً وأستكباراً لفساد طبعهم وخبثهم، وكيف يشرح صدرهم للإسلام؟ وقد تمكّن الكفر من قلوبهم فأصبحت غير مستعدة لقبول الحقّ كأنّها قد أُغْلقت ووضعت عليها خاتمٌ، فلا ينفذ الحقّ إليها، وكيف يستمعون الدعوة إلى الهدى؟ وقد أصمّوا آذانهم عن سماعها وأعرضوا عن الإصغاء إليها، وكيف يرون آثار قدرة الله؟ وقد حجّبوا أبصارهم عن هذه الآيات كأنّ عليها غطاءً يحول دون التطلع إليها. لقد استحوذ الكفر عليهم فسد قلوبهم

وَأَسْمَاعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ مَنَافِدَ الْحَقِّ وَتَكُونُ قُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ كَالْكِتَابِ الَّذِي أُغْلِقُ
وَحُتِّمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمٍ.

وَالْبَصِيرَ الْعَاقِلَ هُوَ الَّذِي يَتَأَمَّلُ فِي مَسْتَقْبَلِهِ وَفِي الْحَقِّ الَّذِي يَنْفَعُهُ وَيَنْفِرُ
مِنَ الْبَاطِلِ وَالضَّلَالِ وَيُوزَنُ بَيْنَ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْبِنَاءِ وَصِفَاتِ الْكُفَّارِ الْهَدَامَةِ
الَّتِي فِي دِمَارٍ وَخَرَابٍ وَابْتِعَادٍ عَنِ هِدَايَةِ اللَّهِ الْحَقَّةِ وَهَوْلَاءِ الْكُفَّارِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

* * * * *

صفات المنافقين

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨)
يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي
قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا
أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا
الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ
﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا
الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِحَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ البقرة: ٨ - ١٦

قال تعالى في وصف الطائفة التي هي أشد خطراً على المؤمنين وهم المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام وقد نزلت في أوائل سورة البقرة ثلاث عشرة آية في المنافقين.

والنفاق جبنٌ وخيانةٌ وكذبٌ وضلالٌ ومرضٌ وخداعٌ لذا سرعان ما ينكشف شأن المنافقين ويحتقرهم المجتمع وتتبذهم الأمة ، والنفاق واليهود شيئان متلازمان لأنه ينشأ عن جبن وضعف حقيقي ولو لم طبيعي فالمنفاق يلتوي مع

الناس في أقواله وأفعاله واليهودي يخادع الناس ويتآمر عليهم وكثيراً ما لاقى النبي ﷺ من النفاق والمنافقين وكم كان للنفاق في المجتمعات من أضرار بالغة والجاسوس المتآمر على وطنه وأمتة منافق والتجسس الذي يخدم العدو مظهر من مظاهر النفاق.

والمنافقون أشد خطراً على الإسلام من الكفار صراحة لأنهم أعداء في داخل الأمة، ذكر الله صفات المنافقين : وأولها إظهار الإيمان بالله واليوم الآخر وإبطان الكفر والضلال ومخادعة الله مع أن الله عالم بهم لا تجوز عليه مخادعتهم وخداعهم وبال عليهم. وهم قوم يثيرون الفتنة والتجسس لحساب الأعداء فهم يفسدون في الأرض ويزعمون أنهم مصلحون وإذا دعوا إلى الإيمان سخروا من المؤمنين ووصفهم بأنهم سفهاء جهلاء وهم السفهاء في الواقع.

ومن صفات المنافقين : إظهار الإيمان استهزاءً وإذا خلوا إلى شياطينهم وزعمائهم من اليهود وأهل الفساد قالوا لهم إنا معكم إنما نحن مستهزئون. ولذلك أنزل الله تعالى قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ النساء: ١٤٥. فهؤلاء ليسوا على الإيمان في شيء يتصورون إنهم يستطيعون خداع الله ورسوله بمظاهرهم وان خداعهم سيبقى مستتراً ولكنهم في الحقيقة لا يخدعون إلا أنفسهم من غير أن يحسوا لحماقاتهم ومنهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم (كعبد الله بن أبي) وأصحابه، فهؤلاء هم السفهاء، ألسفيه : عسبي، مذبذب الرأي، جاهل، أحمق، فالسفه محصور فيهم مقصور عليهم لأنهم لا يخضعون للحق ويزعمون أنهم على صواب. قال تعالى : ﴿ قَالِئِمَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ المطففين: ٣٤ بعد أن يفصل الله بينهم بالحق يوم القيامة.



الافتراءات الكاذبة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِيْنٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيْعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ ۗ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُوْنَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِيْنَا ءَايَةً كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۗ تَشٰبَهَتْ قُلُوْبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُوْنَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيْرًا وَنَذِيْرًا ۗ وَلَا تُسْئَلُ عَنَّا صَحَابِ الْجَحِيْمِ ﴿١١٩﴾ البقرة: ١١٦ - ١١٩

الألوهية والربوبية صفتان تقتضيان الكمال المطلق والتفرد الذاتي والقدرة الشاملة على كل شيء من الخلق والإبداع والرزق والإنعام، والدقة المتناهية والإحكام وذلك لا يعقل أن يتصف به بشر من جنس الناس لأنه عاجز مثلهم، وقاصر غير قادر وناقص غير كامل، وإنما الذي يحق أن يوصف بهذه الصفات الفريدة هو الله ﷻ الذي خلق فسوّى وقدرّ فهدى، وله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً، ويخضع لهيئته وسلطانه كل شيء، خالق السموات والأرض والوجود له ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير.

هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد (المقصود في الحوائج) لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

لقد زعم اليهود أن عُزيراً ابن الله وأدعى النصارى أن المسيح ابن الله وقال المشركون بأن الملائكة بنات الله، ألا سحقاً لهؤلاء القوم وتنزيهاً للواحد الأحد أن

يكون له ولد بل هو خالق ما في السموات والأرض وكل ما فيها عبيد له مطيعون لأمره. وقال الذين لا يعلمون من جهلة المشركين هل يكلمنا الله أو تأتينا آية تدل على نبوتك كأن تفجر ينبوعاً من الأرض أو تأتي بالملائكة أو يكون لك بيت من زخرف مثل ما قالت الأمم قبلهم قالوا : أرنا الله جهرة، وقالوا : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟

تشابهت عقول هؤلاء ومن قبلهم بالمكابرة والعناد وتماتلت آراؤهم. قد بينا الآيات لقوم لا يرون في الآيات خفاء ويوقنون أنها مُنَزَّلَةٌ من عند الله حقاً. إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدٌ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ مِنْ أَجَابِ الدَّعْوَةِ مُنْذِرًا بِالنَّارِ مَنْ عَصَى وَعَانِدًا فَلَا عَلَيْكَ إِذَا أصرَّ الْجَاهِدُونَ أَوْ كَابَرُوا فَلَا يَضِيقُ صَدْرَكَ إِنْ نَاصَرُوا عَلَى الْكُفْرِ وَلَسْتَ مَسْئُولًا عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.



وحدانية الله وبرهان ذلك

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌُ وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ البقرة: ١٦٣ - ١٦٤

أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة، عن عطاء قال : نزل على النبي ﷺ بالمدينة ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌُ وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ فقال كفار قريش بمكة : كيف يسع الناس إله واحد ؟ فأنزل الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ . [أسباب النزول للحافظ المنقن]

أقام الله تعالى الأدلة على وحدانيته ورحمته وفضله بما لا يدع مجالاً للشك ويعرف العقلاء المتأملون فيها صحة البراهين وصدق الأدلة.

هذه آية التوحيد أي أن الإله الذي يُعبد واحد لا شريك له فلا معبود بحق في الوجود إلا هو وهو الرحمن الرحيم بخلقه اللطيف بعباده يتولّى شأن مخلوقاته وأدلة وحدانية الله ﷻ كثيرة :

- ١- خلق السموات وما فيها من كواكب وشدة التماسك والتجاذب بينها.
- ٢- وفي خلق الأرض وما عليها من جبال تستخرج منها المعادن وتتخذ منها الأحجار وتهيئتها لسهولة السير عليها.

- ٣- وفي تعاقب الليل والنهار في نظام محكم بحيث لا يعدو أحدهما على وقت الآخر واختلافهما زيادة ونقصاً وظلمةً ونوراً.
- ٤- وفي السفن التي تجري على سطح البحر حاملةً الناس من جهة إلى أخرى ومملوءة بما يحتاجه الناس من مأكّل ومشرب ونحوهما مما ينتفع الناس في معاشهم.
- ٥- وفيما أنزل الله من السماء من مطر كثير النفع نشرب منه ونروي به أرضنا وينبت الزرع فيها وتأكّل ثمارها ونستظل بأشجارها .
- ٦- وفيما بث في الأرض من الحيوانات التي نسخرها لركوبنا ونشرب ألبانها ونتخذ من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس وأثاثاً ومتاعاً.
- ٧- وفي تقلب الرياح شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً حارة وباردة وعاصفة ولينة.
- ٨- وفي سَوّاق السحاب المهيأ بين السماء والأرض للمطر.
- في خلق هذه الأشياء براهين قاطعة على وحدانية الله وكمال قدرته.



علاقة المشركين بالهتهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمْ أَمْثَالَكُم مِّنْ نَّاسٍ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ وَلَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ أَجْرًا لِّمَن يَتَّقِهُ لَسَقَّوهُنَّ أَثْمَالًا ﴿١٦٧﴾ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ البقرة: ١٦٥ - ١٦٧

الشرك بالله وثنية وخرافة ووهم والشرك وكر للخرافات والأباطيل. وعلاقة المشركين بالهتهم من الأصنام والأوثان والملائكة والجن علاقة ضعيفة واهية وأوهن من بيت العنكبوت لا تفيدهم شيئاً ويتبرأ بعضهم من بعض. فهذه العلاقة كاذبة على عكس علاقة المؤمنين المخلصين بربهم فهم أشد وأكثر حبا لله ومن تمام محبتهم وتعظيمهم لله.

لا يشركون به شيئاً بل يعبدونه وحده في جميع أمورهم قائلين دائماً ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥ والمشرك متناقض مع نفسه عاجز عن جلب النفع لنفسه ودفع الضرر عنها فتراها إذا وقع في محنة أو أزمة لجأ إلى الله ثم نسيه فهم في الشدة مع الله وفي الرخاء ينسون الله أما الذين آمنوا لا يحبون إلا الله وحده لا شريك له ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَن أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩

لو يعلم هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم حين يرون الرؤساء الذين أضلوهم قد تبرعوا منهم. وأن العذاب قد أعدّ لهم فيقولون : لقد أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل ولولاكم أيها الرؤساء لكانا مؤمنين، فيجيبهم الرؤساء المستكبرون ﴿أَنْحُنُّ صَدَدْنَكُمْ عَنْ الْمُهَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ سيأ: ٣٢ بل حينئذ كنتم مجرمين. حينئذ يتمنى الفريقان أن يعودا إلى الدنيا ليتبرا كل واحد من الآخر لأن أعمالهم السيئة عادت عليهم بالحسرة والندامة.



جزء كتمان آيات الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ نَمًّا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ البقرة: ١٧٤ - ١٧٦

أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ والتي في آل عمران ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ : ٧٧، نزلتا جميعاً في يهود ، وأخرج الثعلبي عن طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود وعلمائهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم ، فلما بعث الله محمداً ﷺ من غيرهم خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة محمد فغيروها ثم أخرجوها إليهم وقالوا : هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي فنزلت الآية. [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

إن العلماء أمناء على ما يقولون وعلى ما ينقلونه ويخبرون به من شرع الله ودينه فإذا خان العالم الأمانة وغيّر وبدّل وحرّف وشوّه الحقائق فقد الثقة به من العالم أجمع واستحق العذاب في نار جهنم.

الذفن فكمفون ما أنزل الله فف الففورة بففرم ما أمله الله وفللل ما حرمه الله وإنكار ما ذكر فف كفالهم من نعت محمد ووصفه وبلان زمانه وغير ذلك بما فشهد بصدق النبوة وكمال الرسالة وفرفون ذلك حسب أهوائهم وحسب ما فتناولونه من الرشوة أو من عرض فقفر من أراض الدنيا كالرئاسة مثلاً أولئك ما فأكلون فف بطونهم إلا النار وفعضب الله عليهم فوم القفامة ففعرض عنهم ولا فطهرهم من ذنوبهم بالعمو والمعمرة ولهم عذاب شدد أولئك الذفن ففبعوا أهواءهم فاستبدلوا الضلال بالهدى والعذاب بالمعمرة فما أعجب أمرهم الذي فسوقهم إلى النار خالذفن ففها ، هذا العذاب بسبب ان الله سبحانه وفعالى نزل الففورة بالحق الذي لا فشبوه باطل فحرفوها لمطامعم الخبفثة وفخلفوا عن النهج المسفقم وأصبخوا شفعاً وأحزاباً كل ففؤف مذهبه وفسب مذهب ففره وطفعف أن فذب بفنهم الشقاق إلى أمد فعفد.



الله قريب مجيب الدعوات

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ

إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ حِجْبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا لِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

البقرة: ١٨٦

الدعاء من الله تعالى نوع من أنواع العبادة والخضوع والتذلل فإن الداعي يشعر دائماً إلى الاستعانة بعزة الله وقوته وطلب المدد والعون في المحن والبلايا، وقد روي عن النبي ﷺ من قوله: " إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]، وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: " الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ ، وَعِمَادُ الدِّينِ ، وَنُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " [المستدرک علی الصحیحین للحاکم- کتاب الأذکار والدعوات] ، والدعاء يفيد في مصارعة القضاء والقدر وفي تخفيف المصاب وفي رفع البلاء وطلب الرزق.

والدعاء إلى الله أمر مباشر بين العبد وربه وسواءً كان الدعاء سراً أم جهراً، جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ ، فقال يا رسولَ الله: أقریبٌ ربُّنا فنُنَاجِيهِ أم بعيدٌ فنُنَادِيهِ؟ فسكت رسولُ الله ﷺ ، فأُنزِلَ اللهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ حِجْبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا لِي﴾ إذا أمرتهم أن يدعوني فدعوني استجبت لهم. [تفسير ابن أبي حاتم].

الله قريب من عباده وهو أقرب إليهم من حبل الوريد ، يعلم أعمالهم، ويراقب أحوالهم يجيب من دعاه مخلصاً له ، وأقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد في صلاته لله تعالى خاشعٌ بجوارحه وقلبه ولسانه يدعو من الله أن يجزيه

خير الدنيا والآخرة ويدعوه الاستقامة في الدين والتقوى والهداية إلى الطريق الحق
قوله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ العلق: ١٩

روي أن المشركين قالوا لما نزل ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ : كيف يكون قريباً من
بيننا وبينه على قولك سبع سموات في غلظ سمك (سقف) كل واحدة خمس
مائة عام ، وفيما بين كل سماء مثل ذلك ، فنزلت : ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
فإني قريب بالإجابة والقدرة أجيب إن شئت ، وإذا استجاب الله دعاء عبده فإما أن
تظهر الإجابة في الدنيا ، وإما أن يكفر عن العبد خطاياهُ وذنوبه ، وإما أن يدخرهُ
في الآخرة.

والدعاء بالسوء والأذى والاعتداء ممنوع ، قال تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾ الأعراف: ٥٥

اللهم أهدنا إلى الاستقامة في الدين ، والإيمان الكامل ، ونور قلوبنا
بالقرآن وقنا عذاب النار ، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا أرحم
الراحمين ، وزودنا بالتقوى وارزقنا من حيث لا نحتسب إنك وليُّ ذلك والقادر
عليه.



الحج وأحكامه

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ۖ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ مَنَّ تَمَنَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلِّمُوا أَنَّهُ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ البقرة: ١٩٦

الحج فريضة أيها المسلمون أن تؤدوا جميع مناسكها ابتغاء وجه الله لا يشوبها غرض من أغراض الدنيا ويجب أن تؤدى بشروطها قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ آل عمران: ٩٧ وأول ما يجب عليكم من شعائرها : الإحرام من الميقات وهو المكان المعين للإحرام. فإذا نويتم الإحرام ثم أحصرتم ومنعتم من أداء بقية المناسك لعذر كما وقع في عام الحديبية حين صدَّ المشركون النبي ومنعوه من دخول مكة بعد أن أحرم بها، أو أصيب بمرض ، فلکم أن تتحللوا من هذا الإحرام وعليكم الهدى الذي يتيسر لكم وهو أن تذبحوا شاة في المكان الذي أحصرتم فيه وترسلوها إلى الحرم ليأكلها المساكين ولكم أن ترسلوا ثمن الهدى ليشتري في الحرم ويذبح ، ولكم أن ترسلوه حياً إلى الحرم ويذبح هناك ، ولا يحل لكم أن تتحللوا من محظورات الإحرام كحلق الرأس مثلاً إذا أحصرتم حتى تعلموا أن الهدى قد وصل محله وهو الحرم.

ومحظوراً عليكم إذا كنتم محرمين أن تزيلوا شعراً من رؤوسكم أو وجوهكم أو أي جزء من أجزاء الجسم فهذا مظهر من مظاهر الرفاهية والزينة والتجمل وهي أمور لا تناسب الحج الذي ينبغي أن يقصد إلى بيت الله أشعث أغبر. لكن إذا كان برؤوسكم أو أي موضع من مواضع منابت الشعر قرح أو أذى ويخشى الضرر مع بقاء الشعر فقد رخص الله لكم أن تزيلوه وعليكم فدية بواحدة من ثلاث أنتم مخيرون فيها : إما صيام ثلاثة أيام وإما أن تتصدقوا بما يكفي من إطعام ستة مساكين يوماً كاملاً وإما أن تقدموا نسكاً أي تذبحوا شاة، أو تتصدقوا بثمنها على مساكين الحرم.

وقد بين مقدارها ما أخرجه البخاري- كتاب الحج ، من حديث كعب بن عجرة قال : وَقَفَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَّةِ وَرَأْسِي يَتَهَافَتُ قَمَلًا ، فَقَالَ : " يُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ ؟ " ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : " فَاحْلِقِ رَأْسَكَ ، أَوْ - قَالَ : احْلِقْ- " ، قَالَ : فِي نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ... إِلَى آخِرِهَا ﴾ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، أَوْ تَصَدَّقْ بِفَرَقٍ بَيْنَ سِتَّةٍ ، أَوْ أَنْسُكْ بِمَا تَيْسَّرَ "

فإذا أمنتم من العدو أو برئتم من المرض ولم يمنعكم مانع من أداء المناسك وتمتعتم بأداء فريضة العمرة والحج بسفر واحد، وباستمتاعكم بالإحلال بين العمرة والحج فعليكم الهدى وهو من الإبل والبقرة والغنم وهي على هذا الترتيب بالأفضلية. فإذا لم تجدوا الهدى أو للعجز عن ثمنه فعليكم صيام عشرة أيام كاملة ثلاثة منها أثناء الحج وسبعة إذا رجعتم إلى بلدكم.

وتجب فدية التمتع على غير سكان البيت الحرام والمقصود بهم سكان مكة وضواحيها والمقصود بالتمتع أن يحرم الإنسان بالعمرة أولاً ثم يؤدي بعض مناسكها ولو ركناً واحداً في أشهر الحج ثم يحج في العام نفسه، وأنقوا الله ولا تتعدوا حدود الله وأعلموا أن الله شديد العقاب.

أشهر الحج

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكَزَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّفْوَى ۚ وَاتَّقُوا نِيَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ البقرة: ١٩٧

لأداء فريضة الحج أشهر معلومة لدى الناس وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة. وهذا هو المروي عن ابن عباس وجرى عليه أبو حنيفة والشافعي وأحمد.

وفي قوله معلومات : إقرار لما كان عليه العرب في الجاهلية من اعتبار هذه الأشهر أشهر الحج ونقل ذلك بالتواتر العملي من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وجاء الإسلام مقررًا لما عرف ولم يغيره وفائدة تقديم الحج بهذه الأشهر معرفة ان أفعال الحج لا تصح إلا فيها وإن كان الإحرام يصح من غيرها، لأنه شروط للحج فيجوز تقديمه على وقت أدائه كتقديم الطهارة على أداء الصلاة.

فمن عزم على الحج وألزم نفسه به ونوى الإحرام فعليه أن يؤديه خالصاً لوجه الله وليجرد نفسه من المعاصي وليباعد بينه وبين الشهوات وليؤد الحج تقياً نقياً كيوم ولدته أمه لأن الحكمة من الحج اجتماع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها لله وفي بيت الله متجردين من نعيم الدنيا وزينة الحياة طائعين لله لا تتزع نفوسهم إلى الشهوات ولا يميز بينهم اختلاف الملابس وتباين المظهر لذا فلا يجوز أن يستمتعوا بنسائهم وقد أحل الله أن يستمتعوا بهن في غير الحج ولا يجوز أن

يَأْتُوا بِمَعْصِيَةِ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي وَقْتِ الْحَجِّ أَوْ غَيْرِهِ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ. فَالرفثُ : الاستمتاع بالزوجة، والفسوق : ما نهى الله عنه في الحج وغيره، والجدال : المجادلة والمخاصمة والسباب.

عن قتادة ، عن الحسن ، يرفعه إلى النبي ﷺ ، قال : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ عَمَلٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ حِجَّةً مَبْرُورَةً ، لَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ فِيهَا وَلَا جِدَالَ " [المناسك لابن أبي عروبة]

وما دام الله قد نهاكم في الحج عن الرفث والفسوق والجدال فإنه تعالى يحثكم فيها على نقيض ذلك ويطلب منكم أن يصدر منكم في الحج التعفف والكلام الحسن والفعل الجميل والطاعة والحلم وسعة الصدر ونبذ الخصومات... وإنكم إن فعلتم ذلك فانه يعلمه ويجازيكم بالثواب عليه، وكما تتزودوا بالطعام والشراب والمركب والمال للسفر أن تتزودوا بتقوى الله وطاعته للسفر للأخرة وهذا خير الزاد فيجب أن تتقوا الله يا أصحاب العقول والبصائر الحكيمة.

روى البخاري وغيره ، عن ابن عباس قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ويسألوا الناس ، فنزلت الآية ونزل قوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [كتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي] ، وقال عطاء بن رباح : كان الرجل يخرج فيحمل كلاً على غيره فأنزل الله تعالى الآية : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]



آحررم الزواج بالمشركآ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَبَيَّنَّ آيَاتِهِ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ البقرة: ٢٢١

آارب الإسلام كل قواعد الشرك والوثنية وقطع أي صلة بين المسلمين والمشركين والذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ويعبدون الأصنام والأوثان ويعتقدون بأديان غير سماوية ذات طقوس وهياكل معينة من وضع البشر. لذا نهى الله سبحانه وتعالى أن يتزوج المسلم المشركة التي لا تدين بدين سماوي ولا كتاب لها، حتى تؤمن بالله ورسوله ولأمة مؤمنة خير من مشركة أعجبتك بمالها وجمالها وحسبها ونسبها. ولا يجوز أن تتزوج المؤمنات من المشركين حتى يؤمنوا أو يتركوا ما هم عليه من الشرك، ولعبد مؤمن خير من مشرك مع ماله من العز والجاه أعجبكم. والسر في التحريم ان أولئك المشركين يدعون إلى الكفر وكل ما هو شر يوصل إلى النار إذ ليس لهم دين يردعهم ولا كتاب يهديهم فقلب المؤمن فيه نور وقلب المشرك فيه ظلام وضلال ، والله يدعو عباده المؤمنين إلى ما يوصل إلى الجنة والمغفرة بإذنه وإرادته ويبيّن أحكامه ليتذكروا ويتعظوا فيقدمون على الخير ويتركون الشر ويأتمرون بأمر الله ويجتنبون وساوس الشيطان.

عن السدي : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعْجَبَتْكُمْ ۚ ﴾ قال : نزلت في عبد الله بن رَوَاحَةَ ، وكانت له أمة سوداء ، وأنه غَضِبَ عَلَيْهَا فَلَطَمَهَا ثُمَّ فَرَعَ ، فأتى النبي ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهَا ، فقال له النبي ﷺ : " مَا هِيَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ " قال : " يَا رَسُولَ اللَّهِ هِيَ تَصُومُ ، وَتُصَلِّي ، وَتُحْسِنُ الْوَضُوءَ ، وَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . فقال : " هَذِهِ مُؤْمِنَةٌ " فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأُعَقِّبَنَّهَا ، وَلَا تَزَوِّجَنَّهَا ففعل ، فطعن عليه ناسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فقالوا : تَزَوِّجْ أُمَّةً . وكانوا يريدون أَنْ يُنْكَحُوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَيُنْكَحُوهُمْ رَغْبَةً فِي أَحْسَابِهِمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ ﴾ وَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

عن مقاتل بن حَيَّانَ ، قوله : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ ﴾ نزلت في أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ ، استأذن النبي ﷺ في (عناق) أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، وهي امرأة مسكينة من فُرَيْشٍ ، وكانت ذات حظٍّ من الجمال ، وهي مُشْرِكَةٌ ، وأبو مَرْثَدٍ يَوْمئِذٍ مُّسْلِمٌ ، فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا تُعْجِبُنِي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعْجَبَتْكُمْ ۚ ﴾ . [تفسير ابن أبي حاتم]



الإيلاء

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ

عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ البقرة: ٢٢٦- ٢٢٧

الإيلاء : ان يحلف الرجلُ على امرأته ألا يقربها مطلقاً.. أو مدة تزيد على أربعة أشهر، فإن حلف على أربعة أشهر فقط أو أقل، فلا يعتبر والرجال الذين يؤلون من نسائهم، ويحلفون ألا يقربوهن مطلقاً أو مدة تزيد على أربعة أشهر تأديباً لهن بالهجر.

فإن فاءوا في اثنائها، ورجعوا إلى معاشره نسائهم فيها وحنثوا في يمينهم. غفر الله لهم ما ألحقوه بهن من ضرر، لهجر فراشهن مدة الأربعة أشهر، ورحمهم فلم يشدد عليهم ولم يلزمهم المضي في تنفيذ القسم، ووجب عليهم كفارة الحنث، إن كانوا قادرين عليها، وإن كانوا غير قادرين أعفاهم منها، وإذا كانوا لا يستطيعون في مدة الأشهر الأربعة أن يفيئوا بمعاشرتهن، لغيبتهن في سفر أو حرب أو مرض فلهن أن يعلنوا رجوعهم عن الإيلاء، وحينما ينتهي المانع من المعاشره بالعودة من السفر أو بالشفاء من المرض، ويستطيعونها وجبت عليهم ولزمتهم الكفارة إن كانوا قادرين.

أمّا إذا لم يفيئوا في الأربعة الأشهر التي تبدأ من يوم الحلف فلم يقربوا نسائهم خلالها كان معنى هذا انهم عازمون على طلاقهن مصممون في قطع رباط الزوجية، وللزوجة حينئذ أن ترفع أمرها إلى القاضي ليحكم لها برجوع زوجها إلى فراشها وقيامه بما أحل الله منها فإن لم يفعل طلقها طلاقاً واحداً، والله سميع

عليهم بنياتهم في إضرارهنّ وإيذائهنّ بالإيلاء وبالطلاق وسيحاسب كلاً منهم على إساءته ويأخذهُ بظلمه.

عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان إيلاء أهل الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك فَوَقَّتَ اللهُ عزوجل أربعة أشهرٍ ، فمن كان إيلاؤه أقلّ من أربعة أشهرٍ فليس بإيلاءٍ " [السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الإيلاء].

وقال سعيد بن المسيب : كان الإيلاء ضرارَ أهل الجاهلية ، كان الرجل لا يريد المرأة ، ولا يجب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبداً وكان يتركها كذلك : لا أَيْمًا ولا ذات بعل ، فجعل الله تعالى الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر ، وأنزل الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]



عِدَّةُ الْمَرْأَةِ الْمَطْلُوقَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلِهِنَّ أَحَقُّ بِرِزْقِهِ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيَّهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة: ٢٢٨

أخرج أبو داود وابن أبي حاتم عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، أنها طُفِّت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عِدَّةٌ ، فأنزل الله ﷻ حين طُفِّت أسماء بالعدة للطلاق ، فكانت أول من أنزلت فيها العِدَّة للمطلقات. [باب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

إذا طُفِّت النساء المدخول بهن، فإن كنَّ ممن يحضن وكنَّ من غير نوات الحمل وجب عليهن أن يتربصن بأنفسهن وينتظرن فلا يتزوجن برجل آخر ثلاثة قروء، والقروء هو الطهر من الحيض، أو هو الخروج من الطهر إلى الحيض وتسمى مدة الأقراء الثلاثة التي تنتظر فيها المرأة بعد الطلاق لتستبرئ الرحم من الحمل : (عِدَّةٌ) ، فإن كانت المطلقة غير مدخول بها فلا عِدَّة لها وإن كانت ممن لا يحضن لصغيرٍ أو كبر فعدتها ثلاثة أشهر قال تعالى : ﴿وَالَّتِي بَسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْ﴾ الطلاق: ٤، وإن كانت حاملاً فعدتها تنتهي بوضع الحمل قال تعالى : ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ الطلاق: ٤.

والعبرة بقول المرأة في أمر العِدَّة وهي وحدها مؤتمنة على ذلك ولهذا لا يحل للنساء أن يخفين ما خلق الله في أرحامهن من الحمل أو الحيض أستعجالاً في العِدَّة حتى يُفَوِّتَنَّ على الرجال مراجعتهن فيها، أو يغتصبن نفقة العِدَّة مدة أطول، وفي إخفاء أمر الحيض أو الحمل إثم كبير. فلا ينبغي للمطلقات أن يجترئن عليه إن كنَّ يؤمّن بالله واليوم الآخر، ويخشين الله ويخفنَّ حسابه في يوم الجزاء.

وكما ان المطلقة هي صاحبة الحق، ومسموعة القول في أمر العِدَّة ان كانت بالأقراء أو المدة أو وضع الحمل. فإن الأزواج لهم أيضاً الحق في ردّ المطلقات طلاقاً رجعيّاً قبل انقضاء المدة إن كانوا يقصدون بالمراجعة العودة إلى الحياة الزوجية، التي تقوم على الإصلاح وحسن العشرة ، أما إذا أرادوا بها الإساءة إلى المرأة فإن الله يعاقبهم عليها، وليس القصد من إرادة الإصلاح والإحسان في رد المطلقة، إن المراجعة لا تصح إلا بها ولكن الله يحث الرجال على ألا يُرْجِعُوا المطلقات بقصد الإضرار بهن، وإنما بقصد الإصلاح والإحسان ويحذرهم مراجعة النساء للإضرار بهن.

ولا ينبغي للرجال أن يظلموا النساء كما لا ينبغي للنساء أن يخرجن عن طاعة الرجال فلهن من حقوق الزوجية على الرجال كحسن الصحبة والعشرة بالمعروف مثل الذي عليهن من الطاعة لهم. فعلى الرجال أن يتقوا الله في النساء وعلى النساء أن يتقين الله في الرجال. وقد جعل الله للرجال منزلةً ودرجةً بما ألقى على كاهل الرجل من واجبات وتبعات دون النساء، فعليهم القتال والجهاد وعليهم الصّداق والإنفاق هذا إلى أنهم أكثر احتمالاً لمتاعب الحياة. وأكثر تعقلاً وتفكيراً وتبصراً للأمور من النساء. وبما أن الله فضل الرجال بهذه المزايا وجب عليهم

حسن معاشرة النساء وأن تتسع لهن أخلاقهم لأنّ الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه فيجب على الرجال أن يحسنوا إلى النساء بقدر ما خصّهم الله من فضل ومزية عليهن ويقدر ما ألقى عليهم من واجبات ومن يخالف ما أمر الله به فإنّ الله قادر على الانتقام منه لأنه وضع للناس شرائع بحكمة توافق مصالحهم في الدنيا وتضمن سعادتهم في الآخرة.



أحكام الطلاق وحدوده

قَالَ تَعَالَى: ﴿الطَّلُوقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٤٠﴾ البقرة: ٢٢٩ - ٢٣٠

قوله تعالى: ﴿الطَّلُوقُ مَرَّتَانٍ﴾ أخرج الترمذي والحاكم والبيهقي، عن عائشة قالت: "كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة أو أكثر، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فنبيني مني ولا أوبك أبداً، قالت وكيف ذاك؟ قال أطلقك، فكلما هممت عدتُك أن تنقضي راجعتُك، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها، فسكتت عائشة، حتى جاء النبي ﷺ فأخبرته، فسكت النبي ﷺ حتى نزل القرآن: ﴿الطَّلُوقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنِ﴾ " [وهذا لفظ الترمذي - كتاب الطلاق واللعان]، فإذا طلق الرجل امرأته مرة فله أن يردها ويرجعها فإن طلقها مرة ثانية فله أيضاً أن يردها ويرجعها وبعد الرجعة الثانية ليس له إلا إمساك وإبقاء الزوجية بمعروف وحسن معاشرة ولطف معاملة في هاتين المرتين، فإن طلقها مرة

ثالثة فلا يحلّ له مراجعتها وعليه أن يتركها تقضي عدتها ويطلق سراحها بإحسان فلا يسيء فيها القول ولا يحول بينها وبين الزواج من غيره.

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ ﴾ أخرج أبو داود في النسخ والمنسوخ عن ابن عباس ، قال : " كان الرجل يأكل من امرأته نحلها الذي نحلها وغيره لا يرى أن عليه جناحاً فأنزل الله : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾ " [الباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

وعن ابن جريج ، قال : " نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ فِي حَبِيبَةَ ، قَالَ : وَكَانَتْ اشْتَكَيْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " تَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ ؟ " فَقَالَتْ : نَعَمْ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : وَيَطِيبُ لِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : " نَعَمْ " ، قَالَ ثَابِتٌ : وَقَدْ فَعَلْتُ فَنَزَلَتْ : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ، فكان أول خُلْعٍ فِي الْإِسْلَامِ .

والخُلْعُ / معناه أن يطلق الرجل زوجته على الفدية، وقد حرم الله على الرجال أن يضاروا نساءهم ويسبوا إليهن حتى يتضايقن ويطلبن الطلاق نظير أن يعطينهم شيئاً من الصداق الذي دفعوه لهنّ، ولكن قد تسوء الحياة بين الرجل وزوجته ويقع بغضه في قلبها وتصبح حياتها في كنفه شقية وتعمل على النشوز وفساد العشرة ويعلمان أنّهما لا يقيما حدود الله في الزوجية. ويظن كل واحد منهما أنّه لا يؤدي لصاحبه حقه لاستحكام الكراهة بينهما فلا حرج على المرأة حينئذٍ من أن تفتدي نفسها بأن تعطي الرجل بعض ما أخذته من الصداق، ولا حرج على الرجل أن يأخذ ما أعطته المرأة ليطلق سراحها ويطلقها، ويسمى هذا الطلاق الذي تدفع فيه المرأة عوضاً من مال أو عقار لقاء طلاقها خُلْعاً، وليس للرجل حق مراجعتها في الخُلْعِ إِلَّا برغبتها، وقد طلب الله من الحكام والمتوسطين في

نظر قضية الزوجين أنهم إذا خشوا منهما ترك حدود الله. إن بقيت صلة الزوجية قائمةً بينهما أن يتدخلوا لفصم عُرَاهَا لِيُذْهَبَ كُلُّ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ، وَيَتَصَالِحَا عَلَى أَنْ تَفْتَدِيَ الْمَرْأَةَ نَفْسَهَا بِبَعْضِ مَا أَخَذَتْ مِنَ الصِّدَاقِ، وَأَنْ يَخَالَعَهَا الرَّجُلُ وَيُطْلِقَهَا دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَقٌّ مَرَاجَعَتِهَا إِلَّا بِإِذْنِهَا، وَتُرِكَ إِقَامَةُ حُدُودِ اللَّهِ مِنَ الْمَرْأَةِ هُوَ اسْتِخْفَافُهَا بِحُقُوقِ الزَّوْجِ وَعَدَمُ طَاعَتِهَا وَكِرْهَهَا لَهُ كَمَا حَصَلَ مِنْ حَبِيبَةِ لَزُوجِهَا قَيْسِ بْنِ ثَابِتٍ، وَهَذِهِ الْأَحْكَامُ هِيَ الْحُدُودُ الَّتِي رَسَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فَلَا يَنْبَغِي لِهَمَا أَوْ لِمَنْ يَحْكُمُ بَيْنَهُمَا أَنْ يَتَعَدَّاهَا بِالْمَخَالَفَةِ وَالرَّفْضِ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

وإن طلق الرجل زوجته مرةً ثالثةً .. فلا تحلَّ له مراجعتها والعقد عليها، ولا يمكن أن تعود إلى عصمته بأي حال من الأحوال إلا إذا تزوجت برجل غيره ويدخل بها وتذوق عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقُ عُسَيْلَهَا. فإن طلقها الزوج الثاني وانقضت عِدَّةُ طَلْقِهَا مِنْهُ. جاز الزوج الأول أن يتزوجها بعقد ومهر جديدين إن رغب كل منهما في تجديد الزواج، والعودة إليه. وظنًا أنهما يقيمان حدود الله التي أوجبها على الزوجين من حسن العشرة وجميل المخالطة، وهذه الحدود يبينها الله لقوم يعلمون.

وليس مما يقره الدين ما يلجأ إليه بعض المحتالين على شرائع الله إذا رغب في إعادة زوجته المطلقة منه ثلاثاً من الاتفاق على أن يعقد عليها لرجل آخر ويدخل بها ليلة أو ليلتين ثم يطلقها ليحللها له. وقد سمي رسول الله ﷺ مثل هذا الرجل تَيْسًا وَلَعْنَهُ ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَعْنَةُ اللَّهِ الْمُحَلَّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ " [السنن الكبرى للبيهقي - كتاب النكاح]

والحكمة في هذا التشريع الحكيم هو الردع عن المسارعة في الطلاق ثم العودة إلى المطلقة، فإن رباط الزوجية عُقِدَ بِاسْمِ اللَّهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَهَاوَنَ الزَّوْجَانِ فِي بَنِّهِ وَفِصْمِ عُرَاهُ.

آداب الطلاق - ١ -

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعَظِّمُ بِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٣١﴾ البقرة: ٢٣١

إنَّ أهل الجاهلية لم يكن عندهم للطلاق عدّة مقدرة فكان الرجل يطلق زوجته ما شاء من الطلاق فإذا كادت عدتها تنتقضي وتحل من طلاقه يراجعها ليقبها ضراراً فلا هو يحسن عسرتها ولا يدعها لتنتقضي عدتها وتزوج بغيره من الرجال وقد فعل رجل في عهد النبي بامرأته ذلك فكان لا يؤوبها ولا يحلها من عصمته، فهو يطلقها فإذا دنا أجل انقضاء عدتها راجعها فشكت المرأة أمرها إلى عائشة . رضي الله عنها . فذكرت ذلك للنبي فأنزل الله تعالى آيات الطلاق .

أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال : " كان الرجل يطلق امرأته ثم يُراجعها قبل انقضاء عدتها ثم يطلقها ، يفعل ذلك ليضارها ويعضلها ، فأنزل الله ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ﴾ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

وأخرج ابن جرير أيضاً عن السدي ، قال : " نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت ابن يسار طلق امرأته حتى انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة ، راجعها ثم طلقها مضارة ، فأنزل الله : ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا ﴾ " [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

وإذا طلقتم النساء فلكم قبل أن ينقضي أجل العدة أن تمسكوهن وتردوهن إليكم بالمعروف، فتقوموا بواجبات الزوجية من الإنفاق وحسن العشرة. أو تسرحوهن وتتركوهن حتى تنقضي العدة ويصير أمرهن لأنفسهن ولا يحل لكم أن تراجعوهن وتمسكوهن في عصمتكم لتضروهنّ وتعتمدوا عليهنّ وتظلموهنّ حتى تلجئوهنّ إلى الافتداء منكم بالمال. ومن يفعل ذلك منكم فقد ظلم نفسه وعرضها لعذاب الله، ويجب أن تكونوا جادّين في الأخذ بأحكام الله والعمل بها ولا تتخذوها هزواً ولعباً لتنفيذ أغراضكم، وتحقيق مكائدكم واذكروا نعمة الله عليكم إذ هداكم للإسلام ومنّ عليكم بنبوّة محمد ﷺ وأنزل عليكم القرآن والسنة فقابلوها بالشكر واهتدوا بهديها، يعظكم الله بكل ذلك ويحذركم مخالفة كتابه وسنة نبيه. فعليكم أن تتقوه باتّباع حدوده وامتنال أوامره واجتتاب نواهيه واعلموا انه مطّلع على كل ما يصدر منكم.. عليم بكل أحوالكم.

عن الحسن بن أبي حسن البصري ، قال : إِنَّ النَّاسَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطَلِّقُ الرَّجُلُ أَوْ يَعْتَقُ ، فَيَقَالُ لَهُ : مَا صَنَعْتَ؟ فَيَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ لَاعِبًا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ طَلَّقَ لَاعِبًا أَوْ أَعْتَقَ لَاعِبًا فَقَدْ جَارَ عَلَيْهِ " قَالَ الْحَسَنُ : وَفِيهِ نَزَلَتْ : ﴿ وَلَا تَنْخَدُوا ۚ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ ﴾ . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]



آءاب الطلاق - ٢ -

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ
 أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٣)

البقرة: ٢٣٢

عن معقل بن يسار ، قال : " كانت لي أختٌ تُحطِّبُ فأمْنَعُها ، فحطَّباها
 ابنُ عمِّ لي فزَوَّجْتُها إِيَّاهُ ، فاصطَحَبَا ما شاءَ اللهُ أَنْ يَصْطَحِبَا ، ثُمَّ طَلَّقَها طَلاقاً
 لَهُ عَلَيْها رَجَعَةٌ ، فَتَرَكَها حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُها وَحَطَّباها الحُطَّابُ ، جَاءَ فَحَطَّباها
 فَقُلْتُ : يَا لُكْعُ ، حُطِّبَتْ أُخْتِي فَمَنْعْتُها النَّاسَ وَأَتْرُكُها بِها طَلَّقْتُها ، فَلَمَّا انْقَضَتْ
 عِدَّتُها جِئْتُ تَحَطِّبُها ؟ لا والله الذي لا إله إلا هو لا أُزَوِّجُكُما ، ففي نزلت هذه
 الآية ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا ﴾ فَقُلْتُ :
 سَمِعاً وَطَاعَةً ، كَفَرْتُ عن يَمِينِي وَأُنكحْتُها " [السنن الكبرى للنسائي]

وإذا طلق النساء أزواجهن، أو تسببتم في طلاقهن أيها الأولياء وانقضت
 عدتهن ورغب كل من الرجل والمرأة أن يتزوجا ثانياً، فلا ينبغي أن تُعضل المرأة
 وتُمنع من الزواج بالرجل الذي عرفته وعرفها، وأحبته وأحبها وحدث بينهما
 التراضي على أن يعيد الحياة الزوجية مرة ثانية بحسن العشرة، وذلك النهي عن
 العضل عبرة وعظة للمؤمنين

الذين يخافون الله واليوم الآخر، وهذا أزكى لكم وخير لحياتكم وأطهر
 لأعراضكم.

ومن العرف الشائع بين بعض الناس أن تأخذهم أنفة وحمية .. فلا يسمحوا للمرأة إذا طلقها زوجها وأراد أن يعيد العقد عليها برجعها إليه بعد ان صفت نفوسهما ورغب كل واحد منهما أن يعود للآخر ، عارضاً وتشدد أبى وهدد ومَنع .. لأن لها ميراثاً يخشى أن ينتقل إلى بيت زوجها بعد الزواج

هذه أنواع من العضل الذي حرّمه الله وقد يؤدي إلى فساد كبير إلى ما فيه من تحكم واستعباد لا يرضى الله عنه.

* * * * *

آداب الرضاعة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ
الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا
لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ
أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا
أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣٣﴾ البقرة: ٢٣٣

فرض الله على الأمهات أن يرضعن أولادهن عامين كاملين إذا لم يقبل
الطفل غير ثدي أمه، أو لم توجد له مرضعة ترضعه، أو وجدت وكان الأب
عاجزاً عن دفع أجرتها، وعلى المولود له (وهو الأب) أن يقوم بأجرة طعام
الأمهات المرضعات وكسوتهن سواء كنَّ في عصمة الآباء أم كنَّ مطلقات، وقد
حدد الله تعالى حولين كاملين للرضاعة، فإذا أراد الأب فطم الطفل قبل العامين
ولم ترض الأم فليس له ذلك، وإذا طلبت الأم نفقة الرضاع بعد الحولين فليس لها
ذلك أيضاً.

وتقدر نفقة الوالدة لطعامها وكسوتها إذا أرضعت ولدها وعلى قدر مال
الزوج من غير إفراط ولا تفريط ولا إسراف ولا تقتير .. لا تكلف نفس إلا وسعها .
ولا ينبغي أن تضر الوالدة زوجها بسبب ما لها من حق إرضاع ولدها
وباستحقاقها للنفقة على أبيه فترهقه بالمطالب، فسوء معاملتها يحمل الأب على

كره ابنه، ولا ينبغي أن يضر الوالد زوجته بسبب ولدها بأن يمنعها حقوقها عليه في الرزق والكسوة أو يأخذ منها الولد إلى مرضعة أخرى فهي أحقّ على ولدها. وعلى وارث الأب أن يقوم بنفقة إرضاع الطفل إذا مات الأب، وإذا كان للطفل مال .. فمن ماله يصرف عليه، وإن لم يكن له مال فعلى الورثة أن يتكفلوا بها، وإذا لم يستطيعوا فالرضاعة واجبة على الأم حتماً بدون أجر.

وإذا رأى الوالدان الطفل قبل أن يبلغ الحولين لا يحتاج إلى الرضاعة ولا يضر الفطام صحته فلا إثم عليهما أن يطمم الطفل، ومفهوم الآية ان الرضاع بعد الحولين لا يترتب عليه أحكام التحريم في الزواج كما لا يستوجب نفقة للأم. والأصل ان كل أم يلزمها أن ترضع ولدها وكل أب يلزمه أن يقوم بنفقة الطعام والكسوة للأم التي ترضع ولدها، ولكن إذا اتفق الأب والأم على استئجار مرضعة جاز ذلك، واتقوا الله في شأن أولادكم إن الله بصير بما تعملون.



عدّة المرأة المتوفى عنها زوجها

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ

بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ البقرة: ٢٣٤

يبين الله تعالى عدّة النساء اللاتي يموت عنهن أزواجهن بعد الدخول بهن، بأنها أربعة أشهر وعشرة أيام بلياليها فعليهن أن يتربصن فيها بأنفسهن ولا يتزوجن حتى تنقضي مدة العدة كلها، هذا إن كنّ غير حاملات، أما أولات الأحمال فعدتهن تنقضي بوضع الحمل والطهر من النفاس. وفي عدّة الوفاة يجب على المرأة أن تلزم الحداد على زوجها وتلزم البيت فلا تخرج منه، ولا ينبغي لها أن تتزين أو تتحلى أو تتطيب أو تلبس الملابس التي تظهر جمالها وحسنها وفاءً لزوجها وصوناً لنفسها من القيل والقال، وعلى الأولياء وأولي الأمر إذا رأوا أن النساء اللاتي مات عنهن أزواجهن لم يرعين لهم عهداً، ولم يقمن بواجب الحداد عليهم في مدة العدة فخرجن من منازلهن وأظهرن زينتهن أن يمنعهن ذلك ويرجعوهن إلى ما أوجب عليهن من التربص بأنفسهن أي امتناعهن عن الزواج واتخاذ الحداد حتى ينقضي أجل العدة، فإن امتثلن فلا جناح ولا إثم عليكم في أن يتعرضن للخطاب ويفعلن ما حرّم عليهن وما مُنعن منه في العدة، ولهن أن يتجملن ويتزين ويلبسن ما شئن ويتزوجن على حسب ما هو معروف في الشرع من إباحته للمرأة أن تختار زوجها وأن تجهز نفسها وتقدر صداقها وتستكمل ما تتطلبه من شؤون الزواج.

تحریم التصريح بخطبة المعتدة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَحْذَرُوهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٣٥﴾ البقرة: ٢٣٥

وكما أوجب الله على المرأة الحداد على زوجها المتوفى حتى تنقضي عدتها، حرّم على الرجال أن يصرحوا بخطبة النساء أو يعلنوا رغبتهم في الزواج منهن في أثناء العدة ولا إثم عليهم إذا أحسوا ميلاً إليهن ورغبة فيهن أن يعرضوا بخطبتين تعريضاً، وإن يذكروا تلويحاً ولا تصريحاً فيذكروا العبارات التي لا تكون نصاً في الخطبة أو رغبة حقيقية في طلب الزواج، كأن يقول لها الرجل مثلاً: سعيد من تكونين زوجة له، أو أنا ممن يقدرّون الزوجة الصالحة، أو لعل الله يوفّقني لزوجة صالحة، أو أنّ حالي والحمد لله طيبة .. ولا جناح أيضاً في أن يکنّ الرجل في نفسه رغبته في المرأة وهي في عِدّة الوفاة ويستتر نيّته على التزويج بها. وقد عَلِمَ اللهُ أن بعض الرجال سيذكرون النساء المتوفى عنهن أزواجهن وستتجه نفوسهم إلى الرغبة في الاقتران

بهن سراً وعلناً، فرخص لكم في التعريض دون التصريح، وحرّم عليكم وهنّ في العِدّة أن تعطوهن وعداً بالزواج أو أن تأخذوا عليهن عهداً أو ميثاقاً في سرّ وخفية ألا يتزوجن بغيركم. أو أن تقولوا لهن قولاً في فحش واستهجان لكن لم

يحرم أن تقولوا لهن قولاً معروفاً غير منكر لا يتجاوز حد التعريض إلى التصريح. ولا يتعدى الإشارة الخفيفة والتلميح إلى الإبانة والتوضيح. ولا يحل لكم والنساء في عدة الوفاة أن تعزموا على أن تعقدوا عليهن عقد النكاح وإذا كان مجرد العزم وانعقاد القلب عليه محرماً في العدة فالزواج فعلاً محرماً تحريماً باتاً، وممنوع منعاً قطعاً.

فإذا حصل أن رجلاً وامرأة حدثت بينهما مواعدة على الزواج أو تصريح بالخطبة في عدة الوفاة أثماً على ذلك. بل حرم عليهما بعض الأئمة ان يتزوجا أبداً. أمّا إذا حصل زواج في العدة بالفعل فيفترق بينهما ويقام عليهما حدّ الزنا ويحرم على الزوج الزواج بها إلى الأبد هذا رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أما علي رضي الله عنه فرأى الاقتصار على التفريق بينهما.

حيث بلغ عمر بن الخطاب ان امرأة من قريش تزوجها رجل من ثقيف في عدتها فأرسل إليها، ففرق بينهما وعاقبهما وقال : لا ينكحها أبداً وجعل صداقها في بيت المال وفشا ذلك في الناس فبلغ (علياً) فقال : يرحم الله أمير المؤمنين. ما بال الصداق وبيت المال ؟ إنّما جهلاً فينبغي للإمام أن يردها إلى السنة. قيل: فما تقول أنت فيهما ؟ فقال : لها الصداق بما أستحل من فرجها ويفرق بينهما ولا جدّ عليهما، وتكمل عدتها من الأول ثم تعتد للثاني عدة كاملة، فبلغ ذلك عمر فخطب الناس فقال : ((يا أيّها الناس رُدُّوا الجَهالاتِ إلى السُنَّةِ)) ومعنى هذا أن عمر أخذ بقضاء علي رضي الله عنهما.

أمّا إذا أنقضت عدة النساء فلكن أن تعزموا على عقد النكاح عليهن ولكم أن تتزوجوا بالفعل منهنّ، واعلموا أنّ ما تفعلونه سراً مما نهاكم الله عنه معلوم لله، لأنه يعلم ما في أنفسكم فاحذروا أن تفعلوه وأعلموا أنّ الله واسع المغفرة لمن عزم على فعل أمر مخالف ثم أجتنبه خشية من الله. حلیم على عباده المذنبين فلا يعاجلهم بالعقاب .. بل يفسح لهم باب المتاب.

الصلاة والحفاظ عليها

قَالَ تَعَالَى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ

﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا

عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩

الصلاة عماد الدين ، وأساس العمل الصالح ، فهي أول عمل يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، وهي الركن العملي الذي يتكرر في اليوم والليلة خمس مرات لما لها من الأثر الفعال في تطهير النفس ، وغسل الخطايا فهي كماء النهر أو البئر الذي يغتسل الإنسان به خمس مرات في اليوم والليلة فلا يبقى عليه شيء من الدرن أو الوسخ.

والصلاة صلة بين العبد وربه وسبب للفوز برضا الله تعالى وطريق التفريج عن الكروب والهموم ، فقد كان عليه الصلاة والسلام إذا حَزَّ بِهِ أمرٌ فزع إلى الصلاة.

وهي تهذب النفس وتعلم الأخلاق وتتهى عن الفحشاء والمنكر وتقوم الاعوجاج والانحراف وتذكر بالواجبات وتؤدي إلى راحة النفس والفكر من الهموم والقلق والاضطرابات وتزرع في النفس الطمأنينة وتحقق السعادة وتملأ القلب خشية من الله تعالى.

والصلاة الوسطى : هي صلاة العصر لتوسطها بين صلاتين قبلها وصلاتين بعدها.

عن سَمْرَةَ عن النَّبِيِّ ﷺ قال : " الصلاةُ الوُسْطَى صلاةُ العصرِ " [مسند أحمد بن حنبل] ، وقد روى الشيخان عن عليٍّ ؓ ، قال : لَمَّا كان يومُ الأحزابِ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : " مَلَأَ اللهُ بِيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ ناراً ، شَغَلُونَا عَنِ الصلاةِ الوُسْطَى حَتَّى غابَتِ الشَّمْسُ " [وهذا لفظ البخاري - كتاب الجهاد والسير] ، والقنوت في الصلاة معناه طول الركوع والسجود والخشوع وعض البصر وخفض الجناح (التواضع) وإحضار الخشية والتفكير في الوقوف بين يدي الله تعالى.

قوله تعالى : ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ الآية ، أخرج أحمد والنسائي وأبو داود والبيهقي وابن جرير عن زيد ابن ثابتٍ ، قال : " كان النبي ﷺ يصلي الظهر بالهجرة ، ولم يكن يصلي صلاةً أشدَّ على أصحاب النبي ﷺ منها ، فنزلت : ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ " ، وأخرج أحمد والنسائي وابن جرير عن زيد بن ثابت قال : " كان رسولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي الظهرَ بالهجرة والناسُ في قائلتهم وأسواقهم ، فلم يكن يصلي وراء رسولِ اللهِ ﷺ إلا الصفُّ والصفان ، فأنزل اللهُ : ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ " [السنن الكبرى للنسائي - كتاب الصلاة] ، وأخرج الأئمة الستة وغيرهم عن زيد بن أرقم قال : " كنا نتكلم على عهد رسولِ اللهِ ﷺ في الصلاة ، يكلم الرجل منا صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام ، وأخرج ابن جرير ، عن مجاهد قالوا : كانوا يتكلمون في الصلاة وكان الرجل يأمر أخاه بالحاجة فأنزل اللهُ : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ " [باب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

ودلت الآية على خطورة الصلة وأهميتها فأبانت أنه لا عذر لأحد في ترك الصلاة ، مقيماً أو مسافراً ، صحيحاً أو مريضاً ، حتى في حال الخوف على النفس أو المال أو العرض فيستطيع المصلي على أي كيفية كانت راكباً أو ماشياً، سائراً أو واقفاً على أي وضع كان احتراماً لوقت الصلاة وإذا زال الخوف فعلى المؤمنين أن يذكروا الله في الصلاة ويشكروه كما علمهم ما لم يكونوا يعلمون.

* * * * *

متاعه الطلاق ومهر غير المدخول بها

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً^ع وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرُهُ، مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ^ط حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣﴾

وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ مَا فَرَضْتُمْ

إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ^ع أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ^ج وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى^ع

وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ^ع إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٤﴾ البقرة: ٢٣٦ - ٢٣٧

إنَّ الرجل إذا طلق المرأة بعد الدخول بها فإنه لا يستحق شيئاً من مهرها كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا...﴾ البقرة: ٢٢٩ إلا ما أفادت به نفسها في الخلع.

والمطلقة قبل أن يدخل بها زوجها ولم يفرض لها مهراً فلا يجب لها مهر ولكن لها المتعة لقوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً^ع وَمَتَّعُوهُنَّ^ع﴾ أي لا تبعة ولا إثم عليكم إذا لم تدفعوا مهراً لمن طلقتموهن قبل أن تدخلوا بهن ولم تفرضوا لهن فريضة وإنما يجب عليكم لهن المتعة ويطلق عليها (التعويض) وهي مال أو عقار أو منفعة تفرض على الرجل لمطلقتها التي لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر.

وتقدر المتعة حسب استطاعة الزوج بالمعروف الذي يقتضيه الشرع. والمتعة حق واجب على المؤمنين الذين يحسنون إلى أنفسهم بامتنال أوامر الشرع واجتناب نواهيه.

عن الربيع بن أنسٍ في قوله : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال : هو الرجلُ يَنْزُوْجُ المرأةَ ولا يُسَمِّي لها صَدَاقًا ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا ، فَلَهَا مَتَاعٌ بِالمَعْرُوفِ ، ولا صَدَاقَ لها . قال : أدنى ذلكَ ثلاثةُ أثوابٍ دِرْعٌ ، وَخِمَارٌ ، وإِزَارٌ . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

أما المطلقة قبل أن يدخل بها زوجها وقد فُرِضَ لها مهر / فيجب لها نصف المهر المفروض إلا أن تعفو عنه . وتردّ المهر كله للزوج وتسقط حقها أو يعفو الزوج الذي بيده عقدة النكاح عن النصف المستحق له ويترك المهر كله لها ، وعفو الأزواج وتركهم المهر كله للمطلقات اللاتي لم يدخلوا بهن ولم يفرض لهنّ مهر اقرب إلى تقوى الله ورضائه .. ففيه جبر لقلب امرأة فاتها من زوجها صحبتة فلا يفوتها منه نحلته ، والنحلة : المهر ، وأشار لها بأن لها مكانة ومنزلة تخفف عليها لوعة الطلاق وصدمة الفراق . واعلموا أيها الأزواج إذا طلقتم نساءكم على هذه الصورة ان تحيطوهن بالفضل والبر وأن تجعلوا الخير جاريًا بينكم فتركوا لهنّ جميع المهر فإن ذلك أكرم لكم وأظهر لمروءتكم .

لقد دخل جبير بن مطعم على سعد بن أبي وقاص فعرض عليه بنتاً له فعقد عليها ، فلما خرج طلقها وبعث إليها بالصدّاق كاملاً ، فقيل له : لم تزوجتها ؟ فقال عرضها عليّ فكرهت ردها ، قيل فلمَ بعثت بالصدّاق كاملاً؟ قال : فأين الفضل؟ إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ .



آية الكرسي

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا
شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ

الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ البقرة: ٢٥٥

هذه آية الكرسي التي يعني بها الناس فيحفظونها ويقرؤونها صباح مساء وبعالجون بها المرضى بالرقية لما فيها من أسرار عظيمة ومعان بليغة وعقائد شاملة ، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة منها حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " سُورَةُ الْبَقَرَةِ فِيهَا آيَةٌ سَيِّدُ آيِ الْقُرْآنِ ، لَا يَقْرَأُ فِي بَيْتٍ وَفِيهِ شَيْطَانٌ إِلَّا خَرَجَ مِنْهُ آيَةُ الْكُرْسِيِّ " [المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب فضائل القرآن].

آية الكرسي لها شأن عظيم ، وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل آية في كتاب الله صلى الله عليه وسلم وفيها اسم الله الأعظم كما جاء في الحديث : عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " إِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ لَفِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ : فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ ، وَطِهَ " ، فالتمسئها فوجدت في سورة البقرة آية الكرسي : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وفي سورة آل عمران : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وقال ابن كثير

وقد اشتملت على عشر جمل مستقلة متعلقة بالذات الإلهية وفيها تمجيد الواحد الأحد. [المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب الدعاء].

وورد في الحديث عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم ؟ " قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : " يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم ؟ " قال : قلت : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ف ضرب في صدري وقال : " وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا المنذر " [صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها].

إن الله لا إله إلا هو يعبد بحق والله متفرد بالألوهية موصوف بالحياة الأبدية واجب الوجود الحي الذي لا يموت القائم بذاته على تدبير خلقه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١ ، لا تغلبه ولا تستولي عليه سنة (نعاس) ولا نوم. مالك الملك ذو العرش والجبروت له ما في السموات وما في الأرض ذو البطش الشديد فعّال لما يريد لا يملك أحد الكلام يوم القيامة إلا بإذنه ولا يشفع أحد إلا بإذنه يعلم بالكليات والجزئيات ولا يُطلع على عمله أحداً إلا من شاء. ولا يحيط بعلمه أحد إلا بما شاء واسع الملك والقدرة، الأرض جميعاً في قبضته والسموات مطويات بيمينه وسع كرسيه . أي علمه . السموات والأرض.

فالكرسي : العلم كما قال ابن عباس والذي تقتضيه الأحاديث ان الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش والعرش أعظم منه... قال ابن زيد عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " ما السماواتُ السَّبْعُ في الكرسيِّ إلا كدراهم سبعة أوقيتٍ في تُرسٍ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

أي ان قدرة الله عظيمة شاملة هو القاهر لا يغلب ولا تحيط به الافهام والعقول جل شأنه.

هذه الآية تدلنا على عظم الله تعالى وعظم مخلوقاته وعظم قدرته فلا يؤوده ولا يتقله حفظ هذا الأمر العظيم.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ " [الدعاء للطبراني]، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد. ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله.

* * * * *

أحكام الربا

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٦

تضمنت هذه الآيات أحكام الربا وقد كان مباحاً في الجاهلية فنزل القرآن بتحريمه لأنه كسب لبعض الناس وخسران للآخرين، ولأنه فائدة لا تحصل من عمل أو سعي.

والربا الحرام هو أن تبيع أو تعوض مالاً أو حبوباً أو تمرّاً أو أي شيء على أن يرد إليك من جنسه، أي ذهباً بذهب ونقداً بنقد وحباً بحب وقطناً بقطن مع زيادة على المثل. أو منفعة تعود على هذا القرض فلو أقرض إنسان آخر مائة دينار مثلاً مدة ستة أشهر على أن يردها عند الأجل مائة وعشرة، أو على أن يردها إليه مائة فقط بشرط أن يوظف له ابنه أو يرقيه أو يساعده الحاكم في قضاء أمر من الأمور أو يؤجر له سكن بقيمة أقل أو يعرفه بشخص له عنده مصلحة فكله هذا ربا وحرام.

وإذا اختلفت هذه الأصناف : أي ذهباً بقمح مثلاً فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد، أي مقايضة من غير تأخير.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : جاء بلال إلى النبي صلى الله عليه وسلم بتمرٍ بزني ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " مِنْ أَيْنَ هَذَا ؟ " ، قال بلال : كَانَ عِنْدَنَا تَمْرٌ رَدِيٌّ ، فَبِعْتُ مِنْهُ صَاعَيْنِ بِصَاعٍ ، لِنُطْعِمَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : " أَوْهَ أَوْهَ ، عَيْنُ الرَّبَا عَيْنُ الرَّبَا ، لَا تَفْعَلْ ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْتَرِيَ فَبِعِ التَّمْرَ بِبَيْعِ آخَرَ ، ثُمَّ اشْتَرِهِ " [صحيح البخاري - كتاب الوكالة]

وقد كان من مزاعم العرب في الجاهلية، ان الشيطان يخبط الإنسان فيصرعه، وان الجنّي يمسه فيختلط عقله، فلذلك يقال جُن الرجل فصور الله حال المتعاملين بالربا حينما يبعثون من قبورهم يوم القيامة بصورة بشعة يعرفونها في الدنيا وتمثلها عقولهم مخيفة تلك الصورة هي ان الذين يتعاملون بالربا أخذاً أو عطاءً أو شهادةً لا يقومون من قبورهم يوم البعث إلا في حال من الصرع والفرع، ويقومون فيسقطون، وينهضون فيقعون، ويهمسون ويصرخون ويضحكون ويكون كمثل شخص يخبطه الشيطان في كل جزء من جسمه فيصيبه بمس وصرع، وهذيان وجنون فيتحرك من غير أئزان أو أستواء. ويقول ما لا يعي تحقيراً لهم وسخرية منهم، يبعثون وفي بطونهم ما أكلوا من الربا فتنفخ وتنقل فلا يقومون إلا وقعوا ولا ينهضون إلا سقطوا، وإنما يبعثهم الله بهذه الحال الشنيعة عقاباً لهم لأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا لأنه متلف للمال مهلك للناس فمن زجر نفسه وبلغه كلام ربه فامتنع عن الربا فله ما أخذه من قبل التحريم لا يرد منه شيئاً وأمره إلى الله في العفو عنه لأن الله أعلم بالنيات إن كان صادقاً في انتهائه عن الربا أم لا. أما الذين لا يتناهون عن أكل الربا وأخذه واستحلاله فهم لا شك من أصحاب النار ما كثون فيها مقيمون بها.

والله يمحق الريا ويذهب بركته ولا يقبل من صاحبه صدقة ولا حجاً ولا
جهاداً ولا صلة، ويبارك الله المال الذي أخرجت منه الصدقات وينميه في الدنيا
ويضاعف لصاحبه الثواب في الآخرة.

* * * * *

الشيخه الاموم عليه

أركان الإيمان

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ البقرة: ٢٨٥

عن أبي هريرة قال : لما نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ۚ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٨٥﴾ ، قال : فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، فاتوا رسول الله ﷺ ثم بزكوا على الركب ، فقالوا : أي رسول الله ، كلفنا من الأعمال ما نطبق ، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها قال رسول الله ﷺ : " أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير " قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، فلما افتراها القوم ، نزلت بها أسنتهم ، فأنزل الله في إثرها : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [صحيح مسلم - كتاب الإيمان]

هناك إيمان ناقص وإيمان مشوه وإيمان باطل قائم على الأوهام والخرافات كإيمان الوثنيين .

إن الإيمان كلمة مقدسة عظيمة ذات مدلول عميق وخطير وهو التصديق الخالص بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

والإيمان بالله هو التصديق به وبصفاته ورفض الأصنام وكل معبود سواه، إنه التصديق بأن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزّه عن صفات النقص وأنه واحد فرد صمد خالق المخلوقات متصرف فيما يشاء ويفعل في ملكه ما يشاء.

والإيمان بالملائكة هو اعتقاد وجودهم وإنهم عباد الله وهم جنوده يفعلون ما يؤمرون.

والإيمان بالكتب السماوية هو التصديق بكل ما أنزل الله على الأنبياء من الوصايا والأحكام والشرائع والأخلاق وعدد هذه الكتب والصحف.

والإيمان بالرسول رسل الله والاعتقاد بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى الذي أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم.

والإيمان باليوم الآخر وهو التصديق بيوم القيامة وأن الساعة آتية لا ريب فيها والإيمان بالحشر والنشور والحساب والميزان والصراف والجنة والنار.

والإيمان بالقدر وهو التصديق بأن الله قد قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه ساعة وقوعها ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩

آمن الرسول وأمنّا نحن من بعده ونقول (سمعنا وأطعنا ما أمرنا به) ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا وإليه المرجع والمآب.



يسر التكاليف الشرعية

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى

أَلْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ البقرة: ٢٨٦

عندما نزلت الآية: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ : ٢٨٤ إشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، ومكثوا بذلك حولاً فأنزل الله تعالى الفرج والراحة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية فنسخت هذه الآية الآية ما قبلها، قال النبي ﷺ: " إِنْ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ، مَا لَمْ يَفْعَلُوا أَوْ يَتَكَلَّمُوا بِهِ " [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

الإسلام دين اليسر والسماحة فلا عناء ولا مشقة في تكاليفه ليكون المسلمون في راحة وطمأنينة قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥ وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨ وقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن: ١٦، ومن مزيد فضل الله تعالى أَنْ عَلَّمَنَا الدعاء فقال سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر: ٦٠، وقال أيضاً: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة: ١٨٦

وفي أواخر سورة البقرة هناك أدعية مستجابة بحمد الله.

حيث قال السدي : لما نزلت هذه الآية فقالوها أي دعوا بها قال جبريل للنبي ﷺ : (قد فعل الله لهم ذلك يا محمد) فهذه دلالة على ان هذه الدعوات السبع مستجابة بإذن الله.

أول هذه الدعوات وثانيها : ربنا لا تؤاخذنا على النسيان الغالب والخطأ المقصود وأكد النبي ﷺ رفع ثواب الخطأ والنسيان والإكراه ... عن ابن عباس ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ " [السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الخلع والطلاق]

ثالث هذه الدعوات : ربنا لا تحمل علينا شيئاً أو حملاً ثقیلاً لا نستطيع حمله من المشاق والمتاعب الشديدة حيث كانت الأمم السابقة لعنادهم وعتوهم تكاليفهم شاقة فتوبتهم مثلاً من الذنب تقتل النفس.

ورابع هذه الدعوات : ربنا ولا تحملنا ما لا نستطيع عليه من العقوبة وتشدد علينا كما شددت على من كان قبلنا.

وخامس هذه الدعوات وسادسها وسابعها : ربنا أعف عنا فيما أخطأنا وأغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا فأنت متولي أمورنا وأنصرنا على القوم الكافرين يا رب العالمين.

هذه الأدعية ذات غرض واحد وهو دخول الجنة فليحرص المؤمن على الدعاء بها وتكرارها... عن أبي مسعود ذَكَرَ قولَ النبي ﷺ : " أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفْتَاهُ " [صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن] أي عن قيام الليل.

وقال علي ابن أبي طالب عليه السلام : [ما أظن أحداً عقَلَ وأدرك الإسلام ينام حتى يقرأها].

عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فَضَّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثِ جُعِلَتْ الْأَرْضُ كُلُّهَا لَنَا مَسْجِداً ، وَجُعِلَتْ تَرْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً ، وَجُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ ، وَأُوتِيَتْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَ مِنْهُ أَحَدٌ قَبْلِي ، وَلَا يُعْطَى مِنْهُ أَحَدٌ بَعْدِي " [السنن الكبرى للنسائي - كتاب فضائل القرآن]

* * * * *

وفد نجران

وبيان صفات الله الخارقة وعلمه الدقيق الشامل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ١ ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ٢ ﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
 لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿ ٣ ﴾ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿ ٤ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا
 يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿ ٥ ﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ
 كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ ٦ ﴾ آل عمران: ١ - ٦

سورة آل عمران سورة مدنية وسميت بذلك لأن بضعاً وثمانين آية ورد فيها قصة تلك الأسرة الفاضلة ، أسرة آل عمران ومنها كان : عيسى ويحيى عليهما السلام ومريم العذراء وأمها وما تجلى فيها من مظاهر القدرة الإلهية بولادة مريم البتول وابنها عيسى عليهما السلام ، ومن أسماء السورة : الزهراء ، والأمان ، والكنز ، والمجادلة ، والاستغفار ، وطيبة. عن النواس بن سمعان ، قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول : " يوتى بالقرآن يوم القيامة وأهلُه الذين كانوا يعملون به تقدمُهُ سورة البقرة وآل عمران " [صحيح مسلم- كتاب صلاة المسافرين وقصرها]

نزلت هذه الآيات في وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً فيهم أربعة عشر من أشرافهم منهم ثلاثة من أكابرهم : (عبد المسيح) أميرهم و (الأيهم) مشيرهم و (أبو حارثة بن علقمة) حيزهم ، فقدموا على النبي فنكلم منهم أولئك

الثلاثة معه فقالوا تارة عيسى هو (الله) لأنه كان يحيي الموتى ، وتارة (ابن الله) إذ لم يكن له أب وتارة (ثالث ثلاثة) لقوله تعالى : (فعلنا وقلنا) ولو كان واحداً لقال (فعلت وقلت) فقال لهم رسول الله : أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يموت ! قالوا : بلى ، قال : أستم تعلمون أنه لا يكون له ولد إلا ويشبه أباه ! قالوا : بلى ، قال : أستم تعلمون أن ربنا قائم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه ، فهل يملك عيسى شيئاً من ذلك ؟ قالوا : لا ، قال : أستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، فهل يعلم عيسى شيئاً من ذلك إلا ما علم ؟ قالوا : لا ، قال : أستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وأن عيسى كان يأكل الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث ! قالوا : بلى ، فقال : فكيف يكون كما زعمتم ؟ فسكتوا وأبوا إلا الجحود فأنزل الله تعالى من أول سورة آل عمران إلى نيف وثمانين آية.

[الفخر الرازي وابن كثير]

الله الإله الحق لا معبودَ بحق في الوجود إلا هو الحي الدائم الحياة التي لا أول لها ولا آخر أنزل الله القرآن على نبيه محمد ﷺ مقروناً بالحق ومصداقاً لما تقدمه من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء منها التوراة التي أنزلها الله على نبيه موسى والإنجيل الذي أنزله على عيسى وهذه الكتب تتضمن هدايه للناس وتفريق الحق عن الباطل وفيها الحجج والبراهين. والذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد بما نَسوا يوم الحساب في الآخرة وبما كانوا يظلمون والله القوي الغالب منتقم جبار ممن يشرك به شريكاً آخر وهو الذي لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء.

ومن مظاهر قدرته التي لا تتوفر لغيره انه هو الذي يصور ويكوّن البشر في الارحام كيف يشاء من ذكور وإناث وصفات فهو الخالق المبدع لا إله إلا هو العزيز (الغالب) الحكيم (ذو الحكمة أو المحكم في مخلوقاته).

المحكم والمتشابه في القرآن

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْعِمَادَ ﴿٩﴾

آل عمران: ٧ - ٩

آيات القرآن نوعان : محكمات أي ظاهرات الدلالة لا خلاف في معناها ومن الآيات المحكمات جميع الآيات المتعلقة بالتكاليف الشرعية التي تخص العبادة مثل : فرائض الصلاة والصيام والحج والزكاة والإحسان إلى الوالدين وتحريم النساء المحرمات والمأكولات والمشروبات كالميتة والدم ولحم الخنزير والمذبح لغير الله وكون الأنبياء والرسل بشراً مثلنا اختارهم الله لهداية الناس.

أما الآيات المتشابهات : أي التي لم يظهر معناها ولم يتضح وتحتمل أكثر من معنى وهذه الآيات لا تتعلق بالتكاليف الشرعية، والعلم بها نوع من الترف العقلي أو الفلسفة التي يختص بها بعض العلماء وأهل النظر والفكر.

وهي أنواع : منها لا يماشي العلم بها إطلاقاً مثل الروح : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ والغيبيات : كعلم الساعة وخروج يأجوج ومأجوج والآجال ونزول عيسى عليه السلام والحروف المقطعة في أوائل السور ، ومن الآيات المتشابهات له أكثر من معنى في اللغة كقوله تعالى : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقْنَهَا إِلَى مَرِّمٍ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ النساء: ١٧١. وقوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ آل عمران: ٥٥ ، وقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ طه: ٥ ، وقوله سبحانه : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الفتح: ١٠ ، فهذه الآيات تحتل عدة معانٍ فهي مما استأثر بعلمها الله سبحانه وتعالى. وقد يعلم بعض جوانبها الراسخون في العلم، إذا كانت ذات ظواهر علمية دنيوية ودور العلماء منها إدراك بعض النواحي المتعلقة بالحس والعقل وترك حقيقة الغيبات إلى الله تعالى سبيلهم التسليم قائلين ﴿ أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ والسبب على اشتمال القرآن على بعض الآيات المتشابهات هو تمييز الصادق الإيمان من ضعيفه وإعطاء الفرصة لعقل المؤمن من أجل البحث والنظر والتأمل حتى يصل إلى حد العلم الناضج. ولكن لا يصح أن يتصيد أحدٌ من المتشابهات ما يتفق مع هواه وضلاله وانحرافه، فيجب الالتزام بالعقيدة الصحيحة ولذلك أهل العلم والراسخون به يقولون : ربنا لا تمل قلوبنا عن الإيمان ورحمنا ووقفنا إلى الخير والسادد إنك أنت الوهاب، ربنا إنك جامع الناس يوم القيامة يوم لا شك فيه فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وأهدنا إنك لا تخلف الميعاد.



حب الدنيا

قَالَ تَعَالَى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ
ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴾ [آل عمران: ١٤]

من هو المُزِين للشهوات؟ قيل: هو الشيطان، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ وتزيين الشيطان: وسوسته وتحسينه الميل إليها، وقيل المزين: هو الله تعالى ويدل عليه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾، وتزيين الله للابتلاء ليظهر عبداً الشهوة من عبداً المولى، وهو ظاهر قول عمر: " اللهم لا صبر لنا على ما زينت لنا إلا بك " [قوائد تفسيرية من التفسير الموضوعي للحافظ المتقن]

الإسلام دين الاعتدال والاعتزان فليس العمل في مجاله مقصوراً على الدنيا ولا مقصوراً على الزهد وإنما هو دين شامل لمصالح الدنيا والآخرة ويقترن فيه العمل والاعتقاد والعبادة والاحتراف قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ الأعراف: ٣٢.

ليس ممنوعاً على المسلم حب الدنيا ومظاهرها ولكن الممنوع المبالغة في الإسراف فيها والاقتصار عليها حتى تغطي على الناحية الدينية وتُهمل أمور الآخرة ولذا وبخ الله تعالى الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة.

لقد زين الله حب الدنيا للناس وغرس حبها في قلوبهم من أجل تعمير الدنيا وتقدمها فلو لم يحبها الناس لأهملوها وقصّروا في بناء معالمها، وشهوات الدنيا تشتمل على النساء والأبناء وتكديس الأموال وجمع الخيول المسوّمة التي ترعى في المروج والمراعي واقتناء المواشي وزرع الحبوب وإعداد البساتين وذلك كله متاع الحياة الدنيا وزينتها.

تذم هذه الأشياء إذا كانت سبباً للشر والبعد عن الله وعند ذلك تكون خطراً على صاحبها ، أما إذا كانت سبباً في الخير ولم تمنع صاحبها من القيام بواجباته الدينية والخيرية والإنسانية فتكون خيراً له وعند الله حسن المرجع والمآب.



الشهادة العظمى بوجود الله ووحدانته

قَالَ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلْتُمْ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

آل عمران: ١٨ - ٢٠

لَمَّا ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ قَدِمَ عَلَيْهِ حَبْرَانِ مِنْ أَحْبَارِ أَهْلِ الشَّامِ فَلَمَّا أَبْصَرَا الْمَدِينَةَ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ بِصِفَةِ مَدِينَةِ النَّبِيِّ الَّذِي يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَرَفَاهُ بِالصِّفَةِ وَالنَّعْتِ، فَقَالَا لَهُ: أَنْتَ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ" قَالَا وَأَنْتَ أَحْمَدُ؟ قَالَ: "نَعَمْ" قَالَا: إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنِ شَهَادَةِ فَإِنْ أَنْتَ أَخْبَرْتَنَا بِهَا آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "سَلَانِي" فَقَالَا: أَخْبَرْنَا عَنْ أَعْظَمِ شَهَادَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ ﴾ فَأَسْلَمَ الرَّجُلَانِ وَصَدَّقَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

قال القرطبي: في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء فلو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء،

وبكفي شرف العلم قوله تعالى لنبيه : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ، وعن أبي الدرداء قوله ﷺ : " ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، " [سنن الترمذي . الجامع الصحيح - كتاب العلم]

وفي قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) إِنَّ الَّذِيكَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ ﷻ ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : " يُجَاءُ بِصَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فيقولُ اللهُ ﷻ : عِبْدِي عَهْدٌ إِلَيَّ ، وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ وَفَى بِالْعَهْدِ ، أَدْخِلُوا عِبْدِي الْجَنَّةَ " [المعجم الكبير للطبراني]

شهد الله سبحانه وتعالى أنه لا إله إلا هو، والملائكة والعلماء من الناس عَمِلُوا وَبَيَّنُّوا وَحَكَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ. والله سبحانه وتعالى حين يشهد بذلك عادل بين خلقه فلا شهادة بعد شهادته ولا يستحق العبادة غيره لأنه هو الواحد الذي لا شريك له إِنَّ الطاعة الحقيقية هي طاعة الله والانقياد له تذللًا وخضوعًا بالألسنة والقلوب. والذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أول أمرهم أمناء على دينهم فلما مضى بعض الزمن وتعلق الناس بالدنيا وقعت الفرقة بينهم وقاتل بعضهم بعضاً وتكروا لدينهم ولم يكن ذلك جهلاً للدين بل حب السلطان غطى على بصائرهم فعموا عن حقيقة دينهم الذي ينبئهم أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ وَأَنَّ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، ويقول الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ فإذا جادلَكَ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ مَجَادِلَةً بَاطِلَةً فَأَعْرَضْ عَنْهُمْ وَفَوِّضْ أَمْرَكَ أَنْتَ وَمَنْ اتَّبَعَكَ إِلَى اللَّهِ وَقُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمَجَادِلِينَ سِوَاءَ أَكَانُوا كِتَابِيِّينَ أَمْ غَيْرِ كِتَابِيِّينَ : (أَسْلَمُوا) فَإِنْ أَطَاعُوا فَسَلِّمُوا فَتَدَاوَى اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَسْلَمُوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ أَنْ تَبْلُغَ مَا نُزِّلَ عَلَيْكَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ وَبَصِيرٌ بِالْعِبَادِ .



موالاة الأعداء

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَهُ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ آل عمران: ٢٨

قال ابن عباس : كان الحجاج بن عمرو وكهمس بن أبي الحقيق وقيس بن زيد ، وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفراً من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم ، فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر : اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم ، فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم وملازمتهم فأنزل الله : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

ويقال في سبب نزول آية النهي عن موالاة الأعداء وهو ما قاله الكلبي : نزلت هذه الآية في المنافقين، عبد الله بن أبي وأصحابه : كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ.

وقال جبير عن الضحاك عن ابن عباس : نزلت في عبادة بن الصامت الأنصاري وكان بديراً نقيباً وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي ﷺ يوم الأحزاب ، قال عبادة : يا نبي الله إن معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت أن يخرجوا معي فأستظهر بهم على العدو فأنزل الله تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

المسلم قاعدة صلبة وأمينة في بنية المجتمع الإسلامي فلا يفرط في حق من حقوق أمته ولا يغدر ولا يخون ولا يغش أحداً ولا يكون جاسوساً للأعداء ولا يظهر اللطف لهم والميل إليهم إلا بمقدار ما تقتضيه المصلحة العامة العليا ولا يناصر الأعداء ولا يعمل ضد مصلحة أمته المؤمنة.

وهذا ما حذر منه القرآن الكريم في آيات كثيرة وهدد المخالفين المتواطئين على مصلحة الأمة الإسلامية.

فلا يجوز موالاته الأعداء ومناصرتهم فهذا أمر لا يقره الدين في أي حال إلا في حال الخوف منهم واتقاء أمر يجب اتقاؤه كالقتل وقطع الأعضاء والضرب بالسوط والسجن والتهديد والوعيد وسائر أنواع التعذيب وذلك إذا كان المرء في دار الأعداء فإذا داراهم أحياناً باللسان فقط وتحاشى آذاهم فذلك أمر جائز شرعاً ويكون المؤمن في هذه الحال مكرهاً والله أعلم بهذا.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ النحل: ١٠٦

عَنْ أَبِي الدرداء ، قال : ((إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ ، وَنَضْحَكُ إِلَيْهِمْ ، وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ)) . [شعب الإيمان للبيهقي]

ويحذر الله عقابه الصارم للناس إن خالفوه والله رعوف بالعباد إن أطاعوه والتزموا الأوامر واجتنبوا النواهي.



غزوة أحد

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ ﴿١٣٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٣٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ. وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٣٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٣٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٣٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٩﴾ آل عمران: ١٢١ - ١٢٩

وقعت غزوة أحد في شوال من السنة الثالثة للهجرة وهي غزوة كان فيها امتحان للمسلمين وابتلاء لهم. وفيها كانت مواقف للمسلمين ومواقف للمنافقين وفيها دلائل للنبوّة وتأييد لمحمد ﷺ.

سببها انه عاد المشركون من (بدر) إلى مكة بعد أن هزمهم المسلمون ووجدوا التجارة التي أقبّل بها أبو سفيان من الشام موقوفة في دار الندوة لم

يتصرفوا فيها. فرأى أصحاب التجارة أن يتبرعوا بها لتجهيز جيش لقتال محمد وأصحابه، وباعوا العير وكانت مكونة من ألف بغير و سلع كثيرة قيمتها خمسون ألف دينار فأقبل الناس على شرائها وأغلوا ثمنها إلى الضعف ثم بعثوا وفوداً منهم إلى العرب يستنفروهم وجهزوا جيشاً كبيراً لغزو محمد ﷺ وكان جيشهم مكوناً من ثلاثة آلاف رجل وثلاثة آلاف بغير وخمس عشرة ضعينة (الضعينة : المرأة في هودجها) وبعض نساء مكة يبكين قتلى بدر.

كتب العباس بن عبد المطلب عم محمد ﷺ كتاباً إليه يخبره بذلك فبعث رسول الله العيون وبث الأرصاء فعرفوا أنهم نزلوا في أحد على خمسة أميال من المدينة. ثم أروعوا إبلهم فلم يتركوا خضراء، فلما أخبروه بذلك قال : لا تذكروا من شأنهم شيئاً حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أجول وبك أصول. ولعله كان يريد الكتمان حتى لا تفتخر عزائم المسلمين.

وبانت وجوه الأوس والخزرج عليهم السلاح بباب النبي ﷺ خشية هجوم المشركين على المدينة.

عن جابر بن عبد الله ، قال : استشار رسول الله ﷺ الناس يوم أُحدٍ فقال : " إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي لَفِي دِرْعِ حَصِينَةٍ وَكَأَنَّ بَقْرًا تَنَحَّرُ وَتُبَاعُ فَفَسَّرْتُ الدَّرْعَ الْمَدِينَةَ وَالْبَقْرَ نَفْرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ ، فَلَوْ قَاتَلْتُمُوهُمْ فِي السَّكَاكِ فَرَمَاهُمْ النَّسَاءُ مِنْ فَوْقِ الْحَيْطَانِ " قَالُوا : فَيَدْخُلُونَ عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ مَا دُخِلَتْ عَلَيْنَا قَطُّ وَلَكِنْ نَخْرُجُ إِلَيْهِمْ قَالَ : " فَشَأْنُكُمْ إِذَا " قَالَ : ثُمَّ نَدِمُوا فَقَالُوا : رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأْيَهُ فَأَتَوْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَأَيْتَكَ فَقَالَ : " مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَلْبَسَ لِأُمَّتِهِ ثُمَّ يَضَعُهَا حَتَّى يُقَاتِلَ " [السنن الكبرى للنسائي - كتاب التعبير]

كان من رأي الرسول ﷺ للمسلمين أن يمكثوا في المدينة وأن يجعلوا النساء في البيوت المرتفعة ، فإذا دخلوا علينا قاتلناهم لم يطمئن لهذا الرأي فتيان

أحداث لم يكن لهم شرف المشاركة في بدر وهم يحبون لقاء العدو ، ويرجون الاستشهاد في سبيل الله فقالوا : أخرج بنا إلى عدونا ، وقال بعض الأنصار : إنا نخشى يا رسول الله أن يظنّ الأعداء إنا كرهنا الخروج إليهم جُبناً عن لقاءهم، وكنت يا رسول الله في بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم ، ونحن اليوم نفر كثير وقد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به، وألحوا على رسول الله فأخذ برأيهم وأمرهم بالجهاد وأخبرهم ان النصر لهم فاصبروا ، ففرح بعض الناس بالخروج .. وكره بعضهم وعتبوا على إخوانهم، وبينما هم في جدلهم خرج رسول الله ﷺ وهو لابس (درعه) فقالوا يا رسول الله : ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك فقال: قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم ، ولا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته (درعه) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه... فامضوا على أسم الله ولكم النصر ما صبرتم.

عقد النبي بعد ذلك ثلاثة ألوية : لواء للأوس ولواء للخزرج ولواء للمهاجرين ، وخرج في جيشه للقاء الكفار وكان عددهم سبعمائة ليقاتلوا ثلاثة آلاف من القرشيين .. فخطبهم خطبة نصحهم أن يوطنوا أنفسهم على الصبر واليقين والجد والنشاط وأن يجتنبوا الخلاف والنزاع.

نشبت الحرب بين الفريقين فقتل عليّ طلحة بن أبي طلحة كبش الكتيبة. وسارت نساء قريش أمام الجيش يضرين بالدفوف والغرابيل ثم يرجعن وراء الصفوف عند التحام الجيشين حتى إذا رأين فاراً عيرنه وذكرنه قتلى بدر ، وتقدم رسول الله ﷺ إلى الرماة وقال لهم : أحموا ظهورنا فإننا نخاف أن نؤتى من ورائنا والزموا مكانكم فإذا رأيتمونا نقتل فلا تُعينونا ولا تدفعوا عنا ، اللهم إني أشهدك عليهم وأرشفوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لا تُقدّم على النبل.

حَمِيَّ الوطيسَ وَحَمِيَّ الرِّمَاءِ ظهورَ المسلمين ورشقوا خيلَ المشركين بالنبل فولَّت هوارب وشد المسلمون على كتائب المشركين حتى أَخْتَلَّت صفوفهم ، ولما قتل صاحب لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة تبعه أولاده الأربعة الذين تناوبوا اللواء واحداً بعد واحد فنذرت أمهم وكانت مع نساء المشركين لتشربن الخمر في قحف رأس عاصم بن ثابت لأنه قتل اثنين من ولدها . والقحف : العظم الذي فوق الدماغ .

وولَّى المشركون منهزمين ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدفوف والفرح ، ولكن المسلمين أصابهم بعد ذلك ما أصابهم بسبب الرماة ، حيث قال بعضهم لبعض : لِمَ تقيمون ها هنا من غير شيء ؟ قد هزم الله العدو وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم فأدخلوا وأغتموا مع إخوانكم فأصبح الخلاف بينهم فمنهم من أصرَّ على البقاء ولم يبرح مكانه لأن النبي ﷺ أوصاهم بهذا ومنهم من ذهب ليغنم ويقوا دون العشرة مع أميرهم .

وبينما المسلمون مشغولون بجمع الغنائم دهمتهم خيول المشركين وفرسانها من ورائهم وقتلوا فيهم تقتيلاً ذريعاً وتفرق المسلمون وتركوا ما نهبوا وخلَّوا من أسروا وشاع بينهم أن محمداً قد مات واختلط المسلمون وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضاً من العجلة والدهشة بعد ذلك علموا أن الرسول ﷺ حي مع أصحابه يقاتل ثم أنطلق إلى الشعب في جماعة من أصحابه وليس لهم لواء قائم والمشركون في سعة الوادي يقبلون ويدبرون فلا يرون أحداً يردهم أو يفرق سبيلهم . وأصيب النبي في هذه الغزوة وكسرت ربايعيته ودميت شفاهُ وشجَّ في وجنتيه ، وأصيبت ركبته ... عن أنسٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ ، وَيَقُولُ : " كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا

نَبِيَّهُمْ ، وَكَسَرُوا رِيَابِعِيَّتَهُ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ؟ " ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير]

وكان في جيش المسلمين نساء مسلمات عددهن أربع عشرة امرأة منهن فاطمة وعائشة وأم أيمن. وكن يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم منهن خارجات لخدمة الجيش لا لتشجيعه على الظلم والبغي كما فعلت نساء قريش وإن من نساء المسلمين من قاتلت في ذلك اليوم ودافعت عن النبي ﷺ وتلك (أم عمارة) نسيبة بنت كعب الأنصارية. فقد خرجت يوم أحد هي وزوجها وابناها ومعها قرية لتسقي الجرحى فقاتلت وأبليت بلاءً حسناً حتى جرحت اثني عشر جرحاً بين طعنة برمح أو ضربة بسيف.

وكانت هند بنت عتبة أول من مثل بقتلى المسلمين وأمرت نساء المشركين أن يمتلن بهم فجذعن أنوفهم وأذانهم وجعلت لنفسها منها قلائد وأقراطاً.

وطلع رسول الله بعد ذلك هو والذين قاتلوا معه في الشَّعْب فلما رأوه سرُّوا حتى كأنهم لم تُصبهم مصيبة في أنفسهم وبينما هم على ذلك ردَّ المشركون عليهم فلم يشعر المسلمون إلا وهم فوقهم ، فندب النبي أصحابه لقتالهم فحملوا عليهم فانكشفوا وكان رسول الله ينلو : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٤

ثم ألقى الله النعاس على المسلمين فناموا ثم هبوا من نومهم كأن لم تصبهم مثل ذلك نكبة.

وقال أحد المسلمين : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا فأنزل الله ﴿ إِذْ نُصِّدُونَكَ وَلَا تَكُلُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَبِكُمْ ﴾

فَأَثَبَكُمْ عَمَّا يَعْمَرَ لِكَيْلًا تَحَزِنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ
 خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ
 قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ
 إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا
 هَهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي
 صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ
 الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ

﴿١٥٥﴾ آل عمران: ١٥٣ - ١٥٥



إرشاد المؤمنین للخیر

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
 وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ
 الْعَيْطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا
 فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ
 اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَن يَصِرْ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ
 جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
 وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦

قدّم الله سبحانه وتعالى المغفرة على الجنة لأنّ التخلية مقدّمة على التحلية .. فلا يستحق دخول الجنة من لم يتطهر من الذنوب والآثام.

كتب هرقل إلى النبي ﷺ: إنك دعوتني إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، فأين النار؟ قال النبي ﷺ: " إذا جاء الليل فأين النهار؟ " [مسند أحمد بن حنبل]

أمر الله تعالى باتقاء النار التي أعدت للعصاة والكافرين واتقاؤها يكون بطاعة الله وامتنال أوامره وترك المعاصي والمنكرات. وقد أعدّ الله سبحانه وتعالى جهنم للعصاة والدرك الأسفل من النار للمنافقين الذين يظهرون الإيمان والإسلام ويبطنون الكفر.

وقد أمرنا الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ " [صحيح البخاري- كتاب الأحكام]

والطاعة تتطلب المبادرة إلى فعل الخير وما يوجب المغفرة وجزاء المطيعين جنات فسيحات واسعات عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للمتقين الذين أطاعوا الله والرسول ومن أوصافهم :

- الذين ينفقون في السراء والضراء أي في الشدة والرخاء.
- ويكتمون غيظهم ويملكون أنفسهم عند الغضب.
- يعفون عن مساويئ الناس ويتجاوزون عنها بطيب خاطر.
- وإذا فعلوا ذنباً أو فاحشة كالزنا والربا والغيبة والنميمة أو ذنباً صغيراً لا يتعدى إلى غيرهم ذكروا عقاب الله وما أعد للظالمين والعاصين فيرجعون إلى الله بالتوبة إليه والندم على ما فعلوا.

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴾ قال ابن عباس ، في رواية عطاء : نزلت الآية في نبهان التمار أخته امرأة حسناء ، باع منها تمراً فضمها إلى نفسه فقبلها ثم ندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك له ، فنزلت الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

أولئك جزاؤهم مغفرة من الله ورضوان من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار ماكنين فيها أبداً ولهم نعيم مقيم دائم ونعم ثواب العاملين المخلصين.



اتخاذ الأسباب لتحقيق العاقبة الطيبة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَجْرٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَجْرٌ مِّثْلَهُ ۗ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

آل عمران: ١٣٧ - ١٤٠

يقرر القرآن الكريم قاعدة ثابتة في الحياة وهي ان مشيئة الله تسير على نظم ثابتة ربطت فيها الأسباب بالمسببات والنتائج مع ان الله قادر على كل شيء فإذا سار الإنسان على طرق سليمة نجح وإن سار على طرق غير مألوفة وغير معقولة كان من الخاسرين.

قد مضت أمم قبلكم كعاد وتماد وكان لكل أمة مع نبيها قصة فآمن من آمن وكفر من كفر والكافرون أمهلهم الله ونبههم إلى سوء العقبى ثم عاقبهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فيا أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام لا تضعفوا بسبب ما لحقكم من المصيبة في أحد قُتِلَ من قُتِلَ وجُرح من جُرح ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة فأنتمظهرتم عليهم في غزوة بدر وستظهرون عليهم وتنتصرون في غزوات أخرى.

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْرُؤُوا ﴾ الآية ، قال ابن عباس : انهزم أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد فبينما هم كذلك إذ أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلوا عليهم الجبل ، فقال النبي ﷺ : " اللهم لا يعلون علينا الجبل ، اللهم لا قوة لنا إلا بك ، اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء نفر " فأنزل الله تعالى هذه الآيات وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم ، فذلك قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] وإن كنتم أصبتم بالقروح وتألتمت من الجروح في غزوة أحد قد أصيب الكفار بمثلها في غزوة بدر والأيام دُول فيوم لنا ويوم علينا ويوم نُسَاء ويوم نُسر ، فالحرب سجال والفرق بينكم : أن قتلكم في الجنة وقتلاهم في النار والله يكرم الشهداء والله لا يحب العاصين لأوامره والذين لا يثبتون على الإيمان .

قوله تعالى : ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ ، أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة ، قال : لما أبطأ على النساء الخبر خرجن يستخبرن ، فإذا رجلان مقتولان على دابة ، أو على بعيرٍ فقالت امرأة من الأنصار : من هذان الرجلان؟ قالوا : فلان وفلان أخوها وزوجها أو زوجها وابنها ، فقالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : حي ، قالت : فلا أبالي ، يتخذُ الله من عباده الشهداء ، ونزل القرآن على ما قالت فيجب أن نعلم أن اتخاذ الأسباب المهيأة للرزق والنصر مثلاً أمرٌ متفق مع مبدأ الإيمان بقدرة الله الشاملة في إيجاد ما يشاء . والله يميز الخبيث من المحسن والمجاهد من المتقاعس والقوي من الضعيف . فإذا أردنا النجاح والانتصار فلنعمل ونجاهد ولنثبت لذاتنا مع إيماننا بقدرة الله تعالى وقوله : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .



الأخلاق النبوية

قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا فَظَنَّ اللَّهُ لَكُمْ أَنَّهُ غَافِلٌ بِكُمْ فَذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّزِرُونَ﴾
 لَأَنْفُسُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
 فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ
 وَإِنْ يَخَذِلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ آل عمران: ١٥٩ - ١٦٠

اشتملت هذه الآيات على مقومات نجاح الدعوة النبوية وأصول الحكم الإسلامي ومنهج التعامل مع الناس وأول هذه المقومات :

إلانة قلب النبي ورحمته الشاملة بالناس فالله تعالى جعل نبيه سهل المعاملة لين الكلام والإرشاد شديد العطف إذ لو كان شديد النفس غليظ القلب لانتفض الناس من حوله ولكن الله جعله رحمة مهداة للعاملين قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧ وجعله المثل الأعلى الكامل في الخلق والمعاملة حتى امتدحه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤ .

ومن هذه المقومات التي أمر الله بها نبيه : أن يعفو ويصفح عن أخطاء قومه وأن يقابل الإساءة بالحسنة ويستغفر لهم إذا وقعوا في أخطاء، وكذلك من مقومات الإسلام ودعوته : الشورى فهي من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام. وقد مدح الله المؤمنين بقوله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى: ٣٨

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " مَا خَابَ مَنْ اسْتَخَارَ ، وَلَا نَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ ، ... " [المعجم الأوسط للطبراني]

وعن أبي هريرة : قال : قال رسول الله ﷺ : " الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ " [سنن أبي داود وابن ماجه والترمذي . كتاب الأدب]

ومن مقومات العقيدة الإسلامية التوكل على الله وتفويض الأمر والشأن له سبحانه ولكن بشرط اتخاذ الأسباب واقتران التوكل بالطاعة والجد في العمل.

وقد نبه الله تعالى قائلًا : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ أي إلزموا الأمور التي أمركم بها وواعدكم النصر فما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ محمد: ٧ .



المقومات الإسلامية / آية الاغلال

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَ وَمَنْ يَعْلَلْ يَأْتِ بِمَا عَلَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٦١) أَفَمِنْ أَتَبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦٣) آل عمران: ١٦١ - ١٦٣

عن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ البراءَ يُحدِّثُ ، قال : جعل رسولُ الله ﷺ على الرِّمَاءِ يومَ أُحدٍ وكانوا خمسين رجلاً عبدَ الله بنِ جُبَيْرِ ، وقال : " إن رأيتُمونا تَخَطَّفْنَا الطَيْرُ ، فلا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ هذا حتى أُرْسِلَ لَكُمْ ، وإن رأيتُمونا هَرَمْنَا القَوْمَ وَأوطَانَاهُمْ فلا تَبْرَحُوا حتى أُرْسِلَ إليكم " قال : فَهَزَمَهُمُ اللهُ . قال : فأنا والله رأيتُ النِّسَاءَ يُسْنِدْنَ على الجَبَلِ ، فقال أصحابُ عبدِ الله بنِ جُبَيْرِ الغنيمَةَ . أي قوم الغنيمَةَ . : ظَهَرَ أصحابُكُمْ فما تَنْتَظِرُونَ ؟ فقال عبدُ الله بنِ جُبَيْرِ : أنسيئُ ما قال لكم رسولُ الله ﷺ فقالوا : والله لَنَأْتِيَنَّ الناسَ فَلنُصِيبَنَّ مِنَ الغنيمَةِ ، فَأَتَوْهُمْ فَصَرَفَتْ وُجُوهُهُمْ وَأقبلوا مُنْهَرَمِينَ . [سنن أبي داود- كتاب الجهاد]

وقال ابن عباسٍ : نزلت هذه الآية ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَ ﴾ في قطيفة حمراء افتقدت يوم بدرٍ . فقال بعضُ الناسِ : لعلَّ رسولَ الله ﷺ أخذها ، فأنزل اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَ ﴾ إلى آخر الآية . [سنن أبي داود ، جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

ومعنى الآيات : إن الله قد عصم الأنبياء من ارتكاب بعض الذنابات فلا يصح ولا يليق بمكانة نبي أن يأخذ شيئاً من الغنائم، لأن النبي هو المثل الأعلى في الخلق والكرامة للناس جميعاً ومن أخذ شيئاً في الدنيا بغير حق عوقب عليه في الآخرة ولا يظلم ريك أحداً.

ولا يستوي المحسن والمسيء والعدل يقضي بتفاوت درجات المحسنين ومنازلهم التي هي في الجنة والمسيئون في النار.

* * * * *

آفة الشهءاء والمجاهءءن عنء ربهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ وَفَضْلَهُ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ شَيْءٌ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ آل عمران: ١٦٩ - ١٧٥

إن الصراع قائم منذ القديم بين أتباع الدين الحق وبين الأعداء الذين يقاومون دعوة الأنبياء، ويحرصون على حفظ مصالحهم الدنيوية وزعاماتهم ومناصبهم ولا يسمحون للمستضعفين أن تكون لهم عزة وكرامة وقوة ومنعة لذا تنشأ الحروب ويكون الجهاد أمراً واجباً وفريضة لازمة.

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " لَمَا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ ﷻ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَشْرَبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ

وَحُسْنُ مَقِيلِهِمْ " قَالُوا : يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ بِمَا صَنَعَ اللَّهُ لَنَا ، لِيَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكَلُوا عَنِ الْحَرْبِ . فَقَالَ اللَّهُ ﷻ : أَنَا أَبْلَغُهُمْ عَنْكُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى رَسُولِهِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا ﴾ . [مسند أحمد بن حنبل] ، تحت المؤمنين على الجهاد ونصر الإسلام وإعلاء كلمة الله وُتُرغَّب في الاستشهاد في سبيل الله لأن للشهادة مكانة عالية عند ربهم فهم أحياء عند ربهم حياة من نوع خاص في عالم الغيب يمدهم الله برزق من الجنة هم فرحون مسرورون لما خصَّهم الله به من الكرامة، ثواب جزيل، ذكر خالد، حياة دائمة في كنف الله، وهم فرحون أيضاً بما وعد الله الذين يقاتلون في سبيله ولم يستشهدوا معهم واستمروا على الجهاد تحت راية رسول الله وإعلاء كلمة الحق ودين الله، فرحين لأنهم آمنوا عقاب الله ولا يحزنون على ما يتركون في الدنيا من نعيم زائل ومجد ضائع لأن ما عند الله خير وأبقى .

وهؤلاء المؤمنون الذين لن يُضَيِّعَ اللهُ أجْرهم هم الذين استجابوا لله ورسوله من بعد ما أصابهم من الجراح أثناء القتال فالذين يحسنون من هؤلاء ويخافون الله بتأدية الفرائض والتزام حدود الأوامر والنهي لهم أجر عظيم .

فلو سألنا : من هم الذين استجابوا لربهم من بعد ما أصابهم القرع؟ نقول : هم الذين دعاهم الرسول في اليوم التالي لغزوة أُحُد حيث أتى إليه عبد الله بن عمرو بن عوف المزني وأخبره انه رأى قریشاً يتشاورون ليرجعوا حتى يستأصلوا من بقي، فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر لهما ذلك فقالا: يا رسول الله (اطلب العدو) حتى لا يقتحموا على الذرية . فلما أصبح النبي ﷺ أمر بلالاً فنادى : أن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال أمس أي يوم أُحُد فخرجوا جميعاً وأكثرهم جرحى وعسكروا بحمراء الأسد (وهو موضع على ثمانية أميال من المدينة) وكان التمر زاده هو ورجاله . وكان يأمر في النهار بجمع الحطب فإذا أمسوا أمر بأن توقد النيران

فموقء كل رءل نارا فأوقءوا ءمسماة نار رؤمء من مكان بعمء فلما رأى أبو سفمان ورماله أءمعوا على الرجوع وظنوا أنهم كءمء لامءءاء نمراءهم فانصرفوا ءائفم من مهاءمة المسلمم؁ وسممء هءه الغزوة (ءمراء الأسد أو بءر الآءرة) وكان أبو سفمان بعء إلى مءمء ﷺ نفر من عبء القمس وعلى رأسهم (نعمم بن مسعود) ولم مكن أسلم... معلمه أن قرمشاء أءمعت الرجعة إليه بءمء لا قبل لءمء من العرب بمواءمته؁ فلما أءبر هءا قال : ءسبنا الله ونعم الوكمم ونزل فم ءبر نفر عبء القمس ﴿الذم قال لهم الناس إن الناس..... الآية﴾.

هؤلاء الذم استءابوا لله ولرسوله وءرجوا لءمراء الأسد وهم مءءنون بءراءهم صرف الله عنهم عءوم وعاءوا إلى المءممة بءواب كءبه الله لهم ومعافةة من الله وسلام لأنهم لم ملقوا العءو؁ ورموا من ءءارءهم مع من ءاءروا معهم مءة الأمام ءماممة المء أقاموها فلم مصبهم سوء من قرمب أو بعمء ولم ملاحقهم أءى ولم مقلل أءء وهم بءروجهم هءا أرضوا الله والله ذو إءسان عليهم ونعمه وفضله كءمء لمس مقصورا عليهم بل على الءلق كلهم؁ إنما ذلكم الشمءان وهو نعمم بن مسعود المءبء للمسلمم قبل إسلامه أو هو إبلمس مءوفكم أهما المؤمنون وعلى رأسهم أبو سفمان وكانت نءمءة ءءومف إنكم ازءءم إماما على إمامكم وازءءم ءقة بالله فوق ءقءكم وءوكلءم على الله وفوضءم إليه أموركم.



عدم الخوف من الأعداء

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩) آل عمران: ١٧٦ - ١٧٩

الخوف غريزة في البشر، وتزداد المخاوف حين لقاء الأعداء في المعارك ولكن الإيمان بالله يلقي في النفس الطمأنينة ويقوي النفوس المؤمنة فتري المؤمن قوياً شجاعاً مقداماً والكافر ضعيفاً جباناً متقهقراً ولا يتغير هذا الموقف في القديم والجديد فأهل الإيمان هم الشجعان وأهل الكفر هم الجبناء.

كان النبي ﷺ يحزن ويبتئس حين يرى قومه من قريش لا يؤمنون به ويظاهرون عليه ويحاربونه ويحزن حين يرى بعض الذين أسلموا يرتدون عن الإسلام أو ينافقون فلما رأى الله تعالى ذلك ، أمره ألا يشغل باله بهؤلاء ولا يحزن عليهم فإنهم إن كفروا فلن ينقصوا شيئاً من سلطان الله ومملكه ولن يضره شيئاً. فعليهم كفرهم وعذابهم يوم القيامة وهؤلاء الكفار إذا طالت أعمارهم ومدّ الله

فيها فإن ذلك ليس من صالحهم فإن طول عمرهم يكثر من السيئات فيعظم العذاب يوم القيامة.

والله سبحانه وتعالى لا يترك المؤمنين لا يتميزون عن غيرهم من الكافرين والمنافقين ولكنه يميّزهم بالمحن والابتلاء فيبيّن الخبيث من الطيب والفاقد من المصلح والكافر من المؤمن والمنافق من المخلص والله عالم بكل هؤلاء اختص بهذا العلم دون غيره ولا يطلع على غيبه أحداً إلا من أرتضى من رسول يختاره الله. ويأمرنا الله أن نصدق بالله ونترك ما وراء هذا فلا شأن لنا به وكل من يفعل هذا له ثواب عظيم عند الله.



كل نفس ذائقة الموت

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَمَنْ رُحِّحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ
الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا
وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴿١٨٦﴾

آل عمران: ١٨٥ - ١٨٦

الحياة الدنيا دار ابتلاء ودار عطاء وعمل وعبادة وتنتهي بالأمر المحتوم من الله تعالى على الإنسان ألا وهو الموت. فمن عمل خيراً في الدنيا سعد في الآخرة ومن عمل سوءاً فجزاءه جهنم وبئس المصير ولا تخلو الحياة من مصاعب ومحن ومصائب وفتن ويبتلى المؤمنون بأنواع من البلاء في الأموال والأولاد والأنفس وبشر الصابرين الذين يصبرون على هذه الابتلاءات ومثواهم الجنة.

ففي هذه الآيات الكريمات يخبرنا الله تعالى ان كل نفس سوف تذوق طعم الموت وكل إنسان سائر إلى الموت وسيجازي الله على الأعمال في الدنيا فمن نجا من النار وأدخل الجنة فقد فاز فوزاً عظيماً لأنه أتجه بعلمه إلى الله ورضا الله.

وما حياتنا الدنيا التي نحيها بالماديات كالطعام والشراب أو بالمعنويات كالجاه والمنصب إلاّ أوضاع زائلة والذي يُفتن في هذه الدنيا ويغتر بها فإنه مخدوع لا محالة لأنّ الحياة ومتاع الدنيا كله زائل. فالدنيا جسر للآخرة فمن أحسن العبور بالعمل الطيب لنفسه وأهله وأمته ورضا الله فقد أصاب الهدف أي فاز بالجنة والنعيم في الآخرة.

وليست الدنيا خالية من المتاعب والمصاعب ولا بد أن يتعرض الإنسان لألوان الأذى والشدائد فإنه اختبار ليصبر أم يجزع. فلنحذر ونكن أكثر قرباً من الله ونفّر إلى عبادة الله والعمل الصالح وإن شاء الله يدخلنا الجنة برحمته وكرمه وجوده إنه وليّ ذلك والقادر عليه.



الإعلام الديني

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾

آل عمران: ١٨٧ - ١٨٨

إن من أقدس واجبات علماء الدين أن يكونوا أمناء على ما يعلمون من الكتب الإلهية لإبلاغها إلى الناس والعمل بها فلا يكتُمون شيئاً منها لأنها أحكام الله وشرائعه التي أنزلها للإصلاح والإسعاد. وتحقيق الأمن والسلام وصون الحقوق العامة والخاصة وهذا مؤكّد على أهل العلم مثل العهود والعقود والمواثيق.

هذه الآيات خطابٌ لمعاصري النبي محمد ﷺ وهو خبر مهم لهم ولغيرهم لم يقولوه ولم يوثقوه ويخبروه للناس بل بدلوا به ثمناً قليلاً من حطام الدنيا الفانية كالرئاسة والمال الزائل فكانوا مغبونين في هذه الصفة الفانية فبدلوا بنعيم الآخرة نعيم الدنيا فبئس البديل.

عن أبي هريرة ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ سئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ ،

الْجَمَّ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [مسند أحمد بن حنبل]

فإذا أخبر العالم الديني بحكم شرعي فعليه أن يكون أميناً في نقله حاذقاً في فهمه فلا يحرفه ولا يبدّله ولا يبتز منه شيئاً ولا يدلس ويعمّي الأمور ويغطي

الحقائق ولا يطلب الثناء على ما فعل من بيان الخبر المشوه، أو الحكم المبدل وهو في هذا كاذب دَجَال له عذاب شديد من الله تعالى.

وروى البخاري ومسلم أيضاً : ان مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يُحمدَ بما لم يفعل مُعذِباً ، لَنُعَذِّبَنَّ أَجْمَعُونَ ، فقال ابن عباس : وما لكم ولهذه ، " إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألتهم ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم " ، ثم قرأ ابن عباس : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ كذلك حتى قوله : ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَا أوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ .

حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري : " أن رجلاً من المنافقين في عهد رسول الله ، كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ ، فإذا قدم النبي ﷺ اعتذروا إليه، وحلفوا وأحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا " ، فنزلت الآية [صحيح مسلم- كتاب صفات المنافقين وأحكامهم]

وعن هشام بن سعد قال : حدثنا يزيد بن أسلم : " أن مروان بن الحكم كان يوماً ، وهو أمير على المدينة ، عنده أبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت ورافع بن خديج ، فقال مروان : يا أبا سعيد، أرايت قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أوتُوا وَيُحْمَدُونَ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ ، والله إنا لنفرح بما أتينا ، ونحب أن نحمد بما لم نفعل ؟ فقال أبو سعيد: ليس هذا في هذا. إنما رجال في زمن رسول الله يتخلفون عنه وعن أصحابه في المغازي فإذا كانت فيهم النكبة وما يكره فرحوا بتخلفهم ، فإذا كان فيهم ما يحبون حلفوا لهم ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا " [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] ... وقد ورد عن عمر بن عبد العزيز

ﷺ : أن أرملة جاءت إليه ومعها خمس بنات لها تذكر حاجتها وتطلب العون والإنصاف فأخذ يسألها عن اسم كل بنت منهن ، وكلما ذكرت اسماً قال : فرضنا لها كذا من الشهر ، فنقول : الحمد لله رب العالمين، وهكذا حتى ذكرت الخامسة ولما فرض لها عطاءً قالت : حمداً لك يا أمير المؤمنين ، فظهر على وجهه الإنكار وعدم الرضا عما قالت ، قال: لن نفرض للأخيرة الخامسة شيئاً لأنك أوليت عند عطائها الحمد لغير أهله ، أو ما علمت أن الحمد لله؟ وزعي عطاء الأربع على خمس، واحمدي الله وحده لا شريك له إنما أنا عبد أجير بين يديه أوزع على عباده من فضله وكرمه ونعمه وعطائه ما هو حق لهم فالحمد لله وحده لا لأحد غيره قال تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص: ٧٠ وقال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ سبأ: ١ .



التأمل والتفكير والعقيدة

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْعَهْدَ ﴿١١٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثِيَ بَعْضُكُمْ مِّنَ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١١٥﴾﴾

آل عمران: ١٩٠ - ١٩٥

روى ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها : ان رسول الله ﷺ قال : " يا عائشة ذريتي أتعبد الليلة لربي " قلت : والله إنني لأحبُّ قُرْبِكَ ، وأحبُّ ما سرك ، قالت : فقَامَ فَتَطَهَّرَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، قالت : فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره ، قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيتَه قالت : ثم بكى حتى بلَّ الأرض ، فجاء بلالٌ يُؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكي ، قال : يا رسول الله ، لِمَ تبك وقد غفر الله لك ما تقدّم وما تأخر ؟ قال : " أفلا أكون عبداً

شكورا؁ لقد نزلت على الليلة آية؁ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية كلها " [كتاب الرقائق - عبدالله بن مبارك].

قوله تعالى : ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية ، أخرج الطبراني
وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا: بم
جاءكم موسى به من الآيات ؟ قالوا : عصاه ويده بيضاء للناظرين ، وأتوا
النصارى فقالوا : كيف كان عيسى ؟ قالوا : كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي
الموتى ، فأتوا النبي ﷺ فقالوا : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ، فدعا ربه
فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَيْلِ وَالتَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ ﴾ فلينفكروا فيها. [باب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

هذه الآيات تدل على وجود الله سبحانه وتعالى وفي خلق السموات
والأرض وتعاقب الليل والنهار وما في السماء من نجوم وكواكب وأفلاك وما في
الأرض من خزائن الرزق والزرع والأشجار والأنهار والمعادن ، والليل والنهار
متعاقبين بانتظام والفصول .. كل ذلك من فضل الله تعالى ، وهذه دلالات
وعلامات لأولي الأبصار أصحاب

العقول لينفكروا في خلق الله تعالى ويذكروا الله دائماً ﴿ أَلَا يَذَكِّرِ اللَّهُ

تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨

ويرددوا ذكر الله وقلوبهم ممتلئة خشية وعبرة : ربنا ما خلقت هذا باطلاً
سبحانك فقنا عذاب النار ، ربنا من تدخل النار فإنه خزي وعار له ولا للظالمين
من أعوان وأنصار ، ربنا إننا سمعنا رسول الهدى محمداً ﷺ يدعو للإيمان فآمنا
بربنا وصدقنا برسالة رسوله فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وأمتنا وأحشرنا مع
أهل البر والإحسان والخير فأنت الصادق لهذا الوعد.

﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ : أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم وابن أبي حاتم ، عن أم سلمة أنها قالت : يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله : ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ إلى آخر الآية.

فأجاب الله دعاءهم بأن أعطى كل عامل جزاءه كاملاً لا فرق بين ذكر وأنثى بالعدل والمساواة التامة في الجزاء ، فالرجل مولود من الأنثى والأنثى من جنس الرجل في الخلقة والتكوين ، فهذا الفضل من الله وهذه النعمة فالجزاء من جنس العمل.



أحكام التوبة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ ﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۝١٨ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨ ﴾ النساء: ١٧ - ١٨

إن الإنسان تتنازعه عوامل الخير والشر وتطرأ عليه حالات الضعف الإنساني أحياناً فيندفع إلى شهواته ويستجيب لوساوس الشيطان فيقع في المعاصي ثم يندم ويتراجع ويبحث عن طريق للتخلص من العقوبات ألا وهو بالتوبة الصادقة.

وشروط التوبة أربعة: الإقلاع عن الذنب، والعزم على ترك المعاصي، والندم على الفعل في الماضي، وردّ الحقوق إلى أصحابها.

فالتوبة فرض على جميع المؤمنين بإجماع الأمة لقوله تعالى: ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٣١ .

والله رحيم بعباده يقبل التوبة قال تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۝٥٤

أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الأنعام: ٥٤ .

وأحسن أوقات التوبة أن يبادر الإنسان المخطئ إلى الإقرار بها من قريب أي بعد وقوع الخطيئة مباشرة وبسرعة حتى لا يفوت الأوان ومن قبل مجيء وقت الموت أو الاحتضار ... عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : " إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَضْ " [سنن الترمذي الجامع الصحيح . كتاب الدعوات ، ومسند أحمد بن حنبل]

وأما توبة اليأس فغير مقبولة فالذين يواظبون على اقتراح المعاصي ويستمرون في الضلالة حتى إذا أدركهم الموت وساعته تابوا عند العجز عن المعصية . والخوف من العقاب مثل توبة فرعون حينما حضره الموت وأدركه الغرق وصار في غمرة الماء وفي حيز اليأس فلم ينفعه ما أظهر من الإيمان . ولا يقبل الله التوبة للذين يموتون وهم كفار ولا توبة لمن يؤجل التوبة حتى تحضره الوفاة لأنها تكون حينئذٍ قسرية . والذين يرجئون التوبة إلى وقت آخر ويؤخرونها عن وقتها المناسب هيا الله لهم عذاباً مؤلماً شديداً في الآخرة .



المحرمات من النساء في الزواج

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٢٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ
 وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ
 وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ
 نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم
 بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ
 أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ
 سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٢٣) النساء: ٢٢ - ٢٣

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ الآية نزلت في
 حصن بن أبي قيس تزوج امرأة أبيه كبيشة بنت معن ، وفي الأسود بن خلف
 تزوج امرأة أبيه ، وصفوان ابن امية بن خلف تزوج امرأة أبيه فاختة بنت الأسود
 بن المطلب وفي منصور بن ماذن تزوج امرأة أبيه مليكة بنت خارجة... وقال
 أشعث بن سوار : توفي أبو قيس وكان من صالحى الأنصار ، فخطب ابنه قيس
 امرأة أبيه ، فقالت : إني أعذك ولداً، ولكني آتي رسول الله ﷺ أستأمره ، فأنته
 فأخبرته فأنزل الله تعالى هذه الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

سمّى الله تعالى الزواج بامرأة الأب نكاح المقت أي الكراهية والاحتقار لأنه نكاح ذو مقت يلحق فاعله ، وكان العرب تسمي الولد الذي يجيء من زوجة الوالد : المقتي .

عن ابن عباس ، قال : " كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَرِّمُونَ مَا يُحَرِّمُ إِلَّا امْرَأَةَ الْأَبِ ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ " قال : فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

قال تعالى : ﴿ وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ أي : بنس الطريق والمنهج لمن يسلكه إذ عاقبته إلى عذاب الله ، فلا يحل الزواج في الإسلام بزوجة الأب ، وروى ابن جرير الطبري : كل امرأة تزوجها أبوك ودخل بها أو لم يدخل بها فهي حرام ، وكما يحرم الزواج بامرأة الأب يحرم أيضاً الزواج بامرأة الجد وفاعل ذلك يستحق العقاب لنكاحه ما نكح الآباء أو الأجداد إلا ما مضى في الجاهلية فهو مغفو عنه ، ثم أبان الله تحريم النساء من جهات ست وهي :

- ١ . نكاح الأصول : فقد حرّم الله نكاح الأمهات والجيدات .
- ٢ . ونكاح الفروع: فقد حرّم الله زواج البنات: بنات الصلب وبنات الأبناء .
- ٣ . نكاح الحواشي : حرّم الله نكاح الأخت سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم وحرّم الله نكاح العمات والخالات القريبة والبعيدة كعمة الأب وخالته وعمة الأم وخالتها .
- ٤ . والتحرّم بسبب الرضاع : يحرم من الرضاع ما يحرم بالنسب فالأمهات المرضعات والأخوات من الرضاعة يحرم التزويج بهنّ ، فإذا رضع طفل من امرأة فهي أمه تحرم عليه وزوجها أبوه وأولادها إخوته وأقاربها أقاربه .

٥. التحريم بسبب المصاهرة : تحرم أم الزوجة التي تم الدخول بها أو العقد عليها والجدة كالأبم وتحريم ابنة الزوجة من غيرك وهي الربيبة بشرط الدخول بأمرها ، ويحرم أيضاً أولاد أولادها فإن لم يحدث دخوله بها لا يحرم عليه بناتها وزوجة الابن وزوجة ابن الابن تحرم على الأب والجد بمجرد العقد عليها قال تعالى : ﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ أما الابن المتبني ممن ليس للصلب فلا تحرم زوجته على من تبناه.

٦. ما يحرم بسبب عارض : يحرم مؤقتاً الجمع بين الأختين أو بين المرأة وقربياتها المحارم كالمرأة وعمتها وخالتها وتظل الحرمة قائمة مادام الزواج قائماً بالأخت فعلاً أو في العدة ، وعفا الله عما سلف فلا مؤاخذة على من تزوج في الجاهلية بأختين أو بأخت وعمتها وخالتها.

كتب الله علينا هذه المحرمات وأحلّ لنا ما عدا المذكور في آية المحارم من النساء وما عدا المطلقة ثلاثاً حتى تنكح زوجاً غيره بزواج عادي وليس بتحليل مؤقت ، وما عدا المشركة الوثنية حتى تسلم.

مما تقدم يتضح لنا أن المحرمات بسبب النسب سبع هنّ : الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت ، والمحرمات بالصهر والرضاع سبع هنّ : الأمهات من الرضاعة والأخوات من الرضاعة وأمّهات النساء والريائب وحلائل الأبناء والجمع بين الأختين وزوجات الآباء ، ويتبقى بعد ذلك نوات الأزواج قبل انفصالهن من أزواجهن وانقضاء عدتهن ، فالمحرمات من النساء خمس عشرة.



إعطاء الحقوق لأصحابها وتحريم التبني

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ النساء: ٣٢ - ٣٣

عن أم سلمة ، أنها قالت : " يغزؤ الرجال ولا تغزؤ النساء ، وإنما لنا نصف الميراث " فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [سنن الترمذي الجامع الصحيح- كتاب تفسير القرآن].

أي لا تتمنوا ما أعطاه الله بعضكم وميَّزه عليكم من المال والفضل لأن هذا يؤدي إلى الحسد وعدم الرضا وتمني زوال النعمة من الشخص الآخر فالله قدر حسب مشيئته للرجال ثواب ما اكتسبوا بسبب أعمالهم في الجهاد وغيره وللنساء نصيب مما اكتسبن بسبب طاعة أزواجهن وحفظ حقوق الزوجية. وسئلوا الله من فضله وأن يغفر لكم خطاياكم والله يعلم ما يستحق كل فرد منكم.

وقال قتادة والسدي : لما نزل قوله تعالى ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ قال الرجال : إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء ، وقالت النساء : إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث ،

على النصف من نصيبهم في الدنيا ، فأُنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

ثم أوصى الله تعالى بإعطاء الحقوق لأصحابها ... عن الزُّهري قال : قال سعيدُ بنُ المُسيَّبِ : " نزلت هذه الآية ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ في الذين كانوا يَتَّبِعُونَ رجالاً غير أبناءهم ويورثونهم ، فأُنزل الله ﷻ فيهم أن يجعل لهم نصيباً في الوصية وردَّ الله الميراث في الموالى وفي الرِّحم والعصبة ، وأبى أن يجعل للمُدَّعِينَ ميراثاً مِمَّنْ ادَّعَاهُمْ وَتَبَّأَهُمْ ، ولكن جعل لهم نصيباً في الوصية ، فكان ما تعاقدوا عليه في الميراث الذي ردَّ الله علينا فيه أمرهم " [السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الفرائض].

ومعنى الآية : لكل من الرجال والنساء ورثة لهم الحق في تركتهم ، والموالى هم الوالدان والأقربون والأزواج فأتوا أيها الوارثون حقوق الورثة كاملة من غير نقصان أما الذين كنتم تتبنوهم في الجاهلية والآن حرّم عليكم التبني في الإسلام فلکم إعطاؤهم شيئاً من أموالكم عن طريق الوصية لا بطريق الميراث والله رقيب على أفعالكم، شهيد على أعمالكم ويجازيكم يوم القيامة. والذين عقدت أيمانكم أي الذين أكدت أقسامكم مع الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية فقد كان الرجل في الجاهلية يعاهد رجلاً آخر فيقول له : دمي دمك وهدمي هدمك (أي منزلي منزلك) وترثني وأرثك وتتصرني وأنصرك فكان له ميراث ثم نسخ بما فُرض للأقرباء وذوي الأرحام.

إنَّ إرادة الله فوق كل شيء ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ الأحزاب: ٣٦ ، حيث نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش بنت عمه النبي ﷺ (أميمة بنت عبد المطلب) وقد خطبها رسول الله ﷺ على مولاة زيد بن حارثة ، والحكمة من هذا الزواج الذي لم يبال

فيه النبي بإباء زينب ورغبتها عن زيد : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ الأحزاب: ٣٧ ، إن التصاق الأدياء بالبيوت واتصالهم بأنسائها كان أمراً تدين به العرب وتعدّه أصلاً ترجع إليه في الحسب والشرف وكانوا يعطون الدعيّ جميع حقوق الابن ويجرون عليه الأحكام التي يعطونها للابن حتى الميراث وحرمة النسب ، فأراد الله محو ذلك بالإسلام حتى لا يعرف إلا النسب الصريح : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَائَكُمْ أَسْنَاءَكُمْ ذَلِكَ كَقَوْلِكُمْ بَأْفَوْهَكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ ٤ ادعواهم لأبائهم هو أفسط عند الله ﴿ الأحزاب: ٤-٥

وبهذا حُرِّمَ على المسلمين أن ينسبوا الدعيّ إلى من تبناه وأن لا يكون للمتبنّي إلا حق المولى والأخ في الدين وحظر عليهم أن يقطعوا من حقوق الابن.

وكان زيد بن حارثة عتيق النبي حين أنعم الله عليه بالإسلام وأنعم النبي عليه بالعتق والحرية والتربية.

وحين أبطل الله التبنّي بآية : ﴿ ادعواهم لأبائهم ﴾ فصار يدعى زيد بن حارثة ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ الأحزاب: ٣٨ .



حياة الأسرة في الإسلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالَّذِينَ نَسُوا نَفْسَهُمْ فَاذْهَبُوا بِتَرَفِهِمْ كَمَا أَنْفَقُوا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْتُونَ نِسْوَهُمْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَكَفًّا وَهُمْ كَاذِبُونَ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّقَوْا سَبِّحُوا بُحْبُوحَةَ رَبِّهِمْ ۚ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَأَبِي تَالِبٍ أُمَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَبِيًّا سَيُبَدِّلُ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ كَمَا بَدَّلَ قُلُوبَهُمْ فِي الْأَوَّلِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۚ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ النساء: ٣٤ - ٣٥

سبب نزول هذه الآية : عن الحسن ، قال : لَطَمَ رَجُلٌ امْرَأَتَهُ فَأَنْتَتِ النَّبِيَّ ﷺ ، فقال النبي ﷺ : " لِزَوْجِهَا الْقِصَاصُ " فَأَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيَ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ ﷺ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ.....﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : " أَرَدْنَا أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا غَيْرَهُ ، وَمَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ خَيْرٌ " [تفسير مجاهد].

ونزل قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ ﷻ طه: ١١٤ ... ومعنى الرجال قوامون على نساءهم أي على رعايتهم بالأمر والنهي بسبب تفضيله سبحانه وتعالى بكمال العقل، وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال. ولذلك خُصوا بالنبوة والإمامة والشهادة في القضايا فلا يخلو عنصرهم

منها كما خُصوا بالجهاد وصلاة الجمعة وزيادة الميراث وبسبب ما أنفقوا من أموالهم في المهر والنفقة على زوجاتهم فالزوجات المطيعات حافظات لحقوق أزواجهن في غيابهن في النفس والمال ، واللاتي تخافون عصيانهن من النساء فانصحوهن أولاً فإن لم يجد النصح فاعتزلوا فراشهن إلى فراش آخر فإن أبين في الاستمرار على العصيان فاضربوهن ضرباً غير مبرح فإن أظعنكم فلا تطلبوا عليهن سبيلاً إلى الإيذاء أو التوبيخ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له وإن خفتم استفحال الخلاف بين الزوجين فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها على سبيل الإصلاح لذات البين فإن قصد الحكمان بحسن سعيهما التوفيق بينهما وحسم الخلاف فانه كفيلاً أن يوفق بين الزوجين إن الله عليم بكل شيء خبير بالظواهر والبواطن قادر على أن يزيل الشقاق ويعيد الوفاق بين الزوجين.



العلاقات الاجتماعية في الإسلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا
فِخْرًا ۚ﴾ (٣٦) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا
ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ
الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ النساء: ٣٦ - ٣٨

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ ، أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر ، قال : كان علماء بني إسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم فأنزل الله ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ....﴾ الآية ، ، وأخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق ، كان رجالاً من الأنصار يتنصحون لهم فيقولون : لا تتفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابنا ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرن ما يكون ، فأنزل الله تعالى الآية. [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

وضع الإسلام علاقاتٍ ومبادئٍ وأسساً لتنظيم الحياة الاجتماعية وهذه الأسس

هي :

عبادة الله الواحد الأحد وتوثيق العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة والمجتمع بدءاً من الجار وانتهاهً بابن السبيل والسخاء في الإنفاق والبذل في المعروف ومقاومة الشح والبخل.

١- لقد أرشدنا الله تعالى إلى عبادته الواحد الأحد، الفرد الصمد، وعدم إشراك أحد في العبادة غير الله وترك المعاصي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- الإحسان إلى الوالدين وبرهما وطاعتها والابتعاد عن كل ما يؤذيها والدعاء لهما ﴿رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء: ٢٤ وعدم القول لهما كلمات تؤذيها حتى ولو كلمة (أف) التي هي اصغر كلمة ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا أُفِّي وَلَا نَهَرُهُمَا﴾ الإسراء: ٢٣.

٣- الإحسان إلى القرابة وصلة الرحم من أخ أو أخت أو خال أو عم أو أبناء وذلك بمشاركتهم أفراحهم وأتراحهم وزيارة مريضهم ومساعدتهم والدعاء لهم.

٤- الإحسان إلى اليتامى الذين فقدوا آباءهم.

٥- الإحسان إلى المساكين والفقراء والمحتاجين الذين لا يملكون قوتهم وزادهم ولا تردهم في سؤالهم ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرْهُ﴾ الضحى: ١٠ ، وهذا يحقق مبدأ التكافل الاجتماعي.

٦- الإحسان إلى الجيران وهم كما ذكرت الآية الكريمة ثلاثة أنواع : الجار القريب في المكان أو النسب أو الدين، والجار البعيد غير القريب المجاور إلى السكن، والصاحب بالجنب وهو الرفيق في السفر والإحسان إلى الجيران بكف الأذى وحسن المعاشرة وتبادل الزيارات والهدايا والوليمة والعيادة حال المرض ونحو ذلك.

٧- الإحسان إلى ابن السبيل وهو المسافر المنقطع عن ماله والضيف بإكرامه وإطعامه ومساعدته. ثم حدّثت الآيات من أمرين : هما البخل والرياء في الإنفاق وأما البخل فهو داء وخصلة رذيلة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : حَظَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقال : " إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ ، فَإِنَّمَا هَلَاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخَلُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا " [سنن أبي داود- كتاب الزكاة] ، وأما الرياء فهو أمر ذميم وصفة رذيلة وليس فيه أجر ولا ثواب لأن المرائي لا يقصد بعمله وجه الله وإنما للسمعة والشهرة، والرياء كالبخل يعاقب الله عليه. أما المؤمن سخي غير بخيل ينفق ماله ابتغاء وجه الله والتقرب إليه والله عليم بالنيات.



صلاة الخوف

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ
وَلْيَأْخُذُوا آسَلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ
أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا
أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا
قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَفُجُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ
فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا ﴿١٠٣﴾

النساء: ١٠٢ - ١٠٣

عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ فلقى المشركين بعسفان ، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر ، فرأوه يركع ويسجد هو وأصحابه قال بعضهم لبعض : كان هذا فرصة لكم لو أغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم ، فقال قائل منهم : فإن لهم صلاة أخرى هي أحب إليهم من أهلهم وأموالهم فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه : ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ إلى آخر الآية، وأعلم ما أنتمروا به المشركون ، وذكر صلاة الخوف. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

صلاة الخوف : تؤدى أثناء المعارك بحيث يكون كل من الفريقين على أهبة الاستعداد للهجوم.

في الآية الكريمة يخاطب الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم قائلاً : إذا كنت يا محمد حاضراً مع المؤمنين المجاهدين فصلّ صلاة الخوف على النحو الآتي :- إذا أقيمت الصلاة أنقسم المسلمون المحاربون طائفتين : طائفة تؤدي الصلاة معك وتقوم الطائفة الأخرى تجاه العدو للحراسة مخافة أن يقع هجوم مفاجئ، على أن تحمل الطائفتان أسلحتهم، فإذا صلّت الطائفة الأولى معك وقفت الطائفة الثانية لحماية ظهور المصلّين. فمتى صلّيت بالطائفة الأولى ركعة وقمت للركعة الثانية، وقفت تنتظر حتى تتم الطائفة الأولى صلاتها وتحلّ محل الطائفة الأخرى للحراسة ثم تأتي الطائفة التي لم تصلّ فتتم بهم الركعة الثانية، فإذا سلّمت قاموا حتى يتموا صلاتهم وليأخذ الجميع حذرهم وأسلحتهم خشية مباغته الأعداء لهم فإنهم يتمنون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم حين أدائكم الصلاة فيحملون عليكم حملة واحدة ويجب أن تكونوا شديدي الحذر واليقظة، إن الله وعد المؤمنين بالنصر على الكفار.

فإذا أردتم أداء الصلاة وقت التقى الجمعان واشتدت المعركة فصلّوا كيفما كنتم : قياماً تضربون بسيوفكم وتطعنون برماحكم، وعوداً تصوبون نبالكم وترمون الأعداء بسهامكم، ومضطجعين إذا خادعتم العدو أو أثنختم الجراح فإذا اطمأنت أنفسكم بما حصل لكم من الأمن وزال عنكم الخوف من لقاء العدو، فأدّوا الصلاة تامة الأركان وافية الشروط، إنّ الصلاة كانت على المؤمنين فرضاً محددلاً لا يجوز تأخيرها عن وقتها.



ولله ما في السموات والأرض

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ
بِآخَرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ
ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ النساء: ١٣١ - ١٣٤

لله ملك السموات والأرض يدبر أمرها بمشيئته وقدرته ولقد أمر الله اليهود والنصارى ومن قبلهم كما أمركم أيها المؤمنون بتقوى الله وطاعته وحذر جميع خلقه عصيانه ومخالفة أمره وقال لهم على لسان رسله : إن تكفروا فإني غني عنكم لا يضرني كفر من كفر ولا ينفعني شكر من شكر ولا تقواه وكان الله ولا يزال مستغنياً عن خلقه محموداً في تدبيره وصنعه، وهو القاهر فوق عباده فإن يشأ يفنهم ويأت بخلق جديد مكانهم وما ذلك على الله بشاق لأنه عظيم القدرة لا يعجزه شيء ولا يستعصي عليه.

من كان يريد بعمله وسعيه وكفاحه وجهاده متعة دنيوية كالشهرة والمظهر فإنه يطلب مطلباً رخيصاً، ومن كان يريد وجه الله فله في الآخرة . ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وكالعالم ينشر علمه حباً في الله ورغبة في نيل ثوابه فيسعى إليه الجاه ركضاً ويثيبه الله في الآخرة أحسن الجزاء وبهذا يحوز سعادة الدارين وكان الله سميعاً بصيراً، يعرف نيات خلقه وأغراضهم وما يجول في خواطرهم فيجازي كلاً بما يستحقه.



عدم مجالسة المستهزئين بآيات الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِنَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ بِهَا اللَّهَ جَامِعَ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ ﴿١٤٠﴾ النساء: ١٤٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ الأنعام: ٦٨

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَيْلَهُ وَعَايِنَاهُ ۚ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ التوبة: ٦٥ - ٦٦

وقد نزل الله عليكم أيها المؤمنون أنكم إذا سمعتم آيات القرآن التي أنزلها الله على رسوله يكفر بها المشركون ويستهزئون بها فلا تقعدوا معهم حتى يدخلوا في حديث غيره. يشير الله تعالى إلى قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ ﴾... الآية

أبها المؤمنون إذا قعدتم معهم في أثناء ذمهم دينكم واستهزائهم به تكونون قد أقرتموهم على ما يقولون عن آيات الله لأنكم رضيتم بالعود معهم مع إنكم قادرون على مغادرة مجالسهم والإعراض عنهم. إن الله جامع الكافرين والمنافقين جميعاً في جهنم يوم القيامة، كما اجتمعوا على الكفر في الدنيا ويدل هذا على انه يجب علينا أن ننأى عن مجالس الملحدين والمستهزئين بأحكام الله.

* * * * *

صفات المسيح في القرآن الكريم

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْهَلْ أَلْكُتَبِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ النساء: ١٧١ - ١٧٢

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ ، عن ابن عباس ، سمع عمر رضي الله عنه ، يقول على المنبر : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله " [صحيح البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء]

لفظة (من) تكون للتبعيض وقد تكون لابتداء الغاية كما في قوله تعالى ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ ، يحكى أن طبيباً نصرانياً للرشيد ناظر الإمام الواقدي ذات يوم فقال له : إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله ، وتلا هذه الآية : ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ ، فقال الواقدي : قال تعالى ﴿وَسَخَّرْ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ الجاثية: ١٣ ، فيجب إذا كان عيسى جزءاً من الله أن يكون ما في السموات

وما في الأرض جزءاً منه ، فانقطع النصراني وأسلم وفرح الرشيد لذلك فرحاً شديداً ووصل الواقدي بصلة عظيمة.

يا أيها النصراني لا تتجاوزوا الحد في تقدير عيسى عليه السلام ولا تفرطوا في رفع شأنه إلى درجة اتخاذها إلهاً لكم ولا تقولوا على الله إلا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد فليس المسيح عيسى ابن مريم إلا رسول من عند الله كسائر الرسل مكوناً بكلمة وهو إذا أراد شيئاً قال له (كن فيكون) وببشارة أوصلها على لسان جبريل عليه السلام إلى مريم وهو معنى قوله : إن الله يبشرك بكلمة منه وبث فيه الحياة بروح منه أودعه إياها كسائر البشر، بأن أفاض عليه ما يحيا به من الروح التي هي من أمر الله ومشيتته.

فآمنوا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد ويرسله ولا تقولوا ان عيسى ثالث ثلاثة: الأب والابن وروح القدس. ارجعوا عن هذه العقيدة يكن رجوعكم عنها خيراً لكم ، إنما الله إله واحد منزّه عن أن يكون له ولد إذا كان له ولد لكان له من يماثله ... تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وكل ما في السموات وما في الأرض ملك وعبيد له وعيسى من جملة ما في السموات وما في الأرض فهو عبد من عبيده وكفى بالله حافظاً.

قال الكلبي : إنّ وفد نجران قالوا : يا محمد ، أتعيب صاحبنا ؟ قال : " ومن صاحبكم ؟ " قالوا : عيسى ، قال : " أي شيء أقول فيه ؟ " قالوا : تقول إنه عبد الله ورسوله فقال لهم : " إنه ليس بعار لعيسى أن يكون عبداً لله " قالوا: بلى ، فنزلت : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾ الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

والمعنى لم يتعاضم أو يترفع أو يأنف المسيح أن يكون عبداً لله في طاعته وعبادته فإنّ أول كلمة جرى بها لسانه وهو طفل : إني عبد الله، كما لا يستتكف عيسى ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عباد الله فإذا كان تشرىف عيسى انه خُلق من غير أب فالملائكة خُلقوا من غير أب ولا أم ومن يستتكف عن عبادة الله ويستكبر عن طاعته وطاعة رسله فقد أعد الله لهم عذاباً أليماً ومن عبدوا الله حق عبادته وآمنوا به وعملوا الصالحات وتواضعوا وخشعوا للرحمن فسوف يفيهم أجورهم ويضاعف حسناتهم أضعافاً مضاعفة.



الطعام المحرم على المؤمنين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْخَفَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُرْدِيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْنَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِيْمَانِهِ فِإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ المائدة: ٣

قال تعالى: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَى عَلَيْكُمْ ﴾ المائدة: ١ وهذه الأصناف التي حرّمها الله على المؤمنين هي:

١- لحم الميتة: ما عدا السمك والجراد وهي التي تموت من غير ذبح شرعي وذلك لأنها ربما ماتت من جراء مرض معدٍ ينتقل إلى الإنسان أو من عارض لا يؤمن ضرره.

أخرج ابن مندة في كتاب الصحابة من طريق عبد الله بن جبلة ، عن حبان ابن حجر ، عن أبيه ، عن جده حبان قال : كنا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيها لحم ميتة ، فأنزل الله تعالى تحريم الميتة ، فأكفأتُ القدر . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

- ٢- الدم المسفوح : وهو الدم الذي ينزل من حيوان بشق عرق فيه فيؤخذ الدم أي الدم السائل لا الجاف مثل الكبد والطحال وحرّم الدم لأن الجراثيم تتكاثر فيه والسموم كما انه يسبب عسر الهضم وهو قدر يضر الأجسام.
- ٣- لحم الخنزير : لقذارته وأكل لحمه يسبب الديدان الشريطية كالودودة الوحيدة وهي دودة فتاكة ودودة أخرى يسميها الأطباء (الشعرة الحلزونية) نتيجة أكله الفئران الميتة. وهذا ان لحمه أعسر اللحوم هضماً لكثرة ما يختلط به من الشحم.
- ٤- وما نوذي عليه باسم غير الله عند ذبحه : كما يفعل المجوس وعباد الأوثان فهم ينادون باسم ما يعبدونه عند الذبح وكما يقوله بعض العوام حين يذبحون حيواناً لأحد الأولياء فيقولون مثلاً يا سيّد فلان إذا كان هو المنذور له فأكل لحمه محرم لأنه لم يذكر اسم الله عليه عند الذبح.
- ٥- والمنخنة : وهي التي ماتت خنقاً بأن تدخل رأسها بين شعبتين من شجرة أو في موضع لا تستطيع التخلص منه فتموت وتختنق بحبل الصائد أو بحبل من يوثقها وهي في حكم الميتة.
- ٦- الموقودة : وهي التي تُضرب بعصا أو بحجر أو بحديدة حتى تتحل قوتها وتموت وكان العرب في الجاهلية يأكلونها وحرمت لأنها كالميتة ولأن القتل مُحرم في الإسلام بهذه الصورة إذ فيه تعذيب للحيوان.
- ٧- والمتردية : وهي التي سقطت من أعلى إلى أسفل أو سقطت في بئر وماتت وتدخل في حكم الميتة لاحتباس الدم فيها وقد يكون فيه من الجراثيم ما يعرض الآكل من لحمها إلى التلف.
- ٨- والنطيحة : وهي المنطوحة التي نطحتها أخرى فماتت من النطح.

٩- وما قتله بعض سباع الوحوش : كالأسد أو الذئب سواء أكل منه الوحش أم لم يأكل وهو في حكم الميتة. ويستثنى من المنخقة والموقوذة والمتزدية والنطيحة ما أدرك وفيه الروح وبقية رفق أو عين تطرف أو ذنب يتحرك أو رجل ترفس فذبح ذبحاً شريعياً بقطع الحلقوم والمريء بأداة حادة وانفجر دمه حلّ أكل لحمه.

١٠- وما ذُبح على النُصب : والنُصب : أحجار كانت منصوبة حول الكعبة يذبح عليها كفار مكة قربة إلى أصنامهم وهو من جنس ما أهلّ لغير الله.

هذه محرّمات عشرة خاصة بالطعام وكان لأهل الجاهلية أيضاً خرافات حرّمها الله على المؤمنين وهي : الاستقسام بالأزلام وهي جمع زَلَم وهي قطع من الخشب على هيئة السهم وتسمى قِداحاً وهي ثلاثة : قدح مكتوب عليه أمرني ربي والآخر نهاني ربي والثالث لا شيء فيه فإن أراد الجاهل شيئاً من سفر أو غزو أو زواج، ذهب إلى الكاهن واستقسم بالأزلام فإن خرج له أمرني ربي فعل ذلك وإن خرج له نهاني ربي عدل في الأمر أما إذا خرج الثالث يعيد الكرة وهكذا ...

وقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت يوم عرفة عام حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة وكان يوم الجمعة وكان النبي ﷺ واقفاً على ناقته **الغضباء** وهو اليوم الذي نزلت فيه الآية وقيل قبل وفاة الرسول ﷺ بواحد وثمانين يوماً ، عن قيس بن حاتم عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين إنكم تقرؤون آية في كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، فقال : أي آية هي ؟ قال : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ فقال عمر : والله إنني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ ، عشية يوم عرفة في يوم الجمعة. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

معناها : الآن أيها المؤمنون يؤس الكفار أن يبطلوا دينكم وقد بدّل الله لكم خوفكم أمناً و ضعفكم قوةً وفقركم غنىً فلا تخشوا أن يظهروا عليكم فقد صرتم في مَنعة وقوة واخشوني ولا تخالفوا أمري ولا ترتكبوا المعاصي وبيّنتُ حدود الفرائض والحلال والحرام وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً. وأظهرته على الأديان كلها.

فمن أضطر أن يأكل هذه المحرمات أي يبلغ الهلاك والجوع منه من غير تعمد ومعصية للخالق فليأكل ولكن لسد الرمق فقط فإن الله غفور رحيم بعباده إذ أباح لهم المحرمات عند الضرورة.

العضباء : أسم ناقة النبي، عن أنس رضي الله عنه يقول : " كانت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم يُقال لها العضباء " [صحيح البخاري . كتاب الجهاد والسير] ومعناها : المشقوقة الأذن . أما القصواء : فهي المقطوعة الأذن، وكان ذلك لقباً لنانة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن مقطوعة الأذن.



إحلال الطيبات والزواج من الكتابيات

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾ المائدة: ٥

اليوم أحلت لكم الطيبات على سبيل التفصيل بعد ان كانت حلالاً بالإجمال.

وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم / الطعام هنا (الذبائح) لأن غيرها حلال بأصله والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى أي وذبائح اليهود والنصارى دون ذبائح أهل الشرك الذين لا كتاب لهم من عبدة الأصنام ولأن أهل الكتاب في الأصل أهل التوحيد ثم سرت إليها نزعات الشرك ممن دخل في دينهم من المشركين كان هذا مَظَنَّةَ التشديد في مؤاكلتهم ومناكحتهم.

روى ابن جرير، سئل ابن يزيد، عما دُبِحَ للكنائسِ وسُمِّيَ عليها فقال: "أحلَّ الله لنا طعامَ أهلِ الكتابِ ولم يستثنِ منه شيئاً"

﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ أي وذبائحكم أيها المؤمنون حلٌّ لأهل الكتاب فلا جناح عليكم ان تطعموهم من طعامكم أو تبيعوهم منه.

وأحلّ لكم المحصنات هنا الحرائر أي وأحلّ الله لكم أيها المؤمنون نكاح الحرائر من المؤمنات ونكاح الحرائر من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وهم اليهود والنصارى إذا أعطيتم من نكحتكم من محصناتكم ومحصناتهم مهورهنّ.

وتقييد الحِلِّ بإتيان المهور لتأكيد الوجوب لا لاشتراطه في الحِلِّ وتخصيص الحرائر للحثّ على ما هو الأولى منهن لا لأنّ من عداهن لا يحلّ ، إذ نكاح الإماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح الإماء الكتابيات عند أبي حنيفة.

والمحصنين : الأعقَاء عن الزنا، والمسافحون : الذين يأتون الفاحشة مجاهرين بها، والمتخذون الأخدان : الذين يأتونها سرّاً والخدن يطلق على صاحب والصاحبة.

أي هنّ حلّ لكم إذا أتيتموهن أجورهن وألتزمتن به حال كونكم أعقَاء عن الزنا جهراً وسراً.

إذ المقصد من الزواج أن يكون الرجل محصناً والمرأة محصنة يُعِف كل منهما الآخر ويجعله في حصن يمنعه من الفاحشة على أي وجه فلا يزني الرجل جهرة ولا سرّاً باتخاذ صاحبة خاصة به ولا تكون المرأة كذلك.

ومن يكفر بالإيمان فقط حبط عمله أي من يكفر بشرائع الله التي بيّنها الله فقد حبط عمله الصالح وخسر في الآخرة ما أعدّه الله للمؤمنين من الجزاء العظيم.

إن الحكمة في هذا التآلف لأهل الكتاب ليروا حسن معاملتنا وسهولة شريعتنا، فالرجل هو القوّام على المرأة وصاحب الولاية والسلطة عليها فإذا هو أحسن معاملتها كان ذلك دليلاً على أنّ هذا الدين يدعوا إلى الإنصاف في المعاملة وسعة الصدر بين المختلفين في الدين.

وأما زواج الكتابيِّ بالمسلمة فحرام بنص السنَّة وإجماع المسلمين على ذلك، والسرّ في هذا ان المرأة ليس لها من الحقوق مثل ما للرجل فلا تظهر الفائدة التي قلنا عنها. إلى أنّه بما للرجل عليها من سلطان يخشى أن يزيغها عن عقيدتها ويفسد منها دون أن تصلح منه.

ونهى الله تعالى عن الزواج بالمشركين والمشركات بقوله : ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ

إِلَى النَّارِ﴾ البقرة: ٢٢١

* * * * *

الرسالة النبوية

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَاهَلَّ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ المائدة: ١٥ - ١٦

عن عكرمة ، في قوله : ﴿ يَتَاهَلَّ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ قال : إن نبي الله أتاه اليهود يسألونه عن الرجم ، واجتمعوا في بيت ، قال : " أَيُّكُمْ أَعْلَمُ ؟ " فأشاروا إلى ابن صوريا ، فقال : " أَنْتَ أَعْلَمُهُمْ ؟ " قال : سَلْ عَمَّا شِئْتَ . قال : " أَنْتَ أَعْلَمُهُمْ ؟ " قال : إنهم ليزعمون ذلك . قال : فَنَاشَدَهُ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، وَالَّذِي رَفَعَ الطُّورَ ، وَنَاشَدَهُ بِالْمَوَاتِيْقِ الَّتِي أُخِذَتْ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى أَخَذَهُ أَفْكَلٌ (أي رعدة الخوف) ، فقال : إن نساءنا نساء حسان ، فَكَثُرَ فِيْنَا الْقَتْلُ ، فَاخْتَصَرْنَا أُخْصُورَةَ ، فَجَلَدْنَا مِائَةً ، وَحَلَقْنَا الرَّعُوسَ ، وَخَالَفْنَا بَيْنَ الرَّعُوسِ إِلَى الدَّوَابِ ، أَحْسِبُهُ قَالَ : الإِبِلَ ، قَالَ : فَحُكِمَ عَلَيْهِم بِالرَّجْمِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ يَتَاهَلَّ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ الآية . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] .

أي يا أيها اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يظهر لكم كثيراً مما كنتم تخفونه من التوراة والإنجيل، كنعت محمد ﷺ فيهما وآية الرجم في التوراة. وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل ويتجاوز عن كثير مما تخفوه حتى لا يفضحكم ، قد جاءكم من الله رسول يرشدكم إلى ما فيه صلاحكم ديناً ودنيا وقرآن واضح الإعجاز يهدي به الله إلى طريق السلامة وهي شرائع الله وأحكامه من اتبع رضوان الله والإيمان به يخرجهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان بإرادته وتوفيقه ويهديهم إلى أقرب الطرق إلى الله وهو الإسلام.



إنكار الشرك بالله تعالى

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ المائدة: ١٧ - ١٩

عن ابن عباس ، قال : أتى رسولُ الله ﷺ ثَعْمَانُ بنُ أَضَاءَ وَبَحْرِيُّ بنُ عمرو ، وشَاسُ بنُ عَدِّي ، فَكَلَّمُوهُ ، فَكَلَّمَهُمُ رسولُ الله ﷺ وَدَعَاَهُم إِلَى اللَّهِ وَحَذَّرَهُمْ نَفَمَتَهُ ، فَقَالُوا : مَا نَحْوُفُنَا يَا مُحَمَّدُ ، نَحْنُ وَاللَّهُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، كَقَوْلِ النَّصَارَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِيهِمْ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ ۗ... ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

لقد كفر الذين زعموا ان الله هو المسيح ابن مريم، لقد كتب يوحنا إنجيله في العشر الأخير من القرن الأول من ميلاد عيسى وحرف الإنجيل وغير الكلمات فصارت (الله هو المسيح ابن مريم). فهذا الزعم باطل ، فقل لهم يا محمد: من يستطيع أن يمنع إرادة الله إن شاء أن يهلك المسيح عيسى وأمه. بل

يهلك ما في الأرض جميعاً ؟ وإذا كان عيسى مُعَرَّضاً للفناء كغيره من المخلوقات فكيف يكون إلهاً ؟ فالله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ملك السموات والأرض وما بينهما ومن قَدَرَ على خلقهما من العدم قادر على خلق آدم من غير أب وأم وعلى خلق حواء من غير أم وعلى خلق عيسى من غير أب فهو يخلق على حسب مشيئته وهو قادر على كل شيء فاعتبروا يا أولي الأبصار .

وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله قل لهم يا محمد: فلم يعذبكم بذنوبكم، واعترفتم ان النار لن تمسكم في الآخرة إلا أياماً معدودة تعذبون فيها وهذا يتنافى مع العلاقة التي تزعمونها فإن الأب لا يعذب ولده والحبیب لا يعذب حبيبه فارجعوا عن غروركم فأنتم كاذبون وإنما أنتم بشر من جملة من خلقهم الله سبحانه وتعالى ، قال بعض العارفين لبعض الفقهاء : أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه ؟ فسكت ولم يرد عليه ، فتلا عليه هذه الآية : ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ ففي الآية دليل على أن المحب لا يعذب حبيبه .

يا أهل الكتاب من يهود ونصارى قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ المبشّر به في كتبكم يبيّن لكم شرائع الدين وأحكامه بعد انقطاع الوحي وعدم إرسال رسل ، الآية : ﴿ عَلَيَّ فَرَقَ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ أي بعد انقطاع الوحي إذ لم يكن بينه وبين عيسى ﷺ رسول بعث بشريعة مستقلة اختلف العلماء في مقدار هذه الفترة كم هي ؟ فقال قتادة : كانت ستمائة سنة ، ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وقتادة : خمسمائة وستون سنة ، فقد جاءكم محمد بشيراً ونذيراً، فلا عذر لكم بعد ذلك في بقائكم على كفركم وعنادكم والله على كل شيء قدير فيعذبكم إن لم تؤمنوا به وتتبعوه .

قصة قابيل وهاويل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۗ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ ۗ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ۗ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ۗ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ ۗ قَالَ يُوتِلَّتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ المائدة: ٢٧ - ٣١

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ النساء: ١ فالمولي ﷺ خلق آدم من طين وخلق حواء من ضلعه الأيسر وبثّ منهما كثيراً من الرجال والنساء وعمرت بهم الأرض وقد اقتضت مشيئة الله أن تلد حواء توأمين ذكراً وأنثى في بطن واحد فكان آدم يُزوّج بين أولاده بحيث يتزوج الذكر الأنثى التي ولدت مع غيره وكانت توأم قابيل أجمل من توأم هاويل فلما أراد آدم المزوجة بينهم ثار قابيل وأراد أن يتزوج توأمه لأنها كانت جميلة وزاد الخلاف بين الأخوين ، فطلب آدم منهما أن يقربا قرباناً لله فمن قبل قربانه كان أحق بالزواج من توأم قابيل وكان قابيل صاحب زرع فقدّم أسوء ما عنده وكان هاويل صاحب غنم فقدّم أفضل ما عنده فتقبل الله من هاويل ولم

يتقبل من قبايل فازداد قبايل سخطاً على أخيه فقتله وحرار بجثته فبعث الله غراباً حياً إلى غراب ميت فأخذ يحفر الأرض بمنقاره ورجليه حتى عمل حفرة وارى فيها جثة الغراب الميت فتعلم من الغراب كيف يوارى سوءة أخيه فحفر له حفرة فدفنه فيها وكان قد سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة وغضب عليه والديه وخسر آخرته لقتله نفساً حرم الله قتلها إلا بالحق وندم أشد الندم على فعله هذا.



جزاء الذين يعتدون على أولياء الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ

فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ المائدة: ٣٣ - ٣٤

عن جرير، قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ عُرَيْنَةَ خُفَاءَ مَضْرُورِينَ ، فَأَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا صَحُّوا وَاشْتَدُّوا قَتَلُوا رِعَاءَ اللَّقَاحِ (أَي ذَوَاتِ اللَّبَنِ مِنَ النَّوْقِ وَغَيْرِهَا) ، ثُمَّ خَرَجُوا بِاللَّقَاحِ عَامِدِينَ بِهَا إِلَى أَرْضِ قَوْمِهِمْ ، قَالَ جَرِيرٌ: فَبَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَدْرِكُنَاهُمْ بَعْدَ مَا أَشْرَفُوا عَلَى بِلَادِ قَوْمِهِمْ ، فَقَدِمْنَا بِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ مِنْ خِلَافٍ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: الْمَاءُ. وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " النَّارُ " حَتَّى هَلَكُوا . قَالَ وَكَرِهَ اللَّهُ سَمَلَ الْأَعْيُنِ ، فَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. . . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

وَأَمَّا اسْتَحَقُّوا هَذَا الْعِقَابَ الصَّارِمَ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ الشُّورَى: ٤٠ وَيَقُولُ: ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة: ١٩٤ حَتَّى لَا يَجْتَرِئَ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِ فَعْلِهِمْ.

معنى الآية : إنما جزاء من يعتدي على أولياء الله ورسوله وهم المسلمون بالقتل أو السلب أو قطع الطريق أو السرقة ويعيثون في الأرض فساداً بتأليف العصابات المسلحة للنهب والسلب والقتل ويبغون الفساد في الأرض أو يقومون بإحراق المزارع والمنازل والمتاجر ونشر الذعر في قلوب الناس أن يعاملوا :

١- بالقتل لمن قتل منهم فقط.

٢- بالصلب لمن قتل وسلب المال.

٣- أو بقطع الأيدي والأرجل من خلاف لمن سلب المال ولم يقتل، أي قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى على أن يكون العضو المقطوع بالنار أو الزيت حتى لا ينزف الدم فيموت أو بقطع النزيف بأي طريق طبي آخر.

٤- أو بالنفي من بلد إلى آخر مع الحبس في هذا البلد الآخر لمن هددوا الناس بدفع مبلغ من المال كما تفعل بعض العصابات. ذلك الجزاء يكون لهم ذلاً وفضيحة في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أشد، واستثنى الله تعالى الذين تابوا من هؤلاء المعتدين قبل القدرة في القبض عليهم فهؤلاء يغفر الله ذنوبهم أما القصاص وحقوق المعتدى عليهم فلا يسقطان بالتوبة فلا بد أن تؤدى الحقوق لأصحابها.



حكم السارق والسارقة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ المائدة: ٣٨ - ٤٠

نزلت هذه الآية : في طعمة بن أبيرق، أحد بني ظفر بن الحارث، سرق درعاً من جار له يقال له : قتادة بن النعمان ، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتشر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق ، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له : زيد بن السمير، فالتصمت الدرع عند طعمة فلم توجد عنده ، وحلف لهم : والله ما أخذها وما له به من علم ، فقال أصحاب الدرع : بل والله قد أدلج علينا فأخذها ، وطلبنا أثره حتى دخل داره ، فرأينا اثر الدقيق، فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه ، فقال : دفعها إليّ طعمة بن أبيرق ، وشهد له أناس من اليهود على ذلك ، فقال بنو ظفر وهم قوم طعمة : انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ ، فكلّموه في ذلك ، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم ، وقالوا : إن لم تفعل هلك صاحبنا واقتضح وبرئ اليهودي ، فهم رسول الله ﷺ أن يفعل ، وكان هواه معهم وأن يعاقب اليهودي حتى أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ النساء: ١٠٥

الآية كلها. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] ، ثم نزلت آية السرقة لبيان حكمها.

يبين الله تعالى حكمه في كل سارق وسارقة : قطع يده اليمنى من الكوع وهو العظم الذي في أسفل الإبهام. والسرقة أخذ مال الغير خفية وإنما يجب القطع إذا كان السارق بالغاً عاقلاً لا صبيّاً ولا مجنوناً وألاً يكون مأذوناً له في الدخول إلى مكان الأموال لا ضعيفاً أو خادماً ولا قريباً ذا رحم محرم من المسروق منه ولا مالكاً للمسروق. وأن يكون المسروق مقدراً بنصاب شرعي ، إنّ السر في تقديم السارق على السارقة هنا وتقديم الزانية على الزاني في قوله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ النور: ٢ إنّ الرجل على السرقة أجراً ، والزنى من المرأة أشنع وأقبح فناسب ذكر كل منهما المقام

قال الأصمعي : قرأت يوماً هذه الآية : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ وإلى جنبي أعرابي ، فقلت : (والله غفور رحيم) سهواً فقال الأعرابي : كلام من هذا ؟ ، قلت : كلام الله ، قال : ليس هذا كلام الله ، أعد ، فأعدت وتنبهت فقلت : ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال : أصبت ، هذا كلام الله ، فقلت : أتقرأ القرآن ؟ قال : لا ، قلت : فمن أين علمت أنني أخطأت ؟ فقال : يا هذا عزّ فحكم فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع ، وهذا يدل على ذكاء الأعرابي وترابط أقسام الآية بين أولها وآخرها.

إنّ التوبة لا تسقط حد الله في القطع ولا حق المسروق في رد ماله وقد بينت السنة ان السارق إن عفا عنه المسروق قبل أن يرفع أمره إلى الحاكم سقط القطع.

قوله تعالى ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ الآية : روى الإمام احمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن امرأة سرقت

على عهد رسول الله ﷺ ، فجاء بها الذين سرقتهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن هذه المرأة سرقتنا ، قال قومها : فنحن نفديها . يعني أهلها . فقال رسول الله ﷺ : " اقطعوا يدها " ، فقالوا : نحن نفديها بخمس مائة دينار ، قال : " اقطعوا يدها " ، قال : فقطعت يدها اليمنى ، فقالت المرأة : هل من توبة يا رسول الله ؟ قال : " نعم ، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك " فأنزل الله تعالى الآية .

عن صفوان بن أمية ، قال : كنت نائماً في المسجد عليّ خميصاً لي ثمن ثلاثين درهماً ، فجاء رجل فأختلسها مني ، فأخذ الرجل ، فأني به رسول الله ﷺ ، فأمر به ليقطع ، قال : فأتيته ، فقلت : أتقطعهُ من أجل ثلاثين درهماً ، أنا أبيعهُ وأنسيهُ ثمنها ؟ قال : " فهلا كان هذا قبل أن تأتيني به " [سنن أبي داود - كتاب الحدود]

ألم تعلم يا محمد ان الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ولا معقب لما قضى به والله على كل شيء قدير . ولا يوجد أعدل وأحكم وأصلح من حدود الله المقررة في القرآن .

* * * * *

الذفن يسارعون فف الكفر

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

المائدة: ٤١ - ٤٣

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ الآيات: عن البراء بن عازب ، قال : مرَّ على النبي ﷺ بيهودياً محمماً مجلوداً ، فدعاهم ﷺ ، فقال : " هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ " قالوا : نعم ، فدعا رجلاً من علمائهم فقال : " أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ " فقال : لا ، ولولا أنك نشدنتني بهذا لم أخبرك ، نجده الرجم ،

لكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع ، فجعلنا التحميم (وهو تسويد الوجه) والجلد مكان الرجم ، فقال رسول الله ﷺ : " اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه " فأمر به فرجم ، فأنزل الله ﷻ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ أَوْتَيْنَا هَذَا فَخَذُوهُ ﴾ [صحيح مسلم - كتاب الحدود].

قال تعالى يا أيها الرسول : لا يحزنك الذي يبادرون إلى الكفر فيظهرونه إن وجدوا فرصة تسنح لهم وهم المنافقون الذين يقولون بألسنتهم مكرراً وخداعاً : أمنا ولكن قلوبهم ما زالت مطوية على الكفر.

ومن اليهود قوم سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك ولم يحضروا مجلسك وهم يهود خبير يحرفون كلام الله وأحكامه في التوراة ويبدلونها حسب أهوائهم يقولون : إن قال لكم التسويد والجلد فاقبلوا به وإن قال لكم الرجم فلا تقبلوا. هؤلاء اليهود يسمع بعضهم البعض الأكاذيب ويأكلوا مال الحرام كالرشوة وغيرها ويحاربون ذوي الثراء منهم ويصدر أخبارهم أحكاماً على حسب أهوائهم فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم لن يضروك شيئاً وإذا اخترت الحكم فاحكم بالعدل الذي أمر الله به. وأنه لعجيب أمر هؤلاء اليهود في تحكيمهم إياك مع أنهم أصحاب شريعة منصوص عليها في التوراة. وأنت نبي أتيت بشريعة أخرى فكيف يتحاكمون إليك في شأن الزانين وعندهم منصوص فيها حكم الله بالرجم؟ إن المؤمن الصادق بشريعة الله إيماناً صادقاً لا يعقل فعلتهم ولا يعدل عن شريعته إذن هم ليسوا بمؤمنين بالتوراة ولا بك يا رسول الله.



آية الأمر بتبليغ الرسالة

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ المائدة: ٦٧

يا أيها الرسول بلِّغ إلى الخلق جميع ما أنزل إليك من ربك ولا تخشى في ذلك أحداً ولا تخف ان ينالك مكروه. ثم أكد ذلك ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ أي وإن لم تفعل ما أمرت به من التبليغ لما أنزل إليك بأن كتمته ولو إلى حين خوفاً من الأذى بالقول أو بالفعل فبلغ ما أنزل إليك كما قال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيَّ إِلَّا الْبَلْعُ﴾ الشورى: ٤٨.

والحكمة في التصريح بالأمر بالتبليغ وتأكيدُه يجعل كتمان بعضه كتمان كله مع العلم ان الرسل صلوات الله عليهم معصومون من كتمان شيء مما أمرهم الله بتبليغه وإلا بطلت حكمة الرسالة بعدم ثقة الناس بالتبليغ. والحكمة في ذلك بالنظر إلى الرسول ﷺ إعلامه بأن التبليغ حتم لا يجوز كتمائه على أي حال بتأخير شيء عن وقته على سبيل الاجتهاد. ولو لا هذا النص لكان للرسول أن يجتهد بتأخير بعض الوحي إلى أن يقوى استعداد الناس لقبوله، ولا يحملهم سماعه على رده وإيذاء الرسول لأجله.

والحكمة بالنسبة للناس ان يعرفوا هذه الحقيقة بالنص فلا يعذروا إذا اختلفوا فيها باختلاف الرأي والفهم.

والحق الذي لا شبهة فيه ان الرسول بَلَّغَ جميع ما أنزل إليه من القرآن وبيّنه.

روى ابن مردويه عن ابن عباس قال : سئل رسول الله ﷺ أي آية من السماء أنزلت أشد عليك؟ فقال : " كنت بمنى أيام موسم، واجتمع مشركو العرب وأفناء الناس (أي لا يعلم ممن هم) في الموسم فنزل عليّ جبريل فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ الآية، قال : ففقت عند العقبة فقلت : " أيها الناس من ينصروني على أن أبلغ رسالات ربي ولكم الجنة؟ أيها الناس قولوا لا إله إلا الله وأنا رسوله إليكم تفلحوا و تنجحوا " . قال ﷺ فما بقي رجل ولا أمة ولا صبي إلا يرمون علي بالتراب والحجارة، ويقولون كذاب صابئ فعرض عليّ عارض فقال : " اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون وانصروني عليهم ان يجيبوني على طاعتك " فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه).

﴿وَاللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أي يمنعك من فتكهم مأخوذ من عصام القرية وهو ما توكأ به أي يربط به فمها من جلد أو خيط، والناس هم الكفار الذين يتضمن تبليغ الوحي إليهم بيان لكفرهم وضلالهم وفساد عقائدهم وأعمالهم والبغي عليهم وعلى سلفهم وكان ذلك يغيظهم ويحملهم

على إيذائه ﷺ بالقول أو بالفعل، وأتمروا بعد موت أبي طالب وقرروا قتله في دار الندوة ولكن الله عصمه منهم وكذلك فعل اليهود بعد الهجرة.

عن عائشة ، قالت : كان النبي ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿وَاللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ " [سنن الترمذي الجامع الصحيح- كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ]

وعن ابن عباسٍ ، قال : كان رسولُ الله ﷺ يُحْرَسُ ، فَكَانَ يُرْسَلُ مَعَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ كُلَّ يَوْمٍ رِجَالًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَحْرُسُونَهُ ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ^ط﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ، فَأَزَادَ عَمُّهُ أَنْ يُرْسَلَ مَعَهُ مَنْ يَحْرُسُهُ فَقَالَ : " يَا عَمُّ إِنَّ اللَّهَ ^ع قَدْ عَصَمَنِي مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ " ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ : " كَانَ الْعَبَّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَنْ يَحْرُسُهُ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ : ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ^ط وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ ^ع وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ ^ط﴾ تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَرَسَ " [المعجم الكبير للطبراني]

وذكر الله تعالى ما هو سبب العصمة فقال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي أنه تعالى لا يهدي أولئك القوم الكافرين الذين هم بصدد إيدانك على التبليغ إلى ما يريدون وتتم كلمات الله تعالى حتى يكمل بها الدين.



كفارة الأيمان

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ المائدة: ٨٩

عن ابن عباسٍ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ حَرَّمُوا النِّسَاءَ وَاللَّحْمَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَصْنَعُ بِأَيْمَانِنَا الَّتِي حَلَفْنَا عَلَيْهَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ..﴾ [الآية [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

فِي الْآيَةِ حُضُّ عَلَى تَرْكِ الْحَلْفِ لِأَنَّ مِنْ أَعْتَادِ لِسَانِهِ عَلَى كَثْرَةِ الْحَلْفِ لَا يُصَدِّقُ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا وَهَنَّاكَ أَيْمَانُ تَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ وَلَا يَقْصِدُ بِهَا الْحَلْفَ تَسْمَى لَغْوًا وَهِيَ الْأَيْمَانُ الَّتِي تَصْدُرُ مِنَ الْإِنْسَانِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ كَأَنْ يَقُولَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فُلَانًا أَوْ بُلَى وَاللَّهِ قَابِلْتَهُ وَاللَّغْوُ مِنَ الْأَيْمَانِ لَا يَحَاسِبُ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا يُؤَاخِذُهُ عَلَى نَكْتِ الْأَيْمَانِ الَّتِي تَقَعُ بِالْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ الْمُتَعَمِّدَةِ.

ولا تتعقد اليمين بغير الله من المخلوقات وتجب الكفارة على الحنث باليمين أي عدم البر ومخالفة مقتضى اليمين، والحالف مخيرٌ في اختيار الكفارة وهي، إما أن يكون من الموسرين فيؤدي إحدى الكفارات الثلاث الآتية

١- إطعام عشرة مساكين بحيث يكون مطابقاً لأغلب ما يطعمه الحالف لأهله قدرأً ونوعاً ، وأفضل الطعام للمساكين ما كان من الخبز واللحم.

٢- أو كسوة عشرة مساكين بأن يكسو كل واحد منهم ثوباً يستر عامة البدن.

٣- أو تحرير رقبة مؤمن من الرق، فالموسر إن حنث بيمينه يخير أن يكفر ذلك بإحدى الكفارات الثلاث المذكورة ، أما الفقير فهو الذي يجوز له أن يكفر فيصوم ثلاثة أيام متتابعات أو متفرقات لأن قوله : ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ يدل على حصر جواز التكفير بالصيام لغير الموسرين. ذلك هو كفارة أيمانكم إذا حلفتم وحنثتم، وأحفظوا أيمانكم ولا تبذلوها في كل أمر وقللوا منها ما استطعتم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم.

وهكذا نرى أن الله تعالى قد جعل كفارة الغني الموسر في ماله ، وكفارة الفقير المعسر في نفسه وفي ذلك تربية للنفس.

ونعيد ونقول لا ينعقد الحلف إلا بالله أو باسم من أسمائه الحسنی كالرحمن والسمیع أوصفاته العلیا كعزته وقدرته وعلمه وعظمته ... عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ كَانَ حَالِفًا ، فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ " [صحيح البخاري- كتاب الشهادات]



البيت الحرام والشهر الحرام

قَالَ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ

وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَةَ^٤ ذَلِكَ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ المائدة: ٩٧

للبيت الحرام أي الكعبة مكانة مشرفة عظيمة عند الله في شريعة إبراهيم الخليل عليه السلام وفي شريعة الإسلام لاعتبارات معنوية سامية فهي مقر لتوحيد الله تعالى من قبل جميع الناس وللتجارة ويلوذ بها الخائف ويأمن في أرجائها الضعيف فلا يتعرض له أحد ، قال تعالى : ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِمَّا وَبِخَطْفِ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ العنكبوت: ٦٧ ويجتمع الناس حولها من كل فج عميق ليذكروا اسم الله في أيام معدودات.

والكعبة : بيت مكة وهو أول بيت وضع للعبادة في الأرض وسمي كعبة لتربيعة. ويقال انها سميت كعبة لنتوتها ونشوزها عن الأرض وقد بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بمكة المكرمة.

وصير الله تعالى الكعبة مهوى الأفئدة والقلوب فهي في كل زمان ومكان تهوي إليها القلوب وهي أيضاً سبب لزيادة الرزق والثمرات فيقوم أمر العباد ويصلح شأنهم في الدنيا والآخرة. وهكذا يجد كل حاج حاجته ومطلبه إجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام حيث دعا ربه قائلاً : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ

الْتَمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ إبراهيم: ٣٧. وجعل الله الأشهر الحرام فترة سلام وأمان وتلك الأشهر هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وهو رجب الأصم لأن لا يسمع فيه صوت السلاح فيأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وتجارتهم وتخدم نار الحروب وينصرفون إلى العبادة وصلة القرابة.

كذلك الهدّي (وهو كل ما يقدم من الأنعام حين زيارة البيت الحرام) والقلائد أي الإبل المقلدة المَعْلَمَة بلحاء الشجر جعلها الله قياماً للناس أي أماناً. فالهدى أمانة لمن يسوقه لأنه يُعَلَّم انه في عبادة لم يأت لحرب وكذلك القلائد من الإبل فتكون أماناً لمن قلدها وهذا التقليد محل تعظيم شديد في نفوس العرب حتى انه من ليس بمُحَرِّمٍ له أن يتقلد شيئاً خوفاً من الله.

ذلك التشريع الذي شرعه الله تعالى من أوضح الدلائل على حكمته وعظيم قدرته وعلمه بخفايا الأمور لان علمه محيط بكل ما في السموات والأرض لا يعزب عنه شيء جلت قدرته تعالى.



الخبيث والطيب

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ المائدة: ٩٨ - ١٠٠

سبب نزول هذه الآية فيما أخرج الواحدي والأصفهاني عن جابر رضي الله عنه عن جابر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ ، وَشَرْبَ الْخَمْرِ وَالطَّعْنَ فِي الْأَنْسَابِ . أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ لِعِنِّ شَارِبِهَا وَعَاصِرِهَا وَسَاقِيهَا وَبَائِعِهَا وَآكِلِ ثَمَنِهَا " فقام إليه أعرابي فقال : يا رسول الله ، إني كنت رجلاً كانت هذه تجارتي ، فاقتنيتُ من بيع الخمر مالا ، فهل ينفعني ذلك المال إن عملتُ فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " إِنْ أَنْفَقْتَهُ فِي حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صَدَقَةٍ لَمْ يَعْدِلْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، إِنْ اللَّهُ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ " فأنزل الله تعالى تصديقاً لقوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] .

خوَّفَ الله عباده وأرهبهم بأنه شديد العقاب لمن عصاهُ وغفور رحيم لمن أطاعه لأن الإيمان لا يتم إلا بالخوف والرجاء وفي هذه الآية وعيد لمن هتك محارم الله واستغرق في المعاصي ووعده من حافظ على حرمان الله وانتهى عما نهى عنه الله.

ثم أتبعها بمهام الرسول ﷺ وإنها مقصورة على التبليغ وإن رسوله قد أدى الأمانة ونصح الأمة.

ولما زجر الله عن المعصية ورغب في الطاعة في الآية الأولى وأتبعه بالتكليف في الآية الثانية بقوله: ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ ﴾ وإنه يعلم من الناس سرهم وعلنهم، أمر رسول الله أن يقول لهم: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ أي الحلال والحرام والفاجر والبرّ والمفسد والمصلح ولو أعجبك أيها المكلف كثرة الخبيث لأنه لا يساوي شيئاً عند الله. فاتقوا الله يا ذوي العقول الراجحة في تجنب الخبيث وإن كثرت، وآثروا على أنفسكم بالطيب وإن قلّ، فإن العبرة بالعمل من حيث كونه حسناً أو قبيحاً لا من حيث كونه كثيراً أو قليلاً.



أحكام العرب في الجاهلية

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَا كَنَّ أَلْدِينِ
كَفَرُوا بِفَتْرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا
إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ
ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ المائدة: ١٠٣ - ١٠٤

ابتدع العرب في الجاهلية أموراً شرعوها لأنفسهم وتابعهم من بعدها من أعقبهم فحرموا على أنفسهم أربعة من الأنعام هي :

١- البَحِيرَةُ : هي الناقة التي يبشرون أذننها أي يشقونها شقاً واسعاً إذا ولدت خمسة أبطن إناثاً وكان آخرها أنثى حرم على النساء لحمها ولبنها، وإن كان آخرها ذكراً نحروه وأكلوه.

٢- السائبة : هي الشاة أو الناقة التي كانت تُسَيَّب بنزرها لآلهتهم الأصنام فتعطى للسدنة (الخدم) وترعى حيث شاءت، ولا يحمل عليها شيء ولا يجزّ صوفها ولا يحلب لبنها إلا لضيف.

٣- والوصيلة : هي الشاة أو الناقة التي تصل أخاها بأن تلد ذكراً وأنثى فيقال: وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم كما كانوا يفعلون لو ولدته وحده.

٤- والحامي : الفحل الذي يولد من ظهره عشرة أبطن فيقولون حمى ظهره، فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا من مرعى.

هذه أنظمة الجاهلية ولكن الله لم يشرع شيئاً من ذلك ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ويقولون : إنَّ الله أمرنا بهذا والله منزّه عن أن يأمر بما أفتروه عليه وأكثرهم لا يعقلون الحلال والحرام ولا يميزون المباح من المحرّم وإنما قلدوا آباءهم وورثوا هذه العادات القبيحة عنهم.

وإذا قيل لهم : تعالوا نحتكم إلى ما أنزل الله في كتابه الحكيم وإلى الرسول الذي أنزل عليه هذا الكتاب قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا من هذا الجهل من وأد البنات، وشرب الخمر، وظلم الأيتام، وارتكاب الفواحش والمنكرات، وإثارة العداوة والبغضاء ... إنهم باقون على الكفر كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ١٧٠ .

* * * * *

مظاهر قدرة الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ

مُسَمًّى عِنْدَهُ. ثُمَّ أَنْتُمْ تَمَّرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ

سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ الأنعام: ١ - ٣

الله سبحانه وتعالى هو وحده المستحق لعبادته والحمد لله على نعمه العظيمة التي أنعمها على البشر فقد خلق السموات ورفعها من غير عمد وزينها بالكواكب وأحكم التماسك والتجاذب بينها، كل يسبح في فلكه على نظام دقيق، وخلق الأرض التي نسير فوقها ونستخرج منها المعادن ونزرع عليها اقواتنا واقوات حيواناتنا وفجر فيها العيون وبث فيها من كل دابة وخلق الظلمات والنور يتعاقبان فالليل ظلمته لنسكن فيه والنهار نوره لنبتغي فيه من فضله لا يعد أحدهما على الآخر وهذه النعم الجزيلة كانت تقتضي من جميع خلقه الذين غرقوا في بحار احسان الثناء عليه والشكر له، ولكن الذين كفروا مع هذه النعم والآلاء المترادفة يسوون في العبادة بينه وبين حجارة ينصبونها ويجعلونها آلهة يعبدونها ويتخذونها أنداداً لله، سبحانه وتعالى أن يكون له ند ولا شريك ولم يكن له كفواً احد. ألا يعرفون أن هذه الآلهة لا تستطيع أن تقدم لهم نفعاً ولا ضرراً، ثم ان الله تعالى

خلق الإنسان وهو آدم عليه السلام من طين ثم قدر لكل فرد من أفراد ذريته وقتاً يموتُ فيه وقت حلوله وأجل لا يعلمه إلا هو. وهو وقت البعث والنشور ثم أنتم أيها الكفرة تشكّون في يوم البعث وتظنون استحالة وقوعه مع أنّ القادر على خلقكم قادر على إعادتكم مرة ثانية للحياة بعد الموت.

وهو الإله المستحق لعبادته المتصرف في السموات والأرض يعلم سركم ونجواكم وما تجرون به من قول وما تكتم ضمائركم ويعلم ما تفعلون من خير أو شر فيثيب على الخير ويعاقب على الشرّ.



الله تعالى وحده عالم الغيب

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا
 يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم
 بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا
 كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ
 أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ
 إِلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ ﴿٦٢﴾ الأنعام: ٥٩ - ٦٢

اختص الله تعالى بعلم الغيبيات ولا يعلمها إلا هو، فهو يعرف وحده متى يبعث الناس من قبورهم يوم القيامة، ومتى ينزل المطر من السماء وما الذي يحدث للإنسان في مستقبل حياته. وما يوجد في بطون الأمهات من الأجنة أذكر أم أنثى؟ وما على ظهر الأرض أو في جوف البحر من مخلوقات بل لا تسقط ورقة من شجرة ولا توجد حبة في باطن الأرض وما من شيء جاف أو طري من المخلوقات إلا أحاط الله بعلمه إذ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

واختص وحده بكمال قدرته بعلم دقائق الأشياء وحديث النفس ومسألة النوم واليقظة فلا تستطيع إدراكاً ولا تمييزاً، ويعلم ما نكسبه في النهار من عمل، أخيراً كان أم شراً وهو الذي يرُدُّ إدراكنا ونشاطنا بعد استيقاظنا لنزول أعمالنا وما هياً

الله لنا إلى أن تتقضي أعمارنا التي قدرها الله لنا في الحياة الدنيا ثم يبعثنا يوم القيامة فيخبرنا بما فعلنا في الدنيا ويجازينا عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

والغيبات التي يعلمها الله خمس مذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ

تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ لقمان : ٣٤

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : " مَفَاتِحُ الْغَيْبِ

خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ : لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ

إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطْرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ

تَمُوتُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ " [صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن]

وهو الغالب على عباده، المتصرف في أمورهم فلا يعجزه أحد ولا يستطيع

أحد أن يحول بينه وبين ما يشاء. ويرسل عليكم أيها الناس كراماً كاتبين من

الملائكة يعلمون ما تفعلون من حيث لا تشعرون فيكتبون ما تعملون من

الطاعات والمعاصي ولا يغادرون صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها عليكم فإذا جاءت

أمارات الموت وانتهت آجالكم توفنكم رسل من الله تعالى موكلون بقبض الأرواح

في الأوقات المعينة والواجب علينا أن نؤمن بهذا من غير أن ندخل في تفاصيله.

ثم بعد الموت يردون إلى الله مالكمم الذي يتولّى أمورهم ، العادل الذي يقضي

بالحق ألا له الحكم في ذلك اليوم، وهو أسرع الحاسبين فيحاسب الخلق في أسرع

وقت وأقصره.



اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى^ط يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنَاطٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

في ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون ﴿٩٩﴾ الأنعام: ٩٥ - ٩٩

من مظاهر أفعال الله العجيبة الدالة على كمال قدرته ولطيف صنعه وحكمته انه :

- ١- يشق الحب اليابس فيخرج منه النبات كما يحدث في القمح والذرة والبقول ونحوها.
- ٢- ويشق النوى، فيخرج منه النخل وأشجار المشمش والخوخ ونحوها.

٣- ويخرج الحي من الميت : كالماتر من البيضة والنبات الغض الطري من الحب، والنخل والخب من النوى ففي البيضة جنين حي يخرج من الطائر وفي الحب مادة حية يخرج منها النبات فكل حيوان ونبات يخرج من مادة حية والمقصود من كونها ميتة أنها لا تظهر عليها علامات الحياة من حركة ونمو وغيرهما من مقومات الحياة ومظاهرها فالحياة فيها كامنة ولكنها خامدة خمود الأموات فكأنها ميتة

٤- ومخرج الميت من الحي كالبيضة من الطيور والحب اليابس من النبات الحي النامي. ذلكم القادر العظيم الشأن الساطع البرهان أيها المعاندون هو الله المستحق وحده للعبادة فكيف تُصرفون عن عبادته إلى غيره؟

٥- فالق ظلمة الليل ببياض النهار صباحاً في أول ما يبدد من النور عند بزوغ الفجر الصادق فتتقشع الظلمة شيئاً فشيئاً.

٦- وجعل الليل وقتاً يسكن فيه الناس إلى الراحة والطمأنينة بعد تعب النهار ابتغاءً للرزق وفيه تأوي الطيور إلى أعشاشها والحيوانات إلى مرائبها.

٧- وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب دقيق كل منها في فلكه بنظام محكم لنعلم عدد الأيام والشهور والسنين ذلك الحساب الدقيق الناشئ من دوران الأرض حول نفسها في حركتها اليومية وفي دورانها حول الشمس في حركتها السنوية بتقدير من الله القادر الذي لا يستعصي عليه شيء.

٨- وخلق النجوم من ثوابت وسيارات هداية لخلقها في ظلمات الليل في البر والبحر.

٩- وخلق الناس من نفس واحدة وهو آدم أبو البشر وخلق من آدم حواء وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وكل الخلق مستقر للنطفة من صلب الأب بمستودع في رحم الأم. فهذه الآيات التي لا يقدر عليها غيره لقوم يفقهون

ما يتلى عليهم من دقائق وخفايا. فإنشاء الناس من نفس واحدة وتصريفهم في أحوال مختلفة : نطفة، فعلاقة، فمضغة، فعظاماً مكسوة باللحم. أمر دقيق يحتاج إلى فطنة وعقل راجح ولذلك ذكر الله (يفقهون) لأن الفقه هو العلم بدقائق الأشياء أما ما ذكر من الآية كلمة (يعلمون) مع النجوم لأن أمرها في الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر ظاهر.

١٠- وأنزل من السحاب ماءً لينبت به نبات الأرض من كل الأصناف.

أ/ نباتاً ملوناً باللون الأخضر خلقه من غير صناعة عضاً طرياً وأخرج من هذا النبات حباً متركباً بعضه فوق بعض كما في سنابل القمح.
ب/ ونخلاً يخرج من طلعه عراجين تحمل أثماره دانية القطوف سهلة التناول.

ج/ وبساتين من أعناب.

/ والزيتون والرمان بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر والطعم واللون.

انظروا أيها المعاندون الكافرون نظر تأمل واعتبار إلى ثمر كل صنف من الأصناف حين إثمارها حيث يكون غير مستساغ في أول الأمر وانظروا إليه في حال نضجه كيف يكون لذيذاً يظهر لكم لطف الله وقدرته وتدبيره وحكمه. كل هذا دلائل على قدرة الله ووحدانيته فتعالى الله عما يشركون.



الإسلام دين الحق والهداية

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ هُمْ دَارَ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ الأَنْعَامُ: ١٢٥ - ١٢٧

القرار الحاسم من الله تعالى إنه لا داعي للتأسف على إعراض المشركين عن دعوة الإسلام فمن يرد الله أن يوفقه للإسلام ولا يهديه للإيمان بل يصرف قلبه عنه ويبغضه فيه الضلال فلا يوفقه للإسلام واضحة والحجج قائمة بل ان نفسه تتصرف عن الإيمان وقلبه يزداد ضيقاً وحرجاً إذا ذكر الإسلام كأنه يصعد في طبقات الجو طبقة طبقة فيشتد ضيقه وحرجه، وهذا التصوير من آيات الله الكبرى، فإن الإنسان كلما صعد في أعلى طبقات الهواء خف عليه الضغط الجوي فيزداد ضيقاً وحرجاً حتى ليكاد قلبه يخرج من صدره ودمه يطفر من عينيه وأنفه ويشعر بضيق ليس بعده ضيق وحرج يكاد تزهق منه نفسه ويتمزق قلبه، هذا بشأن من صرف الله قلوبهم عن الإيمان يضيّقون به كلما عرض عليهم. وبدت حججه واضحة لهم ومثل هذا الضيق الذي يصيب الله به من أضلهم عن الإسلام يجعل الله الرجس والشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة على أولئك الذين لا يؤمنون ولا يهتدون.

وهذا الطريق الذي اقتضته حكمة الله في هداية من أراد هدايته فيشرح صدره للإسلام وفي إضلال من أراد إضلاله فيجعل صدره ضيقاً حرجاً بالإسلام. والله تعالى لم يفصل آيات القرآن وبيّنها لأولئك الذين صرف قلوبهم عن الإسلام وإنما فصلها لأولئك الذين تلين قلوبهم لذكر الله ويتعظون بآياته وتنشرح صدورهم للإسلام وقد أعد الله لهم الجنة يوم القيامة وهو الذي يتولاهم في الدنيا فيوفقهم إلى الإيمان وفي الآخرة فيدخلهم دار السلام. جزاءً بما قدّموا في الدنيا من إيمان صادق وعمل صالح.

سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ قالوا : كيف يشرح صدره يا رسول الله ؟ قال : " نورٌ يقذف فيه فينشرح له وينفسح " ، قالوا : فهل لذلك أمانة يعرفها ؟ قال : " الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد قبل لقاء الموت " [ابن كثير ج ٢ ص ١٧٤]



إنذار من الله تعالى للكافرين

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ
 (١٣٢) وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ
 بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ (١٣٣) إِنْ مَا
 تُوَعَّدُونَ لَأَتِيَنَّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ
 إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الظَّالِمُونَ (١٣٥) الأنعام: ١٣٢ - ١٣٥

لم يترك الله تعالى وسيلة إلى دفع الناس إلى الإيمان وترك الكفر إلا ذكرها ولم يهمل طريقة إصلاحية إلا سلكها سواءً بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، إن ربحكم غني عن عباده وعن عبادتهم فليس في حاجة إلى أن يؤمنوا به أو يعبدوه ولكن الإيمان والعبادة هي رحمة لأن فيها سعادة الدارين وهو قادر على أن يخسف بكم ويذهبكم أيها الكفار المعاندون بعذاب الاستئصال الشامل كما أهلك من قبلكم قوم عاد وثمود ويأتى الآخرين غيركم أفضل منكم كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين فهو سبحانه وتعالى قادر على الإهلاك والإنشاء معاً فهو قادر على ذلك كما أهلك زعماء الكفر السابقين المعاندين واستخلف من بعدهم قوماً آخرين وهم المهاجرون والأنصار الذين كانوا مظهر رحمة الله للبشر في سلمهم وحريرهم.

إن ما توعدون به من البعث والعذاب لآت عن قريب وواقع لا محالة ولا مرد له ولستم بقادرين على إعجاز الله .. فهو القاهر فوق عباده وهو القادر على إعادتكم وإن صرتم تراباً ورفاتاً وعظاماً بالية ثم أوضح الله تعالى قائلاً : قل لهم أيها الرسول تهديداً ووعيداً : اعملوا على إمكانكم واستطاعتكم واثبتوا على كفركم وعنادكم إنني عامل جهد استطاعتي وثابت على إسلامي ومستمر في دعوتي إلى الحق وبقا على ما أنا عليه من الصبر عليكم فسوف تعلمون من تكون له العقابة المحمودة في الدار الآخرة إنه لا يفلح الكافر ولا يفلح الظالم.



أهل البدع والضلالات

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

الأنعام: ١٥٩ - ١٦٠

إنّ الذين فرّقوا دينهم بالأراء والبدع والضلالات التي يبثونها في أتباعهم من العامة وغيرهم، فيجعلونهم طوائف تتعصب كل طائفة لرأيها وبذا تصير الأمة فرقا متعادية هؤلاء أيها الرسول ضالون مضلون ولست من مذاهبهم التي انتحلوها لأنفسهم في شيء لأنهم هم الذين ابتدعوها فالله سبحانه وتعالى يتولى جزاؤهم يوم الحساب. عن عمّار بن الخطاب رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة: " يا عائشة ، إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا : إنّهم أصحاب البدعة والأهواء ، وأصحاب الضلالة من هذه الأمة يا عائشة إنّ لكل صاحب ذنب توبة ، غير أصحاب الأهواء والبدع ليس لهم توبة ، أنا منهم بريء ، وهم مني برأء " [السنة لابن أبي عاصم] ، وليس معنى هذا أنّهم إذا ظهر لهم خطوهم رجعوا وتابوا إلى الله لا تقبل توبتهم بل معناه أنّهم لا يتوبون لأنهم يزعمون أنّهم على حق وأنهم مصيبون .

من جاء بالحسنة وهي الأعمال الصالحة وهو مؤمن فله جزاء عشر حسنات أمثالها فضلا من الله ونعمة وهذا أقلّ جزاء يجزي الله به المحسن وقد يصل الجزاء إلى سبعين أو سبعمائة أو إلى ما فوق ذلك، ومن جاء بالسبيئة وهي الأعمال الفاسدة فلا يُجزي إلاّ مثلها ولا يظلم أحد من الناس أبداً بنقص ثوابه أو

زيادة عقابه قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٤٠ . وتختلف الحسنة باختلاف معطيها فالدرهم من الفقير المحتاج أفضل عند الله من دينار من الغني الثراء ومن يبذل ماله من قلبه وهو مرتاح من الإنفاق ليس كمثل الذي يبذل ماله في أسف وسخط.

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ ، فيما يروى عن ربه ﷻ قال : قال : " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً " [رواه الشيخان، وهذا لفظ البخاري- كتاب الرقاق]



إتباع القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْمَصَّ ١ ﴾ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ
وَذِكْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿ ٢ ﴾ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿ ٣ ﴾ الأعراف: ١ - ٣

القرآن الكريم وما تضمن من أحكام وتشريعات هو آخر الكتب السماوية وخاتمة الشرائع الالهية. وهو الكتاب الالهي الوحيد الواجب اتباعه دون غيره من الكتب السابقة ومن خالف هذا وعصى أمر الله فإن له العذاب في الآخرة.

الحروف المقطعة (المص) في أول سورة الأعراف كغيرها من بعض السور للتنبيه والتحدي بالالتيان بمثل هذا القرآن ما دام مكوناً من الحروف العربية مادة صياغة الكلام العربي الذي يفتخر به العرب بأنهم سادة البلاغة فيه لذا اقترنت هذه الحروف بالتنويه بالقرآن الكريم. وهنا يصفه الله تعالى بأنه كتاب عظيم الشأن أنزله الله على نبيه محمد ﷺ للدلالة على عظيم قدرة الله تعالى فلا يكن أيها النبي ضيقاً في صدرك من الانذار وتبليغ الناس وتذكير أهل الإيمان به ذكرى تنفعهم وتؤثر فيهم وفي هذا اثبات لوحداية الله سبحانه وتعالى والبعث والنبوة والوحي.

وبما ان هذا القرآن العظيم منزل من عند الله تعالى فأمرنا أن نتبعه ونتبع ما فيه من أحكام وشرائع وحلال وحرام ولا نتبع من دون الله أعواناً وأنصاراً كالشياطين التي توسوس للناس لما فيه ضرهم وضلالهم وشرهم وفسادهم وتوهم الناس بأن الأصنام شركاء لله وهم ذو تأثير عند الله مع انهم جمادات صماء لا نفع فيهم وهم مخلوقون عاجزون أن يجلبوا الخير لأنفسهم أو دفع الضرر عنها فمن عبدها وقع في الضلالة والانحراف عن حكم الله تعالى ولكنكم تتذكرون قليلاً وتتسون الواجب عليكم نحو ربكم كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يوسف: ١٠٣



الموازن القسط

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَآيِنَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

الأعراف: ٤ - ٩

إن الكفار الذين يعبدون من دون الله ويتخذون لهم أولياء من دونه أعلمهم أنّ عذاب الله شديد، وحذرهم سخطه وغضبه، وكثيراً ما أهلك أهل القرى الذين سبقوهم حينما كذبوا رسله ولم يتعظوا فحلّ بهم عقابه ليلاً قبل أن يصبحوا كما فعل بقوم لوط أو نهاراً وقت القيلولة كما فعل بقوم شعيب.

وهؤلاء عندما رأوا أن عذاب الله واقع بهم لا محالة تنبهوا وأدركوا أنهم كانوا على ضلالة في تكذيبهم أنبيائهم وأخذوا يدعون الله ويقولون: يا رب إنّنا كنا ظالمين، ولكن لا ينفعهم ندمهم في هذه اللحظة فقد حق عليهم العذاب ولا ينفعهم الدعاء في يوم القيامة. والله سبحانه سيَسأل يوم القيامة الأمم الذين أرسل إليهم رسله ما موقفهم من الرسل؟ وبماذا أجابوهم؟ أعصوهم؟ أم أطاعوهم؟ وكذلك يسأل الرسل ماذا فعلوا برسالات ربهم، أبلّغوها للناس وأدّوها أحسن أداء كما أمرهم الله تعالى؟ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون.

والله تعالى سيخبر الرسل والذين أرسلوا إليهم بحقيقة ما وقع ليعلموا ان الله يعلم بكل الأشياء ما ظهر منها وما بطن والله تعالى حينما يسأل لا يفعل ذلك لأنه لا يعلم ولكن استهزاءً بهم واستحقاراً لشأنهم ويسأل الرسل وذلك مبالغة في الشهادة على الأمم الكافرة المشركة. والله يقضي بالحق بينهم يوم القيامة فمن خفت حسناتهم وقلّت، وثقلت سيئاتهم وكثرت، فأولئك هم الذين جنّوا على أنفسهم وأضاعوها وحرموها بسوء أعمالهم وبما أقترفوا من ذنوب كثيرة وجدوا بآيات الله وكانوا لأنفسهم ظالمين. ومن رجحت حسناتهم فهم الناجون من عذاب النار ويظفرون بدخول الجنة وبرضا الله تعالى.



لباس التقوى

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تِكُمْ وَرِيْشًا وَلِبَاسَ
 التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْ ءَادَمَ لَا
 يَفْنِيْكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
 سَوَاءَ تِهِمَا إِنَّهُ يَرِيْكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ
 لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ الأعراف: ٢٦ - ٢٧

اللباس للإنسان مظهر من مظاهر التمدن والتحضّر وعنوان احترام الآخرين أما العري وإظهار الأعضاء فهو مظهر من مظاهر البدائية والتخلف. لذا أمّتن الله تعالى بأنعامه على البشرية إذ أوجد لهم أنواع الألبسة لستر العورات والعيوب ومختلف الرياش والأصواف للتعنم والراحة وحذر القرآن من فتنة الشيطان ووساوسه التي هي سبب من أسباب نزع اللباس وإزالة النعمة.

لقد ابتدأت الآيات بقوله: ﴿يَبْنِيْ ءَادَمَ﴾ وهو خطاب لجميع الأمم وهو

خطاب للذين يتعرّون عند الطواف بالكعبة البيت الحرام. فمعنى قوله

سبحانه وتعالى: قد رزقناكم ما تستطيعون أن تستروا عوراتكم عن أعينكم وأعين غيركم فلا تكشفوا عوراتكم ولا تحرموا أنفسكم ما يسر الله لكم من المتع الحلال.

وخير المتع أن تستشعروا تقوى الله فتنتهوا عما نهى الله عنه وتأتمروا بما أمر الله به وأن تكونوا مؤمنين خائفين من الله ومراقبين له. وهذا اللباس من فضل الله عليكم إلا أن الله تعالى فضّل اللباس المعنوي وهو التقوى (العمل الصالح والإيمان) على اللباس المادي لان أثره خالد وحافظ للقيم والأخلاق التي تكفل الاستقرار ودوام الحياة الكريمة.

فبما أن الله قد أنعم علينا هذه النعم الكثيرة منها اللباس الذي يوارى سوءاتنا فيجب أن نشكره بالعبادة والتقوى والعمل الصالح ولا نعصي أمره ولا نخالفه ولا يخدعنا الشيطان فنطيعه بإبداء السوءات للناس كما خدع آدم وحواء من قبل وأغراهم بالمعصية وسبب طردهم من الجنة ونزع عنهما لباسهما عن عوراتهما وهو ورق الجنة، وزيادة في التحذير أن الله ﷻ قد مكّن الشيطان من ابن آدم.

أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن الشيطان يرى المؤمنين هو وجماعته وهم لا يرونه فيجب التخلص من وساوسه بكثرة الطاعة والقناعة برزق الله وفضله علماً بأنّ للشيطان أعواناً وأنصاراً والشياطين هم أعوان الكفار الذين لا يؤمنون بالله تعالى إيماناً حقاً بسبب استعدادهم لقبول وساوس الشيطان كاستعداد الأجسام لاستقبال الأمراض الفتاكة بسرعة كبيرة وتورط شديد.



عاقبة الكذب على الله تعالى

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ
نَصِيبُهُم مِّنَ الْكُذِّبِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ أَدْخُلُوا فِي
أُمِّهِ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ فِي النَّارِ ۗ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ
إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَذِّبْنَا عَذَابًا
ضَعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمُ لِأُخْرَيْنَهُمْ فَمَا
كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴿٣٩﴾

الأعراف: ٣٧ - ٣٩

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي : لا أحد أظلم ممن افترى الكذب على الله بأن أوجب على عباده من العبادات ما لم يوجبه، أو حرّم عليهم من الدين ما لم يحرمه، أو عزا إلى دينه أحكاما لم تنزل على رسله.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ المنزلة عليهم سواء كان بالقول أو الاستهزاء بها أو الاستكبار عن إتباعها. أولئك لهم نصيب من الكتاب أي ما مقدر لهم من خير أو شر أو سعادة أو شقاء أي أن هؤلاء المفتريين يصيبهم نصيبهم مما كتب لهم وقدر عليهم من الأرزاق أو الأجال فهم مع ظلمهم وافتراءهم على الله لا يُحرمون ما قدر الله لهم إلى انقضاء آجالهم حيث قال تعالى: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مَن عَظَّمَ رَبِّكَ﴾ الإسراء: ٢٠ وقوله: ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ لقمان: ٢٤

فإذا جاءتهم ملائكة الموت توفتهم حيث انتهى أجلهم فتقبض أرواحهم ثم سألهم ملك الموت الذي وُكِّلَ بهم حين التوفي على سبيل الجزر والتوبيخ : أين شركاء الدين الذين كنتم تزعمون في الدنيا من دون الله؟ فأدعوهم ينجوكم مما أنتم فيه من شدة وعذاب، فيقولون: غابوا عَنَّا وذهبوا ولا ندري أين مكانهم وشهدوا على أنفسهم واعترفوا بكفرهم، وحاش لله أن يتخذ الأعوان والمساعدين فالله غني بعلمه المحيط وقدرته الكاملة من أن يحتاج إلى عون ، وتقول لهم الملائكة : ادخلوا مع الذين سبقوكم من قبلكم من الأمم في النار وفي هذا إيمان إلى انه تعالى لا يسوق الكافرين جميعهم إلى النار دفعة واحدة بل يدخلهم فوجاً فوجاً ويشاهد الداخل إلى النار الأمة التي سبقته وكلما دخلت جماعة منهم في النار ورأت ما حل بهم من الخزي والعار لعنت أختها في الدين والملة أي هي قد ضلت باتباعها من كفر قبلها من الأمم. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ العنكبوت: ٢٥ .

وهكذا فالمشركون يلعنون المشركين واليهود تلعن اليهود والنصارى تلعن النصارى وهكذا بقية الديانات الضالة كالمجوس والصابئة حتى إذا تلاحقوا وأدرك بعضهم بعضاً واجتمعوا في النار قالت أخرى كل منهم : ربنا هؤلاء أضلونا عن الحق باتباعنا لهم وتقليدنا إياهم كما كانوا عليه

من أمر الدين وسائر أعمالنا فأعظم ضعفاً من عذاب النار لإضلالهم إيانا فوق العذاب على ضلالتهم حتى يكون لهم ضعفين من العذاب ضعفاً للضلال وضعفاً للإضلال.

قال الله ﷻ : لكل ضعف من العذاب بإضلاله فوق عذابه على ضلاله ولكنكم لا تعلمون قال تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ النحل: ٢٥

وتقول الفئة المتقدمة للفئة المتأخرة ويقول أشراف الأمة لعامتها : قد رأيت
ما حلّ بنا وقد سبقناكم وقد جاءت الأنبياء لنا ولكم فلم تتعظوا بهم ولم تؤمنوا
برسالتهم ولم تمنعكم بالإيمان بهم ولم ننهم عن طاعة الله ولم نقل لكم قلدونا وما
أرغمناكم بذلك فلا فضل لكم علينا بالاعتبار والإيمان والتصديق فيقول الله تعالى
لهم : ذوقوا أيها الكفرة عذاب جهنم لا فرق بين متقدم ومتأخر ولا بين سيد ولا
غيره.

* * * * *

جزاء المكذبين بآيات الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ هُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مَهَادُّ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۖ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ الأعراف: ٤٠ - ٤١

إنّ الذين كذبوا بأدلتنا ولم يتبعوا الرسل وتكبروا عن التصديق بما جاءوا لا تفتح لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء ولا يصعد لهم في حياتهم قول ولا عمل لأنّ أعمالهم خبيثة وإنما يرفع إلى الله الكلم الطيب والعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر: ١٠ والعرب تضرب الأمثال كمثل قولهم (لا افعله حتى يشيب الغراب) أي أمر مستحيل أو ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۖ﴾ وهذه الآية تصنع قراراً حاسماً وتقرر حكماً مبرماً لا رجعة فيه وتوضح احتمال دخول الجنة مستحيل أبداً فلا يطمح أحد كفر بالله في دخول الجنة ولا يتأمل إنسان كذب بآيات الله الوصول إلى مستقر رحمة الله في الآخرة.

وكذلك نجزي الظالمين لأنفسهم وغيرهم ولهؤلاء المجرمين من نار جهنم فراش يفترشونه من تحتهم وأغطية من فوقهم والمراد أنّ النار محيطة بهم مطبقة عليهم من كل جانب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ الهمزة: ٨ وقال تعالى: ﴿هُم مِّن فَوْقِهِمْ مُّطَّلَعُونَ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ تُطَّلَعُونَ﴾ الزمر: ١٦

إن هذا الجزاء الحاسم للكفار يتطلب التأمل والتفكر والاعتبار والاتعاظ فلا يقبل لهم عمل صالح في الآخرة لأنَّ قبول العمل مرتكز على قاعدة صحيحة هي: الإيمان والتقوى، والله إنما يتقبل من المتقين وإن جهنم فراش للكافرين وهم لهم غواش جمع غاشية وهي ما يغشى الناس أي يغطيهم ويسترهم من فوقهم أي أنّ النار التي من تحتهم ومن فوقهم ومن جميع جوانبهم مثل الفراش المفترش واللحاف الذي يغطي به النائم نعوذ بالله من نار جهنم. يجب على كل إنسان أن يدرك حقيقة ما عليه حاله من انحراف وضلال حتى وإن تأثر بالتقليد أو عمل بتوجيه بعض الناس لأنَّ مراجعة الحساب أمر مطلوب لكل عاقل وليس كل ما يقوله الناس صواباً صحيحاً ويجب أن لا نتأثر بآراء دخيلة ونخطئ في فهم الأمور ثم ننقل ذلك إلى غيرنا.



آزاء المصدين بأيات الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
 وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ
 غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ
 لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَن تَتَّكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا
 بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ الأعراف: ٤٢ - ٤٣

إن كل إنسان يسعد ويفرح بما قدّم من عمل صالح لأنه سوف يظفر بالثواب من الله تعالى وأن الله سبحانه وتعالى لا يلبته عمله أبداً وثمرة جهده لم تذهب سدىً.

معنى قوله سبحانه وتعالى : إن الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من شرائع وأوامر واجتتاب نواهٍ هم أهل الجنة دون سواهم. إن الله تعالى لا يكلف النفوس ما يشق عليها أداؤه ولا تضيق به ذرعاً وهذا يدل أن العمل الصالح الذي يجازي الله عليه بالجنة غير صعب وإنما سهل وميسر ولا عسرة فيه ولا مشقة. ومن نعم الله تعالى التي أخبر بها أهل الجنة هو صفاء نفوسهم وسلامة صدورهم ينقي الله قلوب ساكني أهل الجنة من الغلّ والحقد حتى لا يؤلمهم ألم ولا يكدرهم كدر ولا يحزنهم فزع ولا يحدث بينهم شر.

عن الحسن ، قال : بَلَّغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : " يُحْبَسُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْدَمَا يَجُوزُونَ الصِّرَاطَ حَتَّى يُؤْخَذَ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ ظَلَامَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَيْسَ فِي قُلُوبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ غِلٌّ " [تفسير ابن أبي حاتم]

عن قَتَادَةَ ، قَالَ : قَالَ عَلِيُّ ﷺ : " إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا ﴾ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

وقال الذين دخلوا الجنة شاكرين لله : الحمد لله الذي هدانا لهذا في الدنيا للإيمان و العمل الصالح ولا كان من فكرنا وشأننا أن نهتدي لو لا أن هدانا الله لهذا بتوفيقه ورحمته وهدايته، لقد جاءت رسل الله بالحق وهذا مصداق ما وعدنا به في الدنيا على التوحيد والعمل الصالح ونادت الملائكة الذين دخلوا الجنة : هذه الجنة التي وعدتم بها جراء عملكم الصالح وإيمانكم وتقواكم.

عن السُّدِّيِّ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَتُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ قَالَ : لَيْسَ مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ إِلَّا وَلَهُ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مَنْزِلٌ ، فَإِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، فَدَخَلُوا مَنَازِلَهُمْ ، رُفِعَتِ الْجَنَّةُ لِأَهْلِ النَّارِ فَنظَرُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ فِيهَا فَقِيلَ لَهُمْ : هَذِهِ مَنَازِلِكُمْ لَوْ عَمَلْتُمْ بَطَاعَةَ اللَّهِ ، ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ : ﴿ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [تفسير ابن أبي حاتم]

وعن أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، عن النبي ﷺ قَالَ : " يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَعْمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا " فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ : ﴿ وَتُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [صحيح مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها]

وعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَانِ : مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، وَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ " فذلك قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ... وفي الآية دلالة واضحة على ان الجنة تنال بالعمل أما الحديث الذي رواه الشيخان : أنَّ أبا هريرة ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ " قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " لَا ، وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ ، " [وهذا لفظ البخاري- كتاب المرضى] أي : أنَّ عمل الإنسان مهما كان عظيماً فلا يستحق به دخول الجنة لولا رحمة الله وفضله حين جعل هذا الجزاء العظيم على ذلك العمل القليل فدخول الجنة بالعمل دخول بفضل الله ورحمته ومن ثم قال بعدهُ : " فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا " أي لا تبالغوا ولا تكلفوا من العمل ما لا طاقة لكم به.



الدعاء من الله تعالى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا

نُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ

قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ الأعراف: ٥٥ - ٥٦

الله سبحانه وتعالى المتصرف الوحيد والمهيمن على كل شيء فهو الجدير بالسؤال وحده واللجوء إليه بالدعاء والتضرع ولكل عبادة أصول والدعاء مخ العبادة.

فالمتعبد الداعي ربه بإخلاص وصدق وخضوع واستكانة وخوف وتذلل ومسكنة وإسرار وإخفاء لأن في إسرار الدعاء وإخفائه بعيداً عن الرياء أدباً كريماً مع الله تعالى الذي هو رب كل شيء ومتولي أمر العباد والمنعم عليهم والسميع لكل شيء.

جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ ، هَلَلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبِعُوا (أي ارفقوا بأنفسكم أو اخفضوا أصواتكم) عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا ، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ " [وهذا لفظ البخاري- كتاب الجهاد والسير]. وأنه تعالى أثنى على زكريا فقال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ مريم: ٣ ، أي أنه أخفاه عن العباد وأخلصه الله تعالى.

وروي عن الحسن ابن أبي الحسن البصري : ((دَعْوَةٌ فِي السِّرِّ تَعْدِلُ سَبْعِينَ دَعْوَةً فِي الْعَلَنِ)). ولَمَّا كَانَ اللَّيْلَ لِبَاسًا شُرِعَ فِيهِ الْجَهْرُ فِي قِرَاءَةِ الصَّلَاةِ لِأَنَّهُ يُطْرَدُ الْوَسْوَاسُ وَيَقَاوِمُ النَّعَاسَ وَيُعِينُ تَدْبِيرَ الْقُرْآنِ وَيَكَاةُ الْخُشُوعِ لِلرَّحْمَنِ لَدَى الْمُتَهَجِّدِينَ فِي خُلُوتِهِمْ.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ الْمُتَجَاوِزِينَ لَمَّا أَمَرُوا بِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢٩ . ولِلْإِعْتِدَاءِ فِي الدَّعَاءِ مَظَاهِرٌ مِنْهَا :

١- اعتداء خاص بالألفاظ كالمبالغة في رفع الصوت والتكلف في صيغ الدعاء.

٢- اعتداء خاص بالمعنى وهو طلب غير مشروع يضرب بالعباد أو طلب إبطال سنن الله في خلقه، أو طلب النصر على الأعداء مع ترك وسائله كأنواع السلاح والعتاد وطلب الغنى بلا كسب وطلب المغفرة مع الإصرار على الذنب مع أن الله يقول : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ فاطر: ٤٣ .

٣- التوجه لغير الله في الشفاعة له كما قال الله : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨ .

فالدعاء هو العبادة وقيل الدعاء مخ العبادة ... عَنْ كَعْبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَسِيلَةُ ؟ قَالَ : " أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ " [سنن الترمذي الجامع الصحيح- كتاب المناقب]

وما دَمَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ فِي الدَّعَاءِ وَهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَكِنْ طَرَأَ عَلَيْهِمُ الشِّرْكُ الَّذِي أَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ وَهَكَذَا يَحْبِطُ إِيمَانُ مَنْ أَشْرَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِدَعَاءِ غَيْرِ اللَّهِ.

أمرنا الله تعالى بعدم الفساد في الأرض بعد إصلاح الله لها بما خلق فيها من المنافع وما هدى الناس إليه من استغلال هذه المنافع بتسخيرها لهم قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الجاثية: ١٣. وهذا الإفساد شامل لإفساد النفوس بالقتل وإفساد الأموال بالنصب والسرقة وإفساد الأديان بالكفر والمعاصي وإفساد الأنساب بالإقدام على الزنا وإفساد العقول بشرب المسكرات.

إصلاح الله تعالى للبشر بهداية الدين وإرسال الرسل وتم ذلك بإرسال خاتم الأنبياء والرسل هداية للبشر الذي كان رحمة للعالمين فقد أصلح العقائد وهدأ الأخلاق وأدبهم وحفظ لهم العدل والمساواة. فأدعوه خوفاً من توقع المكروه خائفين من عقابه على مخالفتكم طامعين في رحمته وإحسانه في الدنيا والآخرة.

إن رحمة الله قريب من المحسنين لأن الجزاء من جنس العمل وكما قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ الرحمن: ٦٠

فإن أحسن العبد في عبادته نال حسن الثواب ومن أحسن في الدعاء أعطى خيراً مما طلبه أو مثل ما طلبه.

وقد طلب الله الإحسان في كل شيء يهدي إليه دين الفطرة وحرّم الإساءة في كل شيء وجعل جزاءها من جنسها قال تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ النجم: ٣١ .

عن شدّاد بن أوس ، أنّ النّبِيَّ ﷺ قال : " إنّ الله كتّب الإحسان على كلّ شيء ، فإذا قتلتهم فأحسِنوا القِتْلَةَ ، وإذا ذبّحتهم فأحسِنوا الذّبْحَةَ ، وليُحدِّدْ أهدكم شفرتة ، وليُريحْ دُبِيحَتَهُ " [سنن الترمذي الجامع الصحيح- كتاب الديات]. ومن هذا تعلم أنه طلب الإحسان إلى الحيوان والرفق به حين ذبحه حتى لا يتعذب، كما

حرّم أكل الموقوذة وهي التي تُضرب حتى تنحل قواها وتموت وطلب الإحسان في قتال الأعداء لأنه في حكم الضرورات التي تقدر بقدرها ويُتقى ما يمكن الاستغناء عنه كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ محمد: ٤ ، فطلب الله منّا ضرب رقاب الأعداء حين قتالهم حتى إذا ظهر لنا عليهم الغلب بالإثخان فيهم أمرنا بترك القتل وأن نعد إلى الأسر وبعد ذلك إمّا أن نمنّ على الأسرى بالعتق أو نفاديهم ممن أسر منّا.

* * * * *

النهج القويم والصراط المبين في معاملة الناس

قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١١٩) وَإِنَّمَا
يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ
الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ
(٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)

الأعراف: ١٩٩ - ٢٠٢

هذه الآية تشمل أصول الفضائل فهي من أسس التشريع التي تلي في
المرتبة أصول العقيدة المبنية على التوحيد.

١- العفو : وهو السهل الذي لا كلفة فيه : أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس
وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهّل من غير كلفة ولا تطلب منهم ما يشق
عليهم حتى لا ينفروا .

عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ ، قال : " يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا... " [وهذا
لفظ البخاري- كتاب العلم] فمن آداب الدين وقواعده اليسر وتجنب الحرج وما يشق
على الناس ... عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : " مَا خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ
أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا ... " [صحيح البخاري- كتاب الحدود]

٢- الأمر بالمعروف : وهو ما تعرفه النفس من الخير وتأنس به وتطمئن إليه
وهو أسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى

الناس. وقد ذكر المعروف في السور المدنية في الأحكام الشرعية العملية حيث قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ الحج: ٤١ . وقال تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٤ وعند ذكر الحقوق الزوجية كقوله : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ ﴾ البقرة: ٢٢٨ ، وفي أحكام الطلاق كقوله: ﴿ فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ البقرة: ٢٢٩ وقوله : ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ البقرة: ٢٣١ .

٣- الإعراض عن الجاهلين : أي عدم مقابلة السفهاء والجهال بمثل فعلهم وترك معاشرتهم وصيانة النفس عنهم والصبر على سوء أخلاقهم والغض عن إساءتهم عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٤، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ البقرة: ٢٣٧ .

هذه المبادئ والقيم الأخلاقية العالية وفضائل ومكارم الأخلاق التي علمنا الله تعالى إياها وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها ، وأمر الله نبيه بفضيلة أخرى تناسب الإعراض عن الجاهلين وهي قوله تعالى :

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الاستعاذة من الشياطين تجنباً في الوقوع بوسوستهم (والنزع) معناها الغضب أو الشهوة. فإذا أصابك شيء من هذا فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم في القلب واللسان وإن شاء الله يصرف عنك السوء والله سميع عليم.

روى البخاري عن سليمان بن صرد الكوفي ، قال : كنتُ جالساً مع النبيِّ ﷺ ورجلان يَسْتَبَانِ ، فأحدهما أَحْمَرٌ وجهه ، وانتَفَخَتْ أوداجُهُ ، فقالَ النبيُّ ﷺ : " إني لأعلمُ كلمةً لو قالها ذَهَبَ عَنْهُ ما يَجِدُ ، لو قالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، ذَهَبَ عَنْهُ ما يَجِدُ " [كتاب بدء الخلق]

وحكي عن بعض السلف، أنه قال لتلميذه : ما تصنعُ بالشیطانِ إذا سَوَّلَ لك الخطايا ؟ قال : أجاهدُهُ ، قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهدُهُ ، قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهدُهُ ، قال : إنَّ هذا يطول ، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ماذا تصنع ؟ قال : أكابده وأردِه جهدي ، قال : هذا يطول عليك ، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفِّه عنك ، فهذه فائدة الاستعاذة.

وأن نتذكر عقاب الله ووعدَهُ ووعيدَهُ ولا ننس ذكر الله قياماً وقعوداً وفي كل وقت فيعيننا على التخلص من الوسواس ونعمل بما يرضي الله ونكون مبصرين عارفين بما نعمل.

أما الذين قال الله تعالى عنهم (إخوانهم) أي إخوان الشياطين من غير المتقين يمدهم الشيطان بالضلالة ويتمكنون من إغواء الناس ولا يكفون عن إفسادهم، وقانا وحمانا الله، فهؤلاء هم شياطين الإنس والجن.



القرآن والذكر الحكيم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرَّ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ

وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

عِبَادَتِهِ وَيَسْتَحِشُّونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ الأعراف: ٢٠٤ - ٢٠٦

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة.

وقال قتادة : كانوا يتكلمون في صلاتهم في أول ما فرضت ، كان الرجل يجيء فيقول لصاحبه : كم صليتم ؟ فيقول : كذا وكذا ، فأنزل الله تعالى الآية .

وقال الزهري : نزلت في فتى من الأنصار ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئاً قرأ هو ، فنزلت الآية ، وقال سعيد بن جبیر ، ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وجماعة : نزلت في الإنصات للإمام في الخطبة يوم الجمعة . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

الاستماع : أخص من السمع ، لأنه إنما يكون بقصد ونية أو توجيه الحاسة إلى الكلام لإدراكه ، أما السمع : فيحصل ولو بغير قصد ، والإنصات : السكوت للاستماع حتى لا يكون شاغلاً عن الإحاطة بكل ما يُقرأ .
والتضرع : إظهار الضراعة وهي الذلة والضعف والخضوع .

والخيفة : حالة الخوف والخشية.

ودون الجهر : عدم رفع الصوت وفوق التخافت والسر أي وسطاً.

والغدو : ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس.

والأصال : جمع أصيل وهو العشي من وقت العصر إلى غروب الشمس.

إنّ الطريقة الموصّلة إلى رحمة الله ونيل الرحمة والفوز بالمنافع الجميلة ينطوي عليها الإنصات للقرآن الكريم إذا قرئ ، أي فهم آياته والاعتبار بمواعظه وعبره.

هذه الآية تدل على وجوب الاستماع إلى القرآن والإنصات له سواءً كان ذلك في الصلاة أو خارجها فهو هادٍ للحيارى ومبصرات للقلوب وحجج بيّنات وبراهين نيرات ورحمة في الدنيا والآخرة.

وثواب الاستماع كثواب التلاوة : روى الإمام احمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عز وجل ، كَتَبَ لَهُ حَسَنَةً مُضَاعَفَةً ، وَمَنْ تَلَاهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . وتعظيم القرآن واجب كتعظيم الله في ذكره وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره. والواجب أن يحرص كل مؤمن على استماع القرآن عند قراءته كما يحرص على تلاوته وأن يتأدب في مجلس التلاوة.

﴿ وَادْكُرْتِكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ الذي خلقك ورباك وأسبغ عليك نِعَمَهُ ظاهرة وباطنة دون الجهر أي رفع الصوت وفوق التخافت والسر بل وسطاً كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ١١٠ . وذكر اللسان وحده دون ذكر القلب لا يجدي نفعاً، فكم رأينا من ذوي الأوراد والأدعية الذين يذكرون الله بالمئين والآلاف ولا يفيدهم ذلك معرفة الله ولا مراقبته لأن ذلك

أصبح عندهم عادة تصاحبهم مثل العادات الأخرى فيجب أن نجتمع بين ذكر اللسان والقلب للخشوع للواحد الأحد. وأجمل الأوقات للذكر هي أول النهار وآخره لأنهما طرفا النهار ولا ننسأه بينهما.

ولا تكن من الغافلين الذين يغفلون عن ذكر الله ومن غفل عن ذكره مرض قلبه وضعف إيمانه واستحوذ عليه الشيطان فأنساه نفسه. وذكر في الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ وهم الملائكة (ملائكة الرحمن) المقربون عنده لا يستكبرون عن عبادته كما يستكبر المشركون فواجب المؤمن أن يجعل الملائكة المقربين عند الله أسوة حسنة له في صلاته وسجوده وتسبيحه.

وقد شرع الله السجود عند تلاوة هذه الآيات أو سماعها اقتداءً بالملائكة المقربين وإرغاماً لمن أبى عن ذلك من المشركين، ومثلها آيات أخرى في كتابه العزيز. عن عائشة رضي الله عنها ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ في سجوده : " سَجَدَ لَكَ سَوَادِي ، وَخَيَالِي ، وَأَمَّنَ بِكَ فُؤَادِي ، هَذِهِ يَدَايَ ، وَمَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي ، يَا عَظِيمُ يُرْجَى لِكُلِّ عَظِيمٍ ، فَاعْفِرِ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ " [المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب الصلاة]

وفي الآية إرشاد إلى الأفضل وهو إخفاء الذكر ، عن سعدِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ ، ... " [مسند احمد بن حنبل]



صفات المؤمنين الخمس التي تدل على التقوى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢ - ٤

المؤمنون حقاً الذين وصفهم الله بصفات خمس تدل على وجوب التقوى وإصلاح ذات البين بطاعة الله ورسوله.

١- الذين إذا ذكروا الله بقلوبهم فزعوا لعظمته وسلطانه أو لوعده ووعيده ومحاسبته لخلقه والآية بمعنى قوله :

﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الحج: ٣٤ - ٣٥ .

٢- وإذا تليت عليهم آياته المنزلة على خاتم الانبياء محمد ﷺ زادتهم يقيناً في الإيمان وقوة في الاطمئنان ونشاطاً في الاعمال إذ أن تظافر الادلة وتعاضد الحجج يوجب زيادة اليقين ، فإبراهيم صلوات الله عليه كان مؤمناً بإحياء الله الموتى حين دعا ربه أن يريه كيف يحييها كما قال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالِ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمِئَنَّ قَلْبِي ﴾ البقرة: ٢٦٠ ، فمقام الطمأنينة في الإيمان يزيد على ما دونه من الإيمان المطلق قوة وكمالاً. فمن آمن بأن الله علماً محيطاً بالمعلومات وحكمةً قام بها نظام الأرض والسماوات ورحمةً

وسعت جميع المخلوقات يعلم ذلك علماً إجمالياً ولو سألته لبيّن لك شواهد في الخلق لعجز لا يوزن إيمانه بإيمان صاحب العلم التفصيلي بسنن الله في الكائنات في كل نوع من انواع المخلوقات ولا سيما في العصور الحديثة التي اتسعت فيها معارف البشر بهذه السنن. وفي معنى الآية قوله تعالى في وصف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح في غزوة أحد قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ آل عمران: ١٧٣، وقوله ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الفتح: ٤ .

٣- وعلى ربهم يتوكلون : أي انهم يتوكلون على ربهم وحده ولا يُفوّضون أمرهم إلى سواه فمن كان موقناً بأن الله هو المدبر لأمره وأمور العالم كله لا يمكن أن يكل شيئاً منها إلى غيره. وإذا كان الشرع والعقل حاكمين بأن للإنسان كسباً اختيارياً كلفه الله العمل به وأنه يجازى على عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وجب على الإنسان أن يسعى في تدبير أمور نفسه بحسب ما وصفه الله في نظام الاسباب وارتباطها بالمسببات وأن هذا الارتباط لم يكن إلا بتسخير الله تعالى وأن ما يناله باستعمالها فهو فضل من الله الذي سخرها وجعلها اسباباً وعلمه ذلك.

أما ترك الاسباب وسنن الله في الخلق فهو جهل بالله وجهل بدينه وجهل بسننه التي لا تتبدل ولا تتحول.

٤- الذين يقيمون الصلاة : الذين يؤدونها كاملة في صورتها وأركانها الظاهرة من قيام وركوع وسجود وقراءة وذكر يوفي معناها وروحها الباطن من

خشوع وخضوع في مناجاة الرحمن واتعاظ وتدبر في تلاوة القرآن وبهذا كله تحصل ثمرة الصلاة من الانتهاء عن الفحشاء والمنكر.

٥- ومما رزقناهم ينفقون : أي ينفقون بعض ما رزقناهم في وجوه البر من الزكاة المفروضة وبالنفقات الواجبة للأقربين والمعوزين

٦- أولئك هم المؤمنون حقاً : أي الذين اتصفوا بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان وهو نتيجة التصديق الذي له أثر في اعمال القلوب والجوارح وبذل المال في سبيل الله.

والذين اتصفوا بهذه الفضائل وتحلّوا بجميع الخصال الكريمة من قلبية وبدنية ومالية قد أعد الله لهم على كل منها جزاءً حسناً وأجرًا كريمًا فأعد لهم ما اتصفوا به من الفضائل القلبية : كالفرح لمجرد ذكر اسمه تعالى وزيادتهم يقيناً وإيماناً عند تلاوة آياته واستماع القرآن درجات من الشرف والكرامة وعلو المنزلة عنده يوم القيامة، وجعل لهم لإقامة الصلاة مغفرةً لما فرطوا من ذنوبهم وعفواً عما سبق من خطاياهم وأعدّ لمن ينفقون الاموال يوم القيامة نعيماً دائماً ورزقاً حسناً في الجنة وقد جعل الله صفات المؤمنين موزعة بين أعمال القلوب من الوجل والفرح خوفاً منه والتوكل والاخلاص إيماناً به وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة.



غزوة بدر الكبرى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾
 يُجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ
 إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ
 يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ
 ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِيفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾
 وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ
 وَيُذَهِّبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ
 إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ
 فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ
 يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَمُ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
 عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ ﴿ الأنفال: ٥ - ١٤

أقبلت عير قريش من الشام في طريقها إلى مكة محملةً بالتجارة إلى قريش
 وعلى رأسها أبو سفيان وفيها أربعون فارساً (والعير) القافلة من الرجال والدواب
 التي تحمل الميرة أي مواد الطعام وعروض التجارة من بلد إلى بلد، أما النفير :
 فهم الجماعة من الناس ينفرون للقتال وبسبب العير والنفير كانت موقعة بدر.

أَعْلَمَ جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَمْرِ الْعَيْرِ فَأَخْبَرَ بِهَا الْمُسْلِمِينَ وَنَدَبَهُمْ إِلَيْهَا وَقَالَ لَهُمْ : هَذِهِ عَيْرٌ قَرِيشٍ فِيهَا الْأَمْوَالُ فَأَخْرَجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ (يَنْفَلِكُمُوهَا) يَتَفَضَّلُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَسُرَّ الْقَوْمُ وَفَرَحُوا وَأَعْجَبَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَيْهَا وَيَعْتَرِضُوا طَرِيقَهَا فَأَسْرَعَ رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْوِي عَلَى مَنْ أَعْتَرَضَ أَوْ تَبَطَّأَ وَسَارَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشْرَ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ حَوَالِي سَبْعَةٍ وَثَمَانِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْبَاقِي مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَدْ ظَنَّ مِنْ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ لَا يَخُوضُونَ حَرْبًا وَلَا يَلْقَوْنَ عَدُوًّا مُسْتَعَدًّا.

وكان أبو سفيان في عودته يتوجس خيفة من محمد وأصحابه حتى وصل إليه من بعض الركبان نبأ خروج محمد وأصحابه لملاقاتهم فغير طريقه وسار محاذياً ساحل البحر واستأجر (ضمضم بن عمرو الغفاري) وبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه.

ولما سمع أبو جهل بأمر تعرض المسلمين للعير وقف على الكعبة وأخذ يحرض قريشاً على الخروج ويستنفرهم للقتال لأجل أموالهم. وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها : إني رأيت عجباً رأيت كأن ملكاً نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل وحلق بها فوق بيوت مكة فلم يبق منها إلا أصابته حجر من تلك الصخرة ولما حدث العباس ﷺ أبا جهل برؤيا عاتكة غضب وقال : ما يكفي رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم وخرج في ألف من أهل مكة وهم (النفير) ليمنع العير من وقوعها في يد محمد وأصحابه فقيل له : أن العير أخذت طريقها إلى الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال : لا والله لا يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجزور ونشرب الخمر ونقيم المعازف ببدر فيسمع جميع العرب بمخرجنا، ومضى بهم إلى بدر وهي ماء كان عادة العرب أن يجتمعوا عندها يوم في السنة يقيمون سوقهم وهي أقرب إلى

المدينة من مكة وقد نجا أبو سفيان بالغير وعسكر أبو جهل ومن معه من قريش عند بدر ينحرون الجزور ويشربون الخمر ويقيمون الغناء ويتصايحون بأن محمداً وأصحابه لم ينالوا منهم منالاً.

نزل جبريل ﷺ يخبر النبي أن الله وعد المسلمين إحدى الطائفتين. إما العير وإما النفير فاستشار النبي أصحابه فقال ما تقولون؟ إنَّ القوم قد خرجوا من مكة فالعير أحب إليكم أم النفير؟ فقالوا : بل العير أحب إلينا من النفير : العير سنحصل منها على المال ودون موت أو قتال، والقتال سنلاقي عدواً أقوى منا سلاحاً وأكثر عدداً ولسنا قادرين على حربه أو لقاءه وغير مستعدين لذلك، فتغيّر وجه رسول الله ﷺ وظهر فيه الغضب وقال : إنَّ العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل يزحف نحونا وقد وعدكم الله أن ينصركم ويجعل لكم الغلبة إمّا على العير وإمّا على النفير فلم تفرّوا من القتال وتودون أن تكون لكم السلامة والله يريد أن يُحقّ الحقّ ويظهر الإسلام ويبطل الباطل ويحبط الشرك؟ فقالوا : يا رسول الله عليك بالغير ودع العدو فلا قبيل لنا به. عندئذٍ قام أبو بكر فقال فأحسن، وقام عمر فقال فأحسن، ثم قام سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله انظر أمرك وامض بنا حيث شئت ، فوالله لو سرت إلى (عدن) ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو ﷺ :

يا رسول الله أمض لما أمرك الله فإننا معك حيثما أحببت لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى ﷺ ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ المائدة: ٢٤ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إننا معكما مقاتلون فضحك رسول الله ﷺ وتفتحت أساريره ثم قال : أشيروا عليّ أيها الناس وهو يريد الأنصار أراد أن يتبين ما في نفوسهم لأنهم كانوا قد قالوا له حين بايعوه بيعة العقبة بمكة في موسم الحج قبل ان يهاجر إليهم : إنّا براءٌ من عهدك ودمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا وكان النبي يتخوف ان يكون الأنصار لا يروون نصرته

عهداً عليهم وميثاقاً إلا على عدو يدهمهم في ديارهم بالمدينة أما في خارج المدينة فلا عهد له عليهم ولا ذمة. فقام سعد بن معاذ فقال : لكأنك تريد منا يا رسول الله قال : أجل، قال : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة فامضي بنا يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله.

فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشَطَهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : " سِيرُوا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ وَأُبَشِّرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الْآنَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ عُدَاً " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ومضى رسول الله ونزل بهم على أقرب ماء للمدينة ونزلوا في كئيب أعر تطمس الأقدام في رماله على غير ماء فعطشوا فوسوس إليهم الشيطان قال : أنتم يا أصحاب محمد تزعمون إنكم على حق، وأنتم تُصَلِّون على جنابة وعلى غير وضوء وقد نال منكم العطش ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وسيتركونكم حتى يجهدكم العطش ثم يمشون إليكم فيقتلون من أحبوا ويسوقون الآخرين أسرى إلى مكة فحزنوا حزناً شديداً وأشفقوا على أنفسهم فأنزل الله ﷻ المطر ليلاً فجرى به الوادي فاغتسلوا وتوضئوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو فثبتت به الأقدام واطمأنت به قلوبهم وزالت وساوس الشيطان عنهم وطابت نفوسهم وناموا آمنين بلا خوف ولا وجل ونزل قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ ﴾ .

وعندما علم المسلمون انه لا بد من القتال أخذوا يدعون الله ويطلبون منه

الغوث والنصر

عن ابن عباس ، قال : حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر استقبل النبي ﷺ القبلة ثم مد يده ثم قال : " اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم ائتني ما وعدتني ، اللهم إنيك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبدُ في الأرض أبداً " ، فما زال يستغيث ربه ويدعو حتى سقط رداؤه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِذِ اسْتَعِيذُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَوْى مُدْكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ الأنفال: ٩ " [مصنف ابن ابي شيبة - كتاب الدعاء] .

ولما نزل رسول الله بالمسلمين على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة أشار عليه الحُباب بن المنذر بغير ذلك، وقال له : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل الذي نزلنا به أمنزلاً أنزلكه الله؟ فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال ﷺ : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل فامض بنا إلى أدنى ماء من القوم فننزله ثم ندفن ونسد ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملأه فنشرب ولا يشربوا . فاستحسن رسول الله ﷺ ذلك من رأيه فلما كان المسلمون في الليلة التي سيقومون من غدها إلى القتال وهي [الليلة السابعة عشرة من رمضان] أزال الله الرعب من قلوبهم فاناموا هادئين مطمئنين . ولما التقى الجمعان ثبت الله المؤمنين وألقى الرعب في قلوب الكافرين وأنتصر المسلمون قال تعالى : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ آل عمران: ١٢٦ . فقتلوا من المشركين سبعين وصرعوا أبا جهل بن هشام، وأميه بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة صناديد قريش وأعداء رسول الله الذين آذوه وحاربوه وأخرجوه من وطنه فانقم الله له وللإسلام منهم أشد انتقام وتركهم رسول الله قتلَى ثلاثة أيام ثم قام عليهم فنادى هؤلاء الأربعة بأسمائهم .

عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ ، تَرَكَ قَتْلَى بَدْرِ ثَلَاثًا ، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ ، فَقَالَ : " يَا أَبَا جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ يَا أُمِيَّةَ بْنَ خَلْفِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ

رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بِنِ رَّبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا " فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَتَى يُجِيبُوا وَقَدْ جِئُوا ؟ قَالَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا " [صحيح مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها]

لقد كانت واقعة بدر أول صيحة إندك بها صرح الشرك وارتفعت منارة الإسلام وعلت كلمته وتألقت نوره، لقد كانت البوق المؤذن بإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه، والله أكبر والعزة لدينه. ولما حقق الله ما وعد به المسلمين ونصرهم في بدر على المشركين قالوا للنبي ﷺ عليك بالغير، ليس دونها شيء. فناداه العباس عمه وهو في وثاقه بين الأسرى لا يصلح هذا فقال له النبي ﷺ ويحه؟ قال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك، فقال النبي ﷺ صدقت، وكان العباس علم ذلك من أصحاب النبي كانوا يتحدثون في شأن بدر وقصتها.

إن الله سبحانه وتعالى استجاب للرسول ﷺ عندما تضرع إليه ومد يديه إلى السماء يدعو ربه أن يكتب له الظفر ويشره بإمداده بألف من الملائكة مردفين يتتابعون فريقاً بعد فريق ويجيئون ألفاً بعد ألف يقفون من أمامكم ومن خلفكم يقاتلون معكم ويشدون أزرهم. وما جعل الله إمدادكم عياناً بالملائكة ومشاهدتكم إياهم في صفوف القتال في صورة الأبطال إلا استباقاً لكم بالبشرى بأنكم ستغلبون وتتصرون ولتسكن نفوسكم وتطمئن قلوبكم ولكن النصر في الحقيقة من عند الله وحده من غير أن يكون لأي سبب من الأسباب أو عدد من الأعداد وإن كانت السنة الإلهية قد جرت على أن تكون العدة والسلاح والجيش والقوة هي الوسائل الظاهرة للظفر والنصر ولهذا يقول جل شأنه : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ الأنفال: ٦٠ والله عزيز لا يغالب في حكم ولا يتراجع في قضائه.

وما النصر إلا من عند الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
 عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ وَمَا رَمَىٰ اللَّهُ مُوْهِنًا كَيْدَ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ تَسْتَفْتِحُوا
 فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ
 عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ الأنفال: ١٧ - ١٩

روى أنّ المسلمين لما انصرفوا من معركة بدر غالبين ذكر كل واحد ما فعل فقال : قتلنا كذا، وفعلنا كذا، فجاء من ذلك تفاخر ونحو ذلك فنزلت الآية : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ فأراد الله أن يردهم إلى حقيقة أمرهم، وأن ينبههم إلى الاعتماد عليه في كل أمورهم فقال لهم : إنّ الله بقدرته وقوته وبما أمركم من الملائكة متابعين، ثم خاطب الله نبيه: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ الآية نزلت في رمي النبي عليه الصلاة والسلام القبضة من حصباء الوادي يوم بدر ، حين قال للمشركين : " شاهت الوجوه " ورماهم بتلك القبضة فلم يبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] ... وتكررت هذه الفعلة أيضاً يوم حنين، رمى الله المشركين وقتلهم ليكتبهم وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً أي ليعرف المؤمنون نعمته عليهم من إظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم وقلة عددهم ليعرفوا حقه وفضله ويشكروا نعمته.... وروي عن حكيم بن خزام وكان في جيش الكافرين يوم بدر ثم أسلم انه قال : لما كان

يومُ بدر، سمعنا صوتاً وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست. ورمى رسول الله ﷺ تلك الحصاة فانهزمتنا. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

إن الله تعالى سمع لدعاء المؤمنين عليم بنياتهم فاستجاب دعاءهم وحقق النصر لهم وذلكم العون الذي أمدهم الله به والظفر الذي كتبه لهم ثم خاطب المشركين : لقد تعلقتم أيها المشركون حين أردتم الخروج للقاء محمد وأصحابه في بدر بأستار الكعبة تستفتحون الله وتطلبون منه أن ينصركم وتقولون : اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين. فما هو ذا الفتح الذي طلبتموه قد جاءكم ورأيتم النصر بأعينكم لكنه للمسلمين عليكم لأنهم أكرم الحزبين، وخير الجندين فإن كنتم تستفتحون وتطلبون من الله النصر فسيجيء الله بالنصر لكنه عليكم لا لكم. وإن تجتنبوا معاداة محمد، وتتركوا ما أنتم فيه من الضلال والبهتان. وإن تعودوا لمحاربتة ومعاداته، نعدّ لخذلانكم والتكيل بكم ولن يغني عنكم جمعكم الكثير وعددكم الوفير من الله شيئاً فقد هُزمتم وأنتم ألفٌ أمام المسلمين وهم ثلاثمائة وبضعة عشر لأن الله مع المؤمنين وهو من ورائهم محيط.

* * * * *

مؤامرة المشركين ونية الغدر بالرسول ﷺ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
الْأُولَئِينَ ﴿٣١﴾﴾ الأنفال: ٣٠ - ٣١

لَمَّا سَمِعَتْ قَرِيشٌ بِإِسْلَامِ الْأَنْصَارِ وَمَبَايَعَتِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَافُوا أَنْ يَعْظُمَ
أَمْرُهُ، وَتَقْوَى شَوْكَتَهُ فَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِهِ، فَدَخَلَ إِبْلِيسُ
عَلَيْهِمْ فِي صُورَةِ شَيْخٍ وَقَالَ: أَنَا شَيْخٌ مِنْ نَجْدٍ دَخَلْتُ مَكَّةَ فَسَمِعْتُ بِاجْتِمَاعِكُمْ
فَأَرَدْتُ أَنْ أَحْضِرْكُمْ فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: رَأَيْتُ أَنْ تَحْبِسُوهُ فِي بَيْتٍ وَتَشْدُوا وَثَاقَهُ
وَتَسُدُّوا بَابَهُ، غَيْرَ كَوَّةٍ تَلْقُونَ إِلَيْهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْهَا وَتَتَرَبَّصُوا بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ
فَقَالَ إِبْلِيسُ، بئس الرأي، يَأْتِيكُمْ مِنْ يِقَاتِكُمْ مِنْ قَوْمِهِ وَيَخْلُصُهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ. فَقَالَ
هَشَامُ بْنُ عَمْرٍو: رَأَيْتُ أَنْ تَحْمِلُوهُ عَلَى جَمَلٍ وَتَخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ فَقَالَ
إِبْلِيسُ: بئس الرأي يَفْسِدُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، وَيِقَاتِكُمْ بِهِمْ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَنَا أَرَى أَنْ
تَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ بَطْنٍ غُلَامًا وَتَعْطُوهُ سَيْفًا فَيَضْرِبُوهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَتَفَرَّقُ دَمُهُ
بَيْنَ الْقَبَائِلِ فَقَالَ أِبْلِيسُ: صَدَقَ هَذَا الْفَتَى هُوَ أَجُودُكُمْ رَأْيًا فَتَفَرَّقُوا عَلَى رَأْيِ أَبِي
جَهْلٍ مَجْتَمِعِينَ عَلَى قَتْلِهِ. فَأَخْبَرَ جَبْرِيلُ ﷺ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَمْرَهُ الْأَبْيَيتِ فِي
مُضْجِعِهِ وَأَذِنَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْهَجْرَةِ. فَأَمَرَ عَلِيًّا فَنَامَ فِي مُضْجِعِهِ وَبَاتُوا مُتَرَصِّدِينَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ طَمَسَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ فَخَرَجَ وَلَمْ يَرَوْهُ وَلَمَّا أَصْبَحُوا سَارُوا إِلَى مُضْجِعِهِ

فأبصروا علياً فبهتوا وخيب الله سعيهم. وخرج هو مع أبي بكر رضي الله عنه إلى الغار بعد أن دفعا راحلتيهما إلى (عبد الله بن اريقط) وكان دليلاً حاذقاً بالطريق واستأجره ليدلها على طريق المدينة وواعده أن يوافيهما عند غار ثور بعد ثلاث ليال ولما علمت قريش بخروج النبي صلى الله عليه وسلم أخذت تنفقوا أثره حتى وصلوا الغار ووجدوا انه قد انقطع الأثر فنظروا فإذا بالعنكبوت قد نسج على فم الغار فأيقنوا أن لا أحد فيه فرجعوا وجعلوا مئة ناقة لمن يدلهم على مكانه ولما سمع أبو بكر الصديق صوتهم على باب الغار قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لو أن أحداً منهم نظر إلى قدميه لأبصرنا فقال : " يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا "

إن الله عز وجل أحبب تدبيرهم لك بأن بيّتوا لك الكيد فمنهم من أشار أن يثبتوك بالقيد ويشدوك بالوثاق ويحبسوك حتى الموت ومنهم من أشار أن يخرجوك من بلدك وينفوك من وطنك وهم يمكرون ويدبرون الغدر بك والله يزدّ كيدهم ومكرهم ويحبب تدبيرهم.

وعندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن وينتو أخبار القرون الماضية سمعه (النضر بن الحارث) ومن كانوا معه قالوا : قد سمعنا مثل هذه الأخبار من غير محمد، ولو نشاء ان نقول مثل هذا القرآن لقلنا وما هو إلا أخبار مما سطره الأولون وقولهم هذا مكابرة وليس في استطاعتهم فقد طولبوا بسورة منه فعجزوا.

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء: ٨٨

وقال أيضاً : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ يونس: ٣٨

وقال أيضاً : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مِن

أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ هود: ١٣

وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴿٣٣﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۗ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الأنفال: ٣٢ - ٣٥

كان النضر بن الحارث من أشد قريش معارضة للنبي ﷺ وكان قد سافر إلى فارس والحيرة للتجارة ، عن السدي ، قال : " كان النضر بن الحارث بن علقمة أخو بني عبد الدار يختلف إلى الحيرة ، فيسمعُ سجع أهلها وكلامهم . فلما قدِم مكة ، سمِعَ كلام النبي ﷺ والقرآن ، فقال : قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين يقول : أساجيع أهل الحيرة " ، وعن سعيد بن جبير في قوله : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ نزلت في النضر بن الحارث . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

أي ان كان هذا القرآن حقاً فعاقبنا على إنكاره وتكذيبه بحجارة تنصب علينا كالمطر من السماء التي يهبط الوحي منها على محمد وينزل عليه القرآن

من جهتها فتهلكنا كما أهلك السجّيل أصحاب الفيل، أو عاقبنا بعقاب آخر أشدّ المأ وأقسى عذاباً وهذا قول يدل على غاية الجحود والإنكار. وأنّ الله تعالى قد حال بين الهداية وقلوب هؤلاء بحجاب وأقفال منيعة ويدل هذا على سفه العقل وسقم التفكير. فكان يجب أن يقولوا: " اللهم لو كان هذا هو الحق من عندك فأهدنا إليه ونور قلوبنا وهيئ عقولنا لاستقبال كلامك ". وكان الله قادراً على أن يُهلك النضر ومن معه من المعاندين الكافرين فيصيبهم ما أصاب قوم عادٍ وثمود. ولكن الله أرسل النبي ﷺ رحمةً للعالمين فقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أي ما كان الله ليعذب أمتك وأنت قائم فيهم لهدايتهم بل كرامتك عند ربك أجلّ وأعظم وسيؤجل عذابهم حتى تخرج من بينهم ولو كانوا آمنوا واستغفروا لما عذبهم ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون فجزاؤهم من الله تعالى أشد العذاب. وكيف لا يعذبهم الله وهم زيادة على ما هم من الكفر والضلال يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام ويمنعونهم كما منعهم في عام الحديبية أن يحجوا ويزعمون لأنفسهم حق الولاية عليه وما كانوا أولياءه لأن الله تعالى لم يولهم لأنه بيته وهو صاحب الحق في أن يولي عليه من يشاء فليسوا متأهلين لهذه الولاية، إنّما يتولى على البيت المسلمون المتقون الذين يعبدون الله حق عبادته.

وانّ أفعالهم القبيحة عند البيت التي تقوم مقام صلاتهم يتنافى ذلك مع ولايتهم للبيت فقد جعلوا مكان الصلاة والتقرب إلى الله [المكاء والتصدية] أي التصفير والتصفيق، إذ كانوا يطوفون عراة رجالاً ونساءً مشبكين بين أصابعهم يصفقون ويصفرون يفعلون ذلك ورسول الله ﷺ قائم يصلي ويقرأ ليحدثوا ضوضاء عليه ويثيروا الضجيج حوله ويشغلوه عن صلاته فذوقوا العذاب الذي لقيتموه في الدنيا وذوقوا عذاب الحريق في الآخرة جزاء كفركم وضلالكم.

الغنائم وقسمتها

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ الأنفال: ٤١

الغنم والمغنم والغنيمة : ما يناله الإنسان ويظفر به بلا مقابل مادي، بل عن طريق قتال الأعداء بالمبارزة و المصاولة.

والفيء : كل ما صار إلى المسلمين من أموال أهل الشرك من غير قتال ولا ركاب ولا إيجاف خيل وهو للمسلمين كافة ويكون أمره إلى الرسول يضعه حيث يشاء ، كما ورد في سورة الحشر : ٦.

والنفل : ما يحصل عليه الإنسان من الغنيمة قبل قسمتها. بين الله تعالى في مطلع سورة الأنفال أن حكم الغنائم لله تعالى يحكم بمقتضى الحكمة والعدل ويقسمها الرسول على ما أمره الله تعالى وجاءت هذه الآية بإباحتها ، أما قبل ذلك فكانت الغنائم لا تحل للمقاتلين وإنما تنزل نار من السماء فتحرقها.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أُعْطِيَتْ خُمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى

كُلُّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، " [صحيح مسلم . كتاب المساجد ومواضع الصلاة]

والغنيمة : هي ما دخلت في أيدي المسلمين من أموال الأعداء المشركين على سبيل القهر أو العنوة. وتقسم إلى خمسة أقسام حيث قال تعالى فإن لله خمسها أي للتبرك بأسمه تعالى ويفوض الأمر وحكم التقسيم إلى الرسول ﷺ والأصناف الخمسة المذكورة في الآية :

- ١- سهم للرسول يضعه حيث يشاء في سبيل الله.
- ٢- سهم ذوي القربى أي قرابة الرسول وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل وذلك لأن قريشاً لما كتبت الصحيفة وأخرجت بني هاشم من مكة وحصرتهم في الشَّعْبِ لحمايتهم لرسول الله ﷺ دخل معهم بنو المطلب ولم يدخل معهم بنو شمس ولا بنو نوفل إلى ما كان من عداوة بني أمية بن عبد شمس لبني هاشم من الجاهلية والإسلام فقد ظلَّ أبو سفيان يقاتل النبي ﷺ ويحفر عليه المشركين وأهل الكتاب إلى أن أظفر الله رسوله ودانت له العرب بفتح مكة.
- ٣- سهم لليتامى : وهم أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم في سن الصغر واليتيم في بني آدم من قبل الآباء واليتيم في البهائم من قبل الأمهات.
- ٤- سهم للمساكين وهم أهل الحاجة من المسلمين.
- ٥- ابن السبيل : وهو المسافر الذي انقطع به في الطريق واحتاج إلى المال سواءً كان غنياً أم فقيراً.

وأربعة أخماس ما غنم يقسمه الإمام الحاكم على الجيش حينما كان الجهاد تطوعاً.

ثم قال تعالى : ﴿ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ ﴾ أي أمنتلتم لأوامر الله وشرائعه من اقتطاع الخمس للمحتاجين ان كنتم آمنتم بالله وباليوم الآخر فأقنعوا بالأخماس

الأربعة الباقية إن صدقتم بالله وبما أنزله على رسوله يوم بدر الذي سمي بيوم الفرقان أي يوم فرّق بين الحق والباطل وبإعزاز الإسلام وإذلال الشرك. وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان في السنة الثانية من الهجرة وهو أول قتال شهده الرسول ﷺ وقتل فيه صناديد قريش.

هناك فرق بين الغنائم والفيء كما بيّنا في بداية شرح الآيات (تعريف الغنائم والفيء) فالآيات التي ذكرت أولاً هي آيات الغنائم وكيفية تقسيمها.

أما آيات الفيء فقد ورد في سورة الحشر قوله تعالى: ﴿ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْحَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ أَرْسُلُونَ فِخْرُوهُمْ وَمَا هُنَّكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦-٧﴾ .

فالفيء : هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار عفواً بلا حرب ولا جهاد ، أما بأن يُجلوا عن أوطانهم ويخْلُوها للمسلمين ، أو يصلحوا على جزية يؤدونها عن رؤوسهم ، أو مال يفتدون به أنفسهم من سفك دمائهم.

والغنيمة : هي المال الذي حصل للمسلمين من أموال الكفار بالحرب والجهاد ... وقسمة أموال الفيء غير قسمة أموال الغنيمة.

وأما أموال الفيء فليس لأحد من المقاتلين فيها ، لأنهم لم يتحملوا مشقة في الحصول عليها ، ولم يسارعوا على ظهور الخيل والإبل لاستخلاصها من أيدي الكفار بالحرب والقتال ، ولكنها أموال خالصة للرسول يضعها حيث يشاء ، وأما الغنائم فقد جعل الله أربعة أخماسها من حق المقاتلين كما ذكرنا سابقاً.

هذا حكم قسمة الفيء وإعلام أنّ ما أخذ من بني النضير حينما أجلاهم الرسول ﷺ من المدينة ، فالأموال التي أخذت منهم صلحاً لم تؤخذ بطريق القتال،

وخصّ الله تعالى بتلك الأموال رسوله يتصرف فيها بحسب ما يرى من المصلحة، فقسّمها بين المهاجرين ولم يعطِ الأنصار منها شيئاً إلاّ ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم : أبو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصّمة.

عن عمر رضي الله عنه ، قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ ، مما لم يوجف (الإيجاف : الإسراع في السير) المسلمون عليه بخيل ، ولا ركاب " فكانت لرسول الله ﷺ خاصة ، وكان ينفق على أهله نفقة سنّته ، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع (الخيل) عدة في سبيل الله " [صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير]

ومصارف الفياء : هي ان كل ما ردّه الله تعالى على رسوله ﷺ من كفر أهل القرى كقريظة والنضير وفدك وخيبر صلحاً من غير قتال ولم ينتزع منهم بإيجاف خيل ولا ركاب وهي الإبل الخاصة يحكم الله به بما يشاء فيكون لرسول الله ﷺ في حياته يتصرف بحسب ما يراه من المصلحة ، ويقسم خمسة أقسام : قسم لله ورسوله في حياته ولمصالح المسلمين من بعده ، وسهم قرابة الرسول ﷺ وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل ، والأربعة الأخماس الباقية لمصالح المسلمين العامة ، أمّا الغنيمة فيصرف خمسها لهؤلاء الأصناف والأربعة الأخماس الباقية للمقاتلين في المعركة. وعلة هذا التقسيم وحكمه : إلاّ يكون تداول الأموال محصوراً بين الأغنياء فقط ولا يصيب الفقراء منه شيء ، وما أمركم به الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وخافوا الله بامثال أوامره واجتتاب نواهيه لتتالوا النصر على الكافرين الأعداء وإعلاء كلمة الله ودينه الحق.



الاستعداد لحرب الكفار

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرهبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ
يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾
وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصَرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ الأنفال: ٦٠ - ٦٢

روى البيهقي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: " مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ،
وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ " أخرجه مسلم في الصحيح
من حديث ابن مبارك

وعنه أيضاً قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ
أُقْتَلُ " [صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير]

١. تضمنت الآيات قواعد الاستعداد للحرب ومواجهة الأعداء بجميع أوجه
الاستعداد المادي والمعنوي والفني والمالي بما يناسب كل عصر وزمان ، فدفع
العدوان ضروري ودحر قوى البغي والعدوان والشر والكفر والتسلط ، ويكون ذلك
بمواجهة الأعداء بنفس المستوى الحربي والسلاح المتطور الذي تعتمد عليه

الجيش المحاربة وبالقوة المماثلة عند الآخرين لذلك وردت كلمة (قوّة) تشمل مختلف أنواع القوى البرية والبحرية والجوية من حيوان وسلاح وأدوات وآلات ونفقات وتقنيات متطورة ، ولما كانت الخيول في الماضي هي الأصل في الحروب وأقوى القوى خصصها الله بالذكر تشريفاً لها ... والآن تغيرت الوسائل الحربية.

٢. الإنفاق الضروري للتسليح لأن النصر والإعداد الملائم لا يكون إلاّ بالمال والإنفاق السخي هو سبيل توفير المال وفيه ثواب عظيم عند الله تعالى في الدنيا والآخرة سواء كان قليلاً أم كثيراً ، فقد يجازي الله بعض المؤمنين المنفقين في الدنيا مجازاة مضافة إلى مجازاة الآخرة وإذا توافر المال للإعداد للمعركة أمنّ الناس من الأعداء قال تعالى : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ﴾ البقرة: ٢٧٢ .

٣. فبعد توافر الإعداد الحربي التام للجهد إذا حال العدو إلى طلب الصلح أو المعاهدة ورجب في السلم وآثره على الحرب والقتال فالحكم قبول الصلح حسبما يرى الإمام الحاكم من المصلحة للمسلمين والإسلام .. وإذا تم الاتفاق على الصلح وجب التوكل على الله وتفويض الأمر كله لله دون خوف من مكر العدو وخديعته ، فإنّ الله يحمي المؤمنين من كيد الظلمة والكافرين .

٤. الاعتماد على الله تعالى في كل حال فإنّ أراد العدو بالصلح خديعة ليستعدوا للقتال وأظهروا السلم وأبطنوا الغدر والخيانة فلا تأبه أيها النبي بنياتهم الفاسدة واجنح إلى السلم فإن الله كافيك ومؤيدك بالنصر والغلبة كما يؤيدك المؤمنون المخلصون وهم الأنصار وهذا وعد من الله بالتأييد.

فعلى المؤمنين أن يكونوا دائماً أقوياء العزم والعزيمة فإنّ الله معهم جميعاً ، أن ينصروا دينَ الحق وشرعه ولا شك هذا الوعد من الله يقوي الروح المعنوية في الصف الإسلامي والجيش المؤمن الذي نذر نفسه للجهاد في سبيل الله والحق والعدل وإعلاء كلمة الله وأرخص النفس والمال النفيس من أجلها لإعلاء كلمة الله والحفاظ على صرح الإيمان وكيان المؤمنين.

* * * * *

المجد والعزة والنصر من الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتِكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ التوبة: ٢٥ - ٢٧

يومَ حنين // لما بلغ هوازنُ فتحَ مكة سنة ثمان للهجرة، جمعهم (مالك بن عوف النصرى) من بني نصر بن مالك وكانت له الرياسة في جميع العسكر وانضمت إليهم ثقيف وهم أهل الطائف وهم الذين ارتضع فيهم رسول الله ﷺ وبنو جُشم وفيهم دريد بن الصَّمَّة الشاعر وهو شيخ كبير استصحبوه لِيَسْتَرِثِدُوا بِرَأْيِهِ فنزلوا بأوطاس (وهو وادٍ في ديار هوازن) وبعث رسول الله ﷺ عبدَ الله بنَ أبي حردر الأسلمي عيناً عليهم فأتاهُ وأخبره بما شاهد من أمرهم فعزم رسول الله على ان يخرج للقائهم وأستعار من صفوان بن أمية الجمحي وهو على الشرك مائة درع، وركب ﷺ بغلته الدُّلْدُلَ وخرج في اثني عشر ألفاً من المسلمين واستعمل على مكة عتَّاب بن أسيد وقال رجل من المسلمين لما رأى كثرة جيشِ النبي ﷺ: لن يغلب هؤلاء من قلة وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ

كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ۞ ونهض رسول الله حتى أتى وادي حنين وهو أحد أودية هوازن بين مكة والطائف وعندما تلاق الجيشان حملت هوازن على جيش المسلمين في الصباح الباكر حملة رجل واحد فانهمز جمهور المسلمين وثبت رسول الله وثبت معه أبو بكر وعمر وعلي والعباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأسامة بن زيد وأيمن بن عبيد وربيعة بن الحارث والفُضل بن عباس وكان النبي ﷺ على بغلته : الدلدل، فقال لها : ألبدي دُلدل، فوضعت بطنها على الأرض وكان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ وقت الهزيمة.

أم سليم // وهي مثل للمسلمة المؤمنة المجاهدة الشجاعة كانت يوم حنين مع زوجها أبي طلحة وهي حامل في ابنها عبد الله بن أبي طلحة قد جاءت هذا اليوم حازمة وسطها ببرد لها ومعها جمل زوجها أبي طلحة وقد خشيت وقت الرعب والفرع الذي أستولى على أبواب المسلمين أن يغلبها الجمل فيفر منها فأدنت رأسه منها وأدخلت يدها في خزامته مع الخطام فقال رسول الله ﷺ : أم سليم ؟ قالت نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل، فقال رسول الله ﷺ : ألا يكفي الله يا أم سليم فيقاتلهم ؟ وكان معها خنجر في يدها فقال لها أبو طلحة : ما هذا الذي معك يا أم سليم ؟

قالت : خنجر أخذته معي إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به. فقال أبو طلحة معجباً بشجاعة امرأته : ألا تسمع ما تقول أم سليم يا رسول الله ؟ وقد قتل أبو طلحة وحده في هذا اليوم عشرين رجلاً، فلما لاذ المسلمون بالفرار ولم يثبت معه إلا أولئك الأبرار الأبطال الذين ذكرنا، نزل ﷺ عن بغلته إلى الأرض واستنصر الله وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال عباس بن عبد المطلب : " شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سَفِيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بِيضَاءٌ أَهْدَاهَا لَهُ فِرْوَةَ بْنِ نَفَاثَةَ الْجُدَامِيِّ ، فَلَمَّا التَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَافِرَ وَالْيَ الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قَبْلَ الْكَافِرِ ، قَالَ عَبَّاسٌ : وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْفُفُهَا إِرَادَةً أَنْ لَا تُسْرِعَ ، وَأَبُو سَفِيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَيُّ عَبَّاسٍ ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ " ، فَقَالَ عَبَّاسٌ : وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا ، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ ؟ قَالَ : فَوَاللَّهِ ، لَكُنَّ عَطَفَتْهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةَ الْبَقْرِ عَلَى أَوْلَادِهَا ، فَقَالُوا : يَا لِبَيْكَ ، يَا لِبَيْكَ ، قَالَ : فَاقْتَتَلُوا وَالْكَافِرَ ، وَالِدَعْوَةَ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، قَالَ : ثُمَّ قُصِرَتْ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، فَقَالُوا : يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَوِّلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " هَذَا حِينَ حَمَى الْوَطِيسُ " قَالَ : ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصِيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وَجوهَ الْكَافِرِ ، ثُمَّ قَالَ : " انْهَرْمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ " قَالَ : فَذَهَبَتْ أَنْظَرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى ، قَالَ : فَوَاللَّهِ ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا ، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا ... وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ ، قَالَ : وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ عَلَى بَغْلَتِهِ . [صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير]

عن سعيد بن المسيب ، أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي ، ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك ، فقالوا : يا رسول الله ، أنت خيرُ الناسِ ، وأبرُّ الناسِ ، وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا . فقال النبي ﷺ : " إِنَّ عِنْدِي مَنْ تَرُونَ ، وَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ أصدقُهُ ، اختاروا إمَّا ذَرَارِيَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَإِمَّا أَمْوَالَكُمْ " قالوا : ما كنا نعدُّ بالأحسابِ شيئاً . فقام رسولُ الله ﷺ ، فقال : " إِنَّ هَؤُلاءِ قَدْ جَاعُونِي

مسلمين ، وائأ خيرناهم بين الذأري والأموال فلم يعدلوا بالأأساب شيئاً ، فمن كان بيده منهم شيء فطابت نفسه أن يرده فليفعل ذلك ، ومن لا فليعطنا ، وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه " فقالوا : يا نبي الله رضينا وسلمنا . فقال : " إني لا أدري ، لعل منكم من لا يرضى ، فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا " فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا وسلموا . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

لقد نصركم الله أيها المؤمنون على المشركين في كثير من مقامات الحرب ومواقفها المشهودة مثل واقعة بدر وقرية والنضير وخيبر وفتح مكة وغيرها من مشاهد القتال كما نصركم يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم وغرتكم قوتكم ولكنكم هزمت أول الأمر لتعلموا ان النصر من عند الله ولم يبق مع رسول الله إلا عدد قليل من أهل بيته وأصحابه .

ثم أدرككم الله بقوته وأمدكم بنصره فأنزل رحمته على رسوله وعلى المؤمنين الذين ثبتوا معه فسكنت قلوبهم واطمأنت نفوسهم وأمدكم بجنود من ملائكته لم تروها بأبصاركم وإن كانت آثارها في أنتصاركم وبادية في أنهزام العدو أمامكم وأنتم أقل منهم عدداً وأضعف بأساً ومن عليكم الله بالعزة وعدب الكفار فنالوا جزاءهم على كفرهم . ثم اقتضت حكمته أن يقبل توبة الذين هزموا ويصفح عن المشركين الذين يتوبون ويتجاوز عما سلف من كفرهم لأنه كثير الرحمة يتفضل على من يشاء من عباده ويثيبهم .



الشرك الباطل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْكَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ التوبة: ٣٠ - ٣١

أخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس قال : أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم ، ونعمان بن أبي أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، فقالوا : كيف ننبئك وقد تركت قبلتنا ، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله ؟ فأنزل الله في ذلك من قولهم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ إلى: ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] وقال النقاش : لم يبق يهودي يقولها بل انقرضوا.

قصة عزير // لما بلغ بنو إسرائيل في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان سلط الله عليهم (بختنصر) ملك بابل فسار إليهم بجيش كثيف وخرّب بيت المقدس سنة ٧٠٩ قبل الميلاد وقتل منهم وأسر منهم وشرّد منهم وكان عزير من الذين شرّدوا وعاد إلى بيت المقدس بعد خرابها وهو راكب على

حمارة ومعه طعامه من التين والعنب والعصير فلما رأى الخراب قال : ﴿ أَنْ يَجِيءَ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ البقرة: ٢٥٩ فأماته الله مئة عام وفي أثناء موته وجّه الله ملكاً عظيماً من ملوك فارس إلى بيت المقدس فأعاد عمارتها وبنائها وبعدها بعث الله عزيزاً وسأله كم لبثت قال : لبثت يوماً أو بعض يوم قال : بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك لم يصبه نتن وانظر إلى الحمار كيف نجع عظامه ونكسي العظام لحماً ونعيد فيه الحياة. وشاهد قدرة الله على الإحياء فقال : أعلم أنّ الله على كل شيء قدير ثم ركب حمارة ودخل محلته فوجد امرأة عمياء قد فقدت بصرها فسألها عن عزيز قالت لقد فقدناه وبكت بكاءً شديداً فقال لها أنا عزيز فقالت له : إنّ عزيزاً مستجاب الدعوة فادعُ الله يردّ عليّ بصري. فدعا ربه ومسح على عينيها وقال لها : قومي بإذن الله فأسرعت إلى بني إسرائيل وأخبرتهم فأجتمعوا وقرأ عليهم التوراة على ظهر قلب فضلّوا وقالوا : عزيز ابن الله، تعالَى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقد بين الله أنّ اليهود والنصارى خالفوا دينهم وخالفوا ما ورد في التوراة والإنجيل وغيرها فيها فقال اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله. مثل المشركين الذين عبدوا الأوثان والأصنام ولا فرق بين من يعبد صنماً ومن يعبد عزيزاً أو يعبد المسيح لأن الشرك هو أن يتخذ مع الله معبود. وأدّعوا أنّ له ولداً وأنّ له شريكاً يقولون باطلاً بأفواههم وهو يشابه قول المشركين من سبقوهم الذين يقولون اللات والعزى بنات الله ويقولون الملائكة بنات الله. عجباً لشناعة القول وسوء الفهم كيف يُصرفون عن الحق إلى الباطل ويميلون عن الهدى إلى الضلال.

ولم يقتصر ضلال اليهود والنصارى على إتهم جعلوا لله شريكاً ونسبوا إليه سبحانه ولداً ولكنهم أتخذوا علماءهم من الأحرار والرهبان كالألّهة فأطاعوهم في

تحليل ما حرّم الله وتحريم ما حلّ الله ... عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ : " يَا عَدِيّ اطْرَحْ هَذَا الْوَتْنَ مِنْ عُنُقِكَ " قَالَ : فَطَرَحْتُهُ وَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءةَ ، فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ ، فَقَالَ : " أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتَحَرِّمُونَهُ ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ ؟ " قَالَ : قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : " فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ، ولم يقتصر النصارى على أن قالوا : المسيح ابن الله ولكنهم اتخذوه إلهاً معبوداً وما أمروا في التوراة والإنجيل إلا أن يعبدوا إلهاً واحداً هو الله لا إله إلا هو ليس له شريك في الملك أو يكون معه إلهاً أو يكون مولوداً أو يكون له ولد، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.



نور الله المبين

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُنِيرَ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ

﴿٣٢﴾ التوبة: ٣٢ - ٣٣

إنّ المشركين والمبطلين من اليهود والنصارى الذين يعارضون محمداً ويكذبونه ولا يقرون بوحانية الله يريدون أن يبطلوا دين الله ويطفئوا نوره وقد جاءت البراهين على وحادنيته لا شريك له وإنّ محمداً رسول الله صدقاً وعدلاً فأضاعت القلوب وانتشرت في الآفاق هداية ونوراً فكيف تستطيع أقوالهم الكاذبة التي تخرج من أفواههم الضعيفة وأنفاسهم المنقطعة أن تطفئ نور الله ويأبى الله إلا أن ينتشر الإسلام والعدل ويظهر دينه الحق رضي الكافرون أم لم يرضوا.

وكيف يستطيعون أن يطفئوا نور الله أو يحبطوا دينه بكذب من القول وإفك من الباطل. وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الأديان كلها ومبشراً بالإسلام والتوحيد. وبالْحجة والبرهان والهداية والعرفان والسيادة والسلطان ولم يكن لأي دين تأثير روعي مثل دين الإسلام.

ولو كره المشركون / وصفهم بالشرك بعد أن وصفهم بالكفر للدلالة على أنهم جمعوا بين الكفر بالرسول وتكذيبه والشرك بالله.

الأشهر الحرم والنسيء

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلِيهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ التوبة: ٣٦ - ٣٧

قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ الآية ... أخرج ابن جرير، عن أبي مالك قال : كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً فيجعلون المحرم صفرًا فيستحلون فيه المحرمات ، فأنزل الله تعالى الآية. [لباب النقول في أسباب النزول]

قصة النسيء : كان العرب قد تمسكوا بتعظيم الأشهر الحرم الأربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب في عهد إبراهيم وإسماعيل وحرّموا فيها القتال وانتهاك الحرمات حتى أنّ الرجل إذا أنفرد بقاتل أبيه أو أخيه في هذه الأشهر لم يمسه بسوء رعاية لحرمتها، ولما كثرت الغارات بين العرب واستمر القتال أصبح كثير منهم يعتمد في عيشه على أعمال السلاح والسلب والنهب، فكانوا إذا توالى عليهم ثلاثة أشهر من الأربع الحرم شقّ عليهم ذلك فكان رجل

من كنانة يقف عند حجرة العقبة ويقول : اللهم إني ناسيء الشهور، وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا أجاب، اللهم إني قد أحللت أحد الصَّفَرَيْن يعني المحرم وحرمت صفر المؤخر وكذلك في الرجيين يعني رجب وشعبان فنسأ الشهور للعرب ثم خلفه من بعده ابنه عبّاد ثم من بعد عبّاد ابنه أمية ثم ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف ثم ظهر الإسلام فكان النسيء للعرب يقوم به بيت من كنانة يختصون به وكانت العرب إذا فرغت من حجّها اجتمع إلى صاحب النسيء من شاء منهم فقالوا : أنسننا شهراً أي أخرنا حرمة الشهر المحرم فاجعلها في صفر فيُحِلَّ المحرّم فيغيرون ويقاثلون فيه ثم يجعلون شهراً محرماً ليوافقوا عدة الشهور الحرم الأربعة، ويسمّون ذلك الصفر المحرم ويسمون ربيعاً الأول صفرأ وربيعاً الآخر ربيعاً الأول وهكذا فتصير السنة ثلاثة عشر شهراً وهكذا تدور السنة ويدخل فيها شهر زائد ثم رفضوا تخصيص الحرمة بأشهر معينة وجعلوها لعدد من الأشهر هو أربعة بدون تخصيص فهذا تغيير في أحكام الله تعالى.

قال الله تعالى : إن عدة الشهور القمرية في حكم الله وتقديره منذ أن خلق السموات والأرض اثنا عشر شهراً، لا ثلاثة عشر شهراً كما يفعل المشركون فيجب أتباع أوامر الله تعالى فيما ثبت واستقر في كتابه من تخصيص وتعيين شهور السنة وجعل بها معرفة السنين وإجراء المعاملات بين الناس وتنفيذ أحكام الشريعة وإقامة العبادات على حسبها قال جلّ شأنه : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ الإسراء: ١٢ .

وقال أيضاً : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ البقرة: ١٨٩ .
ومن الاثني عشر شهراً هذه أربعة حرم معظمة عند الله في عهد إبراهيم عليه السلام وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرّم ورجب فلا تجعلوا منها حلالاً فتنتهكوا الحرمات وتقوموا بالغارات وتعلنوا القتال فتأثموا بذلك وتظلموا أنفسكم.

وأأزموا أمركم وأأجمعوا كلمتكم وكونوا يداً واحدةً وكلمةً واحدةً لتقاتلوا
المشركين جميعاً كما إنهم يحزمون أمرهم ويجمعون كلمتهم لقتالكم جميعاً، وأعلموا
أن الله معكم يمدكم بالنصر لأنكم المتقون المؤمنون بشرائعه وأحكامه.

إنّ النسيء : هو تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر وجعله حلالاً وجعل
السنة ثلاثة عشر شهراً، تغيير أحكام الله ومعصية أوامره لأنهم يجعلون شهراً
حلالاً في عام وحراماً في العام الآخر دون تخصيص حتى يوافقوا عدد الأشهر
الأربعة الحرم التي حرّمها الله والله سبحانه وتعالى عيّّن أربعة حرم، ورتّب
فيها أحكام ومواقيت، لكنهم عميت أبصارهم وبصيرتهم عن أتباع الحق وأتباع
الأحكام وأعلموا أنّ الله مع المؤمنين ومع المتقين في إطاعة أوامره ولا يهدي القوم
الكافرين لعدم إطاعتهم لأحكامه وشرائعه.



الزكاة ... أحد أركان الإسلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ

فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً

مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ التوبة: ٦٠

ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم مصارف الزكاة ، فالزكاة هي أحد أركان الإسلام للأخذ بيد الفقراء ومد العون للمساكين المحتاجين ولتبت روح التعاون بين المسلمين ، والمحبة وتطهير أموال الأغنياء وإثابتهم الخير لأنهم أطاعوا الله في أحكامه وشرائعه ... فالزكاة تقوي الصلة والتماسك والتعاون والمحبة بين الناس. وقد قسم الله تعالى في كتابه العزيز الصدقات :

- ١ . للفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون.
- ٢ . والمساكين الذين لا يكفيهم لحاجتهم وحاجة عيالهم ما يملكون وما يكسبون.
- ٣ . والعاملين عليها : المستخدمين في تحصيل الزكاة وجمعها والمحافظة عليها حتى توزع على مستحقيها ، فهؤلاء يتقاضون أجورهم منها.
- ٤ . والمؤلفة قلوبهم : الذين يُراد استمالتهم إلى الإسلام ليشعروا ان الإسلام تعاطفٌ وتراحمٌ ... فيُسلمو ، أو من أسلموا ورجبتهم في الإسلام ضعيفة فيتألفون بإجزال العطاء لهم ليتمكن الإسلام من قلوبهم.

٥. وفي الرقاب : ويبدل من الصدقات للأرقاء والعبيد لمساعدتهم على كسب حرياتهم والفوز بعتقهم وفك رقابهم وللأسارى المسلمين لاقتدائهم ونحو ذلك مما يساعد على فك العاني وتحرير الرقيق .
٦. والغارمين : الذين ركبهم الدين في غير معصية كأنَّ تاجراً أصابهُ خسارة أو مزارعاً وأستدان على زراعته ، إمَّا أكلتها الآفات ، أو هبطت الأسعار ولم يستطيع أن يفي بالتزاماته ، أو وقع في غرامة شديدة لضمان مدين أعسر أو لإصلاح ذات البين.
٧. الغزاةُ المجاهدونَ في سبيل الله والحجاج والمبعوثون لتحصيل العلم أو للتعريف بالإسلام يستحقون أن يعطوا من نفقات الزكاة.
٨. وأبن السبيل : المسافر المغترب قطعه السفر عن أهله أو الاتصال بهم والوصول إلى ماله ، كأن يسافر إلى بلد وتقوم حرب فيمنع من السفر.



المنافقون والمنافقات

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ
فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ
الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ
وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ التوبة: ٦٧ - ٦٨

إنّ للنفاق أماراتٍ وصفاتٍ متأصلةً في طباع المنافقين والمنافقات عُذيت بها نفوسهم .. وشربتها قلوبهم .. فهم جميعاً يتشابهون فيها ولا يمكن بحال أن تكون كصفات المؤمنين فهم كاذبون حينما يحلفون لكم ، إنهم لمنكم وما هم ، فهم يأمرون بالمنكر ويحثون على الكفر والمعاصي ويصدّون عن الإيمان والطاعة ، ويبخلون بأموالهم فلا ينفقون منها في وجوه البر والطاعة ، ولا يراقبون الله ولا يخشونه وغفلت قلوبهم عن ذكر الله فنسيهم وخذلهم وأبعدهم عن فضله ورحمته لأنهم فسقوا وتمردوا وخرجوا عن طاعة الله تعالى.

والله سبحانه وتعالى أعدّ للمنافقين والمنافقات الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر ، وللكفار الذين جاھروا بالكفر وأظهروه ، نارَ جهنم يُعذبون فيها عذاباً شديداً ويخلدون فيها دائماً وهي جزاءٌ لهم على سوء أعمالهم وقد أهانهم الله ولعنهم وطردهم من رحمته وكتب عليهم عقاباً دائماً مستمراً لا ينقطع في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا يخافون ان يفتضح أمرهم وتتكشف أسرارهم ، وفي الآخرة لهم عذاب شديد وهو عذاب النار خالدين فيها ، إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار جزاءً لما فعلوه في الدنيا.

المؤمنون والمؤمنات

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ التوبة: ٧١ - ٧٢

المؤمنون والمؤمنات هم بناء المجتمع الفاضل ذكر الله صفاتهم الطيبة
وفضائلهم الكريمة فالمؤمنون والمؤمنات يجمع بينهم الإخاء والمحبة والولاية
والنصرة وهم يأمرون بالمعروف الذي ينظم كل خير وينهون عن المنكر ويقومون
الصلاة التي كتبها الله عليهم في أوقاتها ويؤتون الزكاة بينما غفل المنافقون عن
ذلك كله.. والمؤمنون يطيعون الله ورسوله في كل ما أمر الله به فاستحقوا الرحمة
والمغفرة من الله تعالى كما استحق أهل الكفر العذاب لأن الله تعالى قادر على
أن يعزّ أوليائه ويقهر أعداءه وقد بنى أحكامه على أساس الحكمة في معاملة
أهل الطاعة وأهل المعصية.

وكما وعد المنافقين والمنافقات بنار جهنم وعد المؤمنين والمؤمنات بالرحمة،
وفصل أنواع الرحمة بأنّها جنات تجري من تحتها الأنهار ينعمون بها دائماً
وينزلون في منازل يطيب عيشهم وتسر نفوسهم وتفرح قلوبهم لا يسمعون فيها لغواً
ولا تأنثياً في جنات عدن وفي ضيافة ربهم الرحمن. حيث يرون : ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وخير من ذلك وأعظم رضوان من
الله تعالى ورضا الله أكبر من كل شيء، وأعظم من أيّ نعيم في الجنة حيث
يصل إلى قلوبهم منه لذة ومسرة هي الذّ إلى نفوسهم وأقرّ إلى عيونهم من كل
نعيم أصابوه في الدنيا ... روى الإمام البخاري - كتاب الرّفاق ، عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : " إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ،
فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يدك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون
: وما لنا لا نرضى يا ربّ وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقك ، فيقول : ألا
أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون : يا ربّ وأي شيء أفضل من ذلك ، فيقول :
أجلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً " .



مسجد الضرار ... ومسجد التقوى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
 الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ
 عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهُروا
 وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ
 وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَآتَمَّارَ بِهِ فِي نَارِ
 جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُيُوتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
 فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ التوبة: ١٠٧ - ١١٠

مسجد الضرار : لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة. نزل في قُباء : وهو
 مكان بالقرب من المدينة على بني عمرو بن عوف وأقام تسعة أيام وأسس
 مسجدهم المعروف بمسجد (قُباء) ثم ارتحل إلى المدينة .. قال المفسرون : " إن
 بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء ، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم ،
 فأتاهم فصلى فيه ، فحسداهم إخوانهم بني عمرو بن عوف وقالوا : نبني مسجداً
 ونرسل إلى رسول الله ﷺ ليصل فيه ، كما يصلي في مسجد إخواننا ، وليصل
 فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ، وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية

وتتصّر ولبس المسوح ، وأنكر دين الحنيفية لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وعاداه ، وسمّاه النبي عليه السلام أبا عمرو الفاسق ، وخرج إلى الشام وأرسل إلى المناققين أن استعدادوا بما استطعتم من قوة وسلاح ، وابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر ، فآتي بجند الروم ، فأخرج محمداً وأصحابه. فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء ، وكان الذي بنوه اثني عشر رجلاً : حزام بن خالد . ومن داره أخرج إلى المسجد . وثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وأبو حبيبة بن الأرعذ ، وعباد بن حنيف ، وحاتثة وجارية وأبناء مجمع وزيد ، ونبئل بن حارث ، ولحاد بن عثمان ، ووديعة ابن ثابت . فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : إنّنا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشتائية ، وإنّا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ، فدعا بقميصه ليلبسه فيأتهم ، فنزل عليه القرآن ، وأخبر الله ﷻ خبر مسجد الضرار وما همّوا به ، فدعا رسول الله ﷺ : مالك بن الدخشم ، ومعن بن عدي ، وعامر بن يشكر ، والوحشي قاتل حمزة ، وقال لهم : " انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه " فخرجوا ، وانطلق مالك وأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً ، ثم دخل المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرّق عنه أهله ، وأمر النبي ﷺ أن يتخذ ذلك كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة ، ومات أبو عامر بالشام وحيداً غريباً . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

وفي خبر هذا المسجد نزل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرَّقَ بِئِنَّا الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١٠٧) .

قصة أبي عامر الصيفي الراهب (أول صليبي في الإسلام) :

عن محمد بن جعفر ، قال : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المدينة ، وأبو عامر عبد عمرو بن صَيْفِي بن النُّعْمَان بن ضُبَيْعَة بن زَيْدٍ كَانَ قَدْ تَرَهَّبَ وَلَبَسَ الْمُسْوَحَ ،

وكان يُقالُ له : الرَّاهِبُ ، كان قد أدركَ وسَمِعَ ، وفي روايةِ عَمْرٍو بنِ مُحَمَّدٍ : ما كان في الأوسِ والخزرجِ رَجُلٌ واحدٌ أوْصَفَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ ، كان يَأْلُفُ اليهودَ ، ويُسأَلُهُمْ عَنِ الدِّينِ ، ويُخبرونَهُ بِصِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثم خَرَجَ إلى الشامِ ، فَسَأَلَ النَّصَارَى ، فأخبروهُ بِصِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَرَجَعَ أبو عامرٍ وهو يقولُ : أنا على دينِ إِبْرَاهِيمَ الحَنِيفِيِّ ، فأقامَ مُتْرَهَباً ، وَرَعَمَ أَنَّهُ يَنْتَظِرُ خُرُوجَ النَّبِيِّ ﷺ ، فلما ظهرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ لم يَخْرُجْ إِلَيْهِ ، وأقامَ على ما كان عليه ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حينَ قَدِمَ المَدِينَةَ ، فقال : ما هذا الدينُ الذي جِئْتَ به ؟ قال : " جِئْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ دينِ إِبْرَاهِيمَ " ، قال : فأنا عليها قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّكَ لَسْتَ عَلَيْهَا " ، قال : بلى ، أَدْخَلْتَ يا مُحَمَّدٌ في الحَنِيفِيَّةِ ما ليس فيها ، قال : " ما فَعَلْتُ ، ولكني جِئْتُ بِهَا بِيضَاءَ نَقِيَّةً " ، قال أبو عامرٍ ، الكاذِبُ - أَمَاتَهُ اللَّهُ طَرِيداً ، غريباً ، وحيداً - يُعَرِّضُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - : إِنَّكَ جِئْتَ كَذَلِكَ ؟ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : " أَجَلٌ " ، فمَنْ كَذَبَ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِ ، فَكَانَ هُوَ عَدُوَّ اللَّهِ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ ، فلما افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ ، فلما أَسْلَمَ أَهْلُ الطَّائِفِ لِحَقِّ بِالشَّامِ ، فماتَ طَرِيداً ، غريباً ، وحيداً . [دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني]

ومن المنافقين بنو عُنَمِ بنِ عَوْفِ الذين ابْتَنَوْا مَسْجِداً لا لِقَصْدِ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ وَلَكِنْ لِقَصْدِ الشَّرِّ وَالْإِضْرَارِ وَلِتَقْوِيَةِ الكُفْرِ وَإِيوَاءِ أَهْلِهِ وَلِيَفْرُقُوا جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ ، وَيَصْدَعُوا وَحَدَّثَهُمْ وَيَشْتَتُوا كَلِمَتَهُمْ وَتَرَقَّبُوا وَانْتَصَارُوا لِعُودَةِ أَبِي عامرِ بنِ صِيفِي الفاسِقِ بجنْدِ قَيْصَرَ مِنَ الشَّامِ لِمَحَارِبَةِ رَسُولِ اللَّهِ . كما حاربه من قبل أن يهرب بعد انهزامه مع هوازن في حنين ومع ذلك فهم يؤكدون سوء نيتهم ونفاقهم فيحلفون انهم ما أرادوا ببناء مسجدهم الشر والضر وإنما أرادوا الخير وإقامة الصلاة، والله مطلع على ما تخفي صدورهم من الخبث وفي هذا دليل على أنه من بنى مسجداً أو معهداً أو مؤسسة لا يريد بها وجه الله وإنما يريد بها الضرر والرياء أو السمعة كان شأنها شأن مسجد الضرر .

لا تقم في مسجد الضرار للصلاة وأنت يا رسول الله حقيق بأن تصلي في المسجد الذي بنيته على نية التقوى وصدق الإيمان واجتناب المعصية وخشية العقاب منذ ابتداء تأسيسه وبنائه كمسجد قباء الذي بناه أصحابه ليقيموا فيه صلاتهم ويعبدوا ربهم وهم رجال خلص ظاهرهم وباطنهم ونظفت أجسامهم وقلوبهم يُحبّون أن يتطهروا من النجاسة والمعاصي والخصال الذميمة يريدون رضا الله عنهم.

لا ينبغي أن يكون شأن مسجد قباء الذي أسس على التقوى والإيمان وطاعة الرحمن كمسجد الضرار الذي أسس على الكفر والشر والعصيان ولا يمكن أن يكون من أسس بنيان دينه وعبادة ربه على قاعدة محكمة قوية وهي الحق وتقوى الله وطاعة رسوله كالذي أسس

بنيانه على قاعدة واهية متداعية وهي مثل جرف حفر السيل تحته فانهار فقد أقاموا المسجد على كفر وباطل وعلى جانب من أودية جهنم فما كاد يستقر عليه حتى هوى به في قعرها والمساجد بيوت الله يجب ان يكون القصد فيها خالصاً والنية صادقة لوجه الله وعبادته.

لا يزال مسجدهم الذي أقاموه وبنيانهم الذي شيدهم سبب ريبة وشك في الدين قائماً أو مهدوماً فكانوا يجتمعون فيه لكيد المسلمين ومعرفة أخبارهم وأسرارهم حال قيامه وأما حال هدمه فقد ملأ الغيظ قلوبهم لأنهم لم يبلغوا ما أرادوا وهو تقوية الكفر والتفريق بين المؤمنين وانتظار من حارب الله ورسوله فزاد الغيظ والحسرة ريبة وشكاً ثم إنهم أرادوا ذلك في الخفاء فانكشف أمرهم والله عليم بما يخفون حكيم في جزائهم وعقابهم.



أمر عام لأمة محمد ﷺ بالجهاد في سبيل الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيِعْتِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

التوبة: ١١١

بيعة العقبة الثانية :

كان العام الثالث عشر لبعثة النبي ﷺ آخر عام أقامه في مكة ثم هاجر بعده إلى المدينة وفي موسم الحج في هذا العام قدم إلى مكة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان ممن أسلموا من أهل يثرب فواعدوا رسول الله أن يجتمعوا به ليلاً في أواسط أيام التشريق بالعقبة، فجاءهم ﷺ ومعه عمه العباس فتكلم عنهم عبد الله بن رواحة وقال لرسول الله ﷺ : اشترط لربك ونفسك ما شئت قال : " اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم " قالوا : فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا ؟ قال : " الجنة " قالوا : ربح البيع لا نقيلاً ولا نستقيلاً فنزلت : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ...﴾ الآية [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ، فبايعوه على ذلك وسميت هذه البيعة (بيعة العقبة الثانية) وكانت بعيد الأضحى من العام الثالث عشر للبعثة ، وفي أوائل العام التالي هاجر النبي ﷺ إلى المدينة.

هذه الآية أمر عام لأمة محمد بالجهاد في سبيل الله وان كانت نزلت في المسلمين الذين جاءوا من المدينة ليبياعوه بيعة العقبة الثانية والتعبير باشتراء الله نفوس المؤمنين وأموالهم بالجنة إشارة إلى أنهم باعوا أنفسهم وبذلوا أموالهم للجهاد في سبيل الله فالبيع رابح ربحة الجنة ولم يكتب الله الجنة للمؤمنين المجاهدين في سبيله فحسب بل كتبها لمن أخلصوا دينهم لله ولطاعته وأنفقوا أموالهم في سبيله وأشرف مواقف الطاعة والإنفاق هو الجهاد وأرباح أحوال البيع إنما هو القتال في سبيل الله. وقد فرضه الله على كل أمة ووعد عليه بالجنة في شريعة موسى وعيسى ومحمد وفي التوراة والإنجيل والقرآن. لقد عاهد الله المجاهدين في سبيله بالجنة وليس أحد أوفى من عهد الله تعالى فسارعوا أيها المؤمنون إلى هذا الجهاد وبذل النفس والمال فإنه فوز عظيم لكم وطريقكم إلى الجنة ورضوانه.



بالمؤمنين رءوفاً رحيم

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ حَسِبَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ التوبة: ١٢٨ - ١٢٩

من نعم الله تعالى انه أرسل إلى العرب نبياً عربياً بلغتهم ومن جنسهم وبما يأفون من فصاحة اللسان والجمل والكلمات ، ووصفه الله بصفات خمس ذات جذور عربية قوية :

الصفة الأولى : من أنفسكم / أي من الجنس العربي والمقصود منه ترغيب العرب في نصرته.

الصفة الثانية : عزيز عليه ما عنتم / شديد عسير عليه وقوعكم في العنت والمشقة والتعرض للمكروه في الدنيا والآخرة ، إذ هو منكم .. يتألم لألمكم، ويفرح لفرحكم.

الصفة الثالثة : حريص عليكم / حريص على هدايتكم وإيصال الخيرات إليكم في الدنيا والآخرة ، أو حريص على إيمانكم وهداكم.

الصفة الرابعة والخامسة : بالمؤمنين رءوف رحيم / شديد الرأفة والرحمة بالمؤمنين ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : سمّاه الله تعالى باسمين من أسمائه والرءوف : المبالغ في الشفقة ، والرأفة أرق وأخص من الرحمة.

فإن أعرضوا يا محمد بعد هذه الحال المتقررة التي من الله تعالى عليهم بها فقل [حسبي الله] أي: اللهم كافٍ في النصر على الأعداء، وأنا مفوض أمري إليك، ومتوكل عليك، وجادٌ في قتال الأعداء والله هو رب العرش العظيم ومالك المخلوقات كلها في السموات وما بينهما، وخص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات إذ عليه تدبير أمور الخلق كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ يونس: ٣

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: "من قال إذا أصبح وإذا أمسى، حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، سبع مرات، كفاه الله ما أهمه صادقاً كان بها أو كاذباً" [سنن أبي داود- كتاب الأدب].

روى الطبري في كتابه، عن عبيد بن عمير، قال: "كان عمر رحمة الله عليه لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد رجلان، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾ فقال عمر: لا أسألك عليهما بينة أبداً، كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم."

والمراد صفة النبي صلى الله عليه وسلم التي تضمنتها الآية، ومن المعلوم ان خزيمة بن ثابت هو المعروف بذى الشهادتين، وعُرف بذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمضى شهادته وحده في أبتياح فرس وحكم بها لنفسه صلى الله عليه وسلم، وهذه خصوصية لرسول الله خص بها خزيمة، وذكر النقاش عن أبي بن كعب أنه قال: "أحدث القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾..... إلى آخر الآيتين" [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]



لمن النار؟ ولمن الجنة؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ
بِإِذْنِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَآخِرُ دَعْوَتُهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ يونس: ٧ - ١٠

- يبين الله سبحانه وتعالى حال الكافرين الذين مصيرهم إلى جهنم بسبب ما كانوا يعملون في الحياة الدنيا وميزهم بصفات أربع :
- أ- لا يرجون لقاء الله، فلا يخافون البعث، ولا يطمعون في الثواب فهم مكذبون بالثواب والعقاب والبعث والحساب.
 - ب- ورضوا بالحياة الدنيا، واستغرقوا في طلب اللذات وخدعوا بزينتها فأقبلوا على الدنيا ونسوا الآخرة التي هي دار القرار.
 - ج- واطمأنوا بالحياة الدنيا وسكنوا إليها فلا تخشى قلوبهم إنذاراً أو وعيداً أو تهديداً لأنها ماتت عن ذكر الله.

د. والغفلة عن ذكر الله تعالى والتدبر في آياته الدالة على وحدانيته، زين لهم سوء أعمالهم فأروهُ حسناً، هؤلاء مصيرهم جهنم وبئس المصير.

والفريق الثاني الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم الدرجات العلى التي سيكون إليها مرجعهم حيث ان الذين آمنوا بالله ورسوله وأستمكن الإيمان من قلوبهم وعملوا بأوامر الله ... نتيجة لهذا الاستمكان ، فأتمروا بأمر نبيه ، هؤلاء يهديهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة ويسعى نورهم بين أيديهم وبأيامانهم ، فإذا خرج المؤمن من قبره صُورَ له عمله في صورة حسنة فيقول له : أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة ، وهؤلاء المؤمنون بعد أن يدخلوا الجنة يكونون في حال من السعادة عظيمة هي سعادة من يجلسون على سرر مرفوعة في الحدائق والبساتين والأنهار تجري من بين أيديهم أو تحت سررهم ، ونفوسهم راضية والحياة من حولهم صافية. وإذا أراد أهل الجنة مناداة ربهم ومناجاته بدعوا بقوله : سبحانك اللهم وتزيهاً وتقديساً لك يا الله مما أضافه إليك أهل الشرك بك، يحيي بعضهم بعضاً بالألفاظ الدالة على الأمان والطمأنينة والسلام التي كانوا يستعملونها في الدنيا ، ويمثل ذلك يُحييهم الله ، وتُحييهم ملائكة الله ، ويجري على ألسنتهم حمد الله دائماً في نهاية كل دعاء من أدعيتهم، وفي كل مناجاة منهم لربهم.

عن أبي موسى الأشعري ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال : " إذا ماتَ ولدُ العبدِ قالَ اللهُ لملائكتهِ : قبضتُم ولدَ عبدي ؟ فيقولونَ : نَعَمْ ، فيقولُ : قبضتُم : ثمرةَ فؤادهِ ؟ فيقولونَ : نَعَمْ ، فيقولُ : ماذا قالَ عبدي ؟ فيقولونَ : حمداً واسترجعَ ، فيقولُ : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنةِ ، وسمُّوهُ بيتَ الحمد " [سنن الترمذي . الجامع الصحيح - كتاب الجنائز]



دعاء الناس بالشر على أنفسهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنذُرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

يونس: ١١ - ١٢

دعا محمد ﷺ أهل مكة إلى الإسلام فكذّبه أكثرهم ولم يؤمنوا به وقالوا إمعانا في عدم الإيمان به : ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الأنفال: ٣٢ ، فردّ الله عليهم بأنه لو بادر إلى استجابة دعائهم في الشر في أموالهم وفي أنفسهم مثل دعاء الناس على أنفسهم إذا يئسوا ودعاء بعضهم على بعض إذا غضبوا، كما يبادر إلى استجابة دعائهم في الخير بما ينفعهم في أموالهم وأنفسهم، لو فعل الله بالناس هكذا لهلكوا وعجل لهم الموت وانتهت آجالهم، كما قال تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْسَيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ الرعد: ٦.

إنّ الله تعالى لا يستجيب دعاءهم بالشر لحلمه ولطفه وإمهالاً لهم لفرصة التأمل والتفكير إذ لو أجابهم لانتهى أمر وجودهم وهلكوا كما هلك الذين من قبلهم، ورد في الحديث ما رواه مسلم وابن حبان وأبي داود، عن جابر بن عبد الله

قال : قال رسول الله ﷺ : "..... لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، ولا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ ، ولا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ ، لا تُؤَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ ، فيستجيبُ لكم " [وهذا لفظ مسلم - كتاب الزهد والرفائق]

والإنسان إذا أصابه شدة من مرض أو شر أو فساد أو إشراف على الغرق أو إصابة زرع أو مال أو ولد بمكروه فزع إلى الله بالدعاء والاستغفار والتوبة حتى إذا استجاب الله له وكشف عنه الضر من ذلك الشر وأعادته إلى حياته وأمنه واطمئنانه عاد إلى ما كان عليه من الضلال ونسي الله، وليسوا هؤلاء بدعا من الناس فقد سبقهم أناس كثيرون وسيكون مصيرهم مثل مصير هؤلاء الناس لأنهم تركوا الدعاء وتركوا العبادات لأن الشيطان وسوس إليهم ذلك، وقوله : ﴿ مَرَّكَانَ لَمَّا يَدْعُنَا ﴾ وان نزلت في الكفار فهي تتناول من دخل تحت معناها من كافر أو عاصي. والمراد بالإنسان في قوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا ﴾ وهو الكافر لأن العمل المذكور لا يليق بالمسلم، فهذا يقتضي من معنى الآيات انه لا يجوز الاستعجال بالدعاء على النفس أو على الغير وتسليم الأمور إلى الله تعالى وهو القادر عليه.

قال ابن كثير : فأما من رزق الهداية والسداد والرشاد فإنه مستثنى من هذه الآية ، وأخرج مسلم في صحيحه - كتاب الزهد والرفائق ، عن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمن ، إن أصابته سراءٌ شكرَ فكان خيراَ له ، وإن أصابته ضراءٌ صبرَ فكان خيراَ له " "



إهلاك الكفار واستخلاف غيرهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ
فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ يونس: ١٣ - ١٤

من سنن الله تعالى في النفس البشرية وتعاقب الأجيال هذه الآيات أمامنا لأنه هو من هاج الحق قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب: ٦٢.

إن الله سبحانه وتعالى وعد الكفار بالإهلاك والاستئصال ليرتدعوا عن ما هم فيه من شر وضلال. ففانون الله واحد فكلما فعل السابقون أفعالاً منكراً عذبهم الله كذلك بفعل الأجيال المتلاحقة بسبب التشابه في الأسباب واقتراف السيئات.

يخبر الله تعالى أهل مكة وغيرهم من الأمم أن الله تعالى قادر على إهلاكهم لما تجاوزوا من أفعال سيئة وتكذيبهم الرسل لما جاءوا من بينات وحجج دامغة كما قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَقْرِبَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ الكهف: ٥٩

لقد أهلك الله تعالى الأمم العاتية لما ظلموا أنفسهم وأصروا على الكفر وكذبوا بالبينات الدالة على صدق الرسل فلم يؤمنوا بهم وعارضوهم وقوله تعالى ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ إخبار عن قسوة قلوبهم وشدة كفرهم وإفراطهم في العناد

والتحدي، فلا فائدة فيهم ولا فائدة في إمهالهم بعد إقامة الدلائل الواضحات أمامهم.

وقوله سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ معناه : مثل ذلك الجزاء أي الإهلاك نجزي كل مجرم ، وهذا إعلان واضح ووعيد لأهل مكة المشركين على تكذيبهم للنبي محمد ﷺ وهو بين ظهرانيهم.

وليس عذاب الاستئصال للنوع البشري وإنما هو مجرد وعيد وإنذار فيعوض الله تعالى جيلًا بعد جيل. ولهذا خوطب أهل مكة بأن جعلهم الله خلفاء في الأرض بعد تلك القرون أو الجماعات التي أهلكها الله تعالى .

عن قتادة ، قوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : ((صَدَقَ رَبُّنَا مَا جَعَلْنَا خُلَفَاءَ إِلَّا لِنَنْظُرَ كَيْفَ أَعْمَلْنَا ، فَأُرُوا اللَّهَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ خَيْرًا ، بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالسَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ)) وقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول أيضاً : ((قَدْ اسْتُخْلِفْتُ يَا بَنَ أُمَّ عُمَرَ ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُ)) . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

وهكذا الزمان يدور فتكون أمة الإسلام أمة القرآن صاحبة العزة والسيادة والخلافة في الأرض، إذا لازمت الطاعة وانبعث هدي القرآن وسنة رسول الإسلام كما جاء في الآية الكريمة قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ النور: ٥٥. وإن شاء الله يتحقق هذا الوعد الرباني لنستظل بظل راية القرآن المجيد.



قوم يونس عليه السلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ۖ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ يونس: ٩٨ - ١٠٠

قصة يونس عليه السلام :

كان قوم يونس بنينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام فأرسل الله إليهم يونس عليه السلام، يدعوهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأصنام فأبوا ، وأقام بينهم تسع سنوات يعظهم وينهاهم عن عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع فأصروا على كفرهم وعنادهم فلما يئس منهم أخبرهم أنّ العذاب مصيَّبهم بعد ثلاث ليال فقال بعضهم لبعض : إن يونس رجل لا يكذب فارقبوه، فإذا أقام معكم وبين أظهركم، فلا عليكم، وإن أرتحل عنكم كان ذلك إيذاناً بوقوع العذاب بكم ، فما كان الليل تزود يونس وخرج عنهم، فلما أصبحوا ولم يجدوه أيقنوا أن العذاب واقع بهم فتأبوا ولبسوا المسوح، وبرزوا إلى خارج مدينتهم بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وردوا المظالم إلى أهلها، حتى كان الرجل يأتي إلى الحجر قد أقام عليه أساس بنيانه فيقتلعه ويرده إلى مالكه وأعلنوا توبتهم وإيمانهم فلما

صَحَّتْ تَوْبَتُهُمْ رَفَعَ اللهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا مَقْدَمَاتِهِ، وَلَوْ نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ مَا نَفَعَهُمْ إِيمَانُهُمْ وَلَا تَوْبَتُهُمْ كَمَا حَصَلَ لِفِرْعَوْنَ حِينَ قَالَ: ﴿ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يونس: ٩٠.

الآية (٩٨) : قال ابن كثير " إنهم لم توجد قرية آمنت بكاملها بنبيهم ممن سلف من القرى إلا قوم يونس وهم أهل نينوى وما كان إيمانهم إلا تخوفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم ، وخرج رسولهم من بين أظهرهم وبعد ذلك لجؤوا إلى الدعاء والتضرع. وروى ابن جرير ، عن قتادة ، قوله : لم يكن هذا في الأمم قبلهم لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت ، إلا قوم يونس لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم ، قذف الله في قلوبهم التوبة ولبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجوا إلى الله أربعين ليلة . فلما عرف الله الصدق من قلوبهم ، والتوبة ، والندامة على ما مضى منهم ، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم . قال : وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بنينوى أرض الموصل".

هذه الآيات بيان لسنن الله تعالى في الأمم السابقة مع رسلهم وفي خلق البشر مستعدين للإيمان والكفر والخير والشر، وفي تعلق مشيئة الله وحكمته بأفعاله وأفعال عباده فبعد أن بيّن أنّ الذين حققت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، أتبعه ذكر هذه الآيات الكريمة للدلالة على أنّ قوم يونس آمنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك بالإيمان. فكشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا بعد أن دعاهم إلى الإيمان وترك عبادة الأصنام فأبوا وكذبوه فأخبرهم ان العذاب واقع بهم بعد ثلاث ليال، فلما كانت الليلة الثالثة ذهب عنهم من جوف الليل، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فلما أيقنوا بالهلاك طلبوا نبيهم فلم يجدوه فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا

الإيمان والتوبة وتضرعوا إلى ربهم وأخلصوا النية فرحمهم واستجاب دعاءهم وكشف عنهم ما نزل بهم من العذاب.

ولو شاء الله أن يؤمن أهل الأرض كلهم جميعاً لآمنوا بأن يلجئهم إلى الإيمان قسراً أو يخلقهم مؤمنين طائعين كالملائكة لا إستعداداً لفطرتهم لغير الإيمان. وجاء معنى الآية ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ الأنعام: ١٠٧

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ المائدة: ٤٨ .

أي اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق الناس هكذا حتى يوازن بين الإيمان والكفر فيؤمن بعض ويكفر بعض. وفي معنى ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي ان هذا ليس بمستطاع لك ولا من وظائف الرسالة التي بعثت بها أنت وسائر الرسل الكرام كما قال تعالى:

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ الشورى: ٤٨ وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ ق: ٤٥ وقال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة: ٢٥٦ . وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإرادة الله تعالى ومقتضى سننه فالنفس مختارة في دائرة الأسباب والمسببات ولكنها غير مستقلة في اختيارها استقلالاً تاماً، بل مقيدة بنظام السنن والأقدار الإلهية؟

إن الله تعالى يجعل تيسير الإيمان للذين يعقلون آياته ويوازنون بين الأمور، فيختارون خير الأعمال ويتقون شرّها ويرجحون أنفعها على أضرها بإذنه تعالى وتيسيره ويجعل الخذلان والخزي على الكفرة الذين لا يعقلون ولا يتدبرون بآيات الله تعالى.



عبادة الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِنُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
 اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَعَفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ يَمْنَعَكُم مِّنْعًا
 حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَّا إِنَّهُمْ يَأْتُونَ
 صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَّا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
 يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ هود: ١ - ٥

القرآن الكريم كتاب عظيم الشأن، عظيم القدر، محكم الآيات فأسلوبه معجز لا يقبل الشك ولا التأويل، كأنه الحصن المنيع الذي لا يتطرق إليه خلل، وجعلت آياته فصولاً متفرقة في سورة تبين حقائق العقائد والأحكام والمواظب وجميع ما أنزل به الكتاب من الحكم والفوائد فكأنها العقد المفصل بالفرائد، ولا عجب لهذا لأنه نزل من لدن حكيم خبير.

إن الله أنزل هذا الكتاب العظيم المحكم لئلا يعبد الناس ربا سواه، ولكيلا يشركوا معه أحداً في عبادته والإيمان به وليس الرسول إلا منذر للكافرين مخوفهم سوء مصيرهم إن أصرّوا على عنادهم وشركهم، ومبشر المؤمنين الذين يسارعون إلى الإيمان والتوحيد.

ويأمر الناس أن يسألوا الله المغفرة لهم مما فرط منهم من ذنوب، وأن يعتصموا بالتوحيد ويرجعوا إليه بالطاعة، ويخلصوا التوبة ويستقيموا عليها وهم إن فعلوا ذلك يهيئ الله لهم سبل الانتفاع بالمباحات في الدنيا من مأكّل وملبس ومشرب وولد صالح ومال حلال وصحة في البدن وهدوء بال، ويكون ذلك كله ميسراً لهم ما داموا أحياء حتى إذا انتهت أعمارهم وانقضت آجالهم تمتعوا متاعاً آخر هو المتاع الحقيقي، متاع الحياة الآخرة، جزاء ما قدموا من عمل صالح في الدنيا ... لا ينقصهم الله من حقه شيئاً، أما الذين يعرضون عن الدعوة ولا يستجيبون لرسولهم فإنه ينذرهم عذاباً شديداً يوم القيامة.

والناس جميعاً مرجعهم إلى الله تعالى لا فرق بينهم : كافر وفاجر ومؤمن وهو قادر على كل شيء فيثيب المطيع ويعذب العاصي.

الآية : ﴿الْأَيُّمُ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ : هـ روى البخاري ، عن ابن عباس : قال : كان أناسٌ يستحيون أن يتخلوا (أي يذهبوا إلى الخلاء لقضاء حاجتهم) فيفضوا بفروجهم إلى السماء ، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء ، فنزل ذلك فيهم، وأخرج ابن جرير وغيره عن عبد الله بن شداد قال أحدهم إذا مرّ بالنبي ﷺ ثنى صدره لكيلا يراه ، فنزلت الآية. [باب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

وقيل نزلت في الأخنس بن شريق ، وكان رجلاً حلو الكلام ، حلو المنظر، يلقي رسول الله ﷺ بما يحب ، ويطوي بقلبه ما يكره ، وقال الكلبي : كان يجالس النبي ﷺ يظهر له أمراً يسره ويضمّر في قلبه خلاف ما يظهر ، فأنزل الله تعالى : ﴿الْأَيُّمُ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يقول يكتمون ما في صدورهم من العداوة لمحمد ﷺ. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

إنّ هؤلاء الكفار حينما يمرون بك وأنت تقرأ القرآن يعرضون عنك ويحاولون ان يستخفوا منك حتى لا يروا وجهك ويبالغوا في الإعراض حتى انهم ليأخذون ثيابهم ويضعونها فوق رؤوسهم ويسترون وجوههم ينكرونك، ولكن الله يعلم كل شيء فلا يخفى عليه إسرارهم وإعلانهم ولا ما تنطوي عليه صدورهم أو يختلج في نفوسهم. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوْهُ يَعْلَمُهُ اللهُ ﴾ آل عمران: ٢٩ .

* * * * *

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ ﴾ (١١٤) وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُحْسِنِينَ ﴿ ١١٥ ﴾ هود: ١١٤ - ١١٥

سبب نزول هذه الآية / ما رواه البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه : أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَأَنْزِلَتْ عَلَيْهِ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ ﴾ قَالَ الرَّجُلُ : أَلَيْ هَذِهِ ؟ قَالَ : " لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي " [وهذا لفظ البخاري - كتاب تفسير القرآن].

عن أبي اليسر ، قال : أَتَيْتُ امْرَأَةً تَبْتَاعُ تَمْرًا ، فَقُلْتُ : إِنَّ فِي الْبَيْتِ تَمْرًا أَطِيبَ مِنْهُ ، فَدَخَلْتُ مَعِيَ فِي الْبَيْتِ ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَتَقَبَّلَتْهَا ، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ قَالَ : أَسْتُرُّ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبُّ وَلَا تُخْبِرُ أَحَدًا ، فَلَمْ أَصْبِرْ فَأَتَيْتُ عَمْرَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : أَسْتُرُّ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبُّ وَلَا تُخْبِرُ أَحَدًا ، فَلَمْ أَصْبِرْ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : " أَخْلَفْتُ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا " حَتَّى تَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . قَالَ : وَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَوِيلًا حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ ﴾ . قَالَ أَبُو الْيَسْرِ : فَأَتَيْتُهُ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَيْهَا خَاصَةٌ أَمْ

لِلنَّاسِ عَامَةً ؟ قَالَ : " بَلْ لِلنَّاسِ عَامَةً " [سنن الترمذي الجامع الصحيح- كتاب تفسير القرآن]

يأمر الله سبحانه وتعالى بإقامة الصلاة، وتأديتها في أوقاتها على الوجه القويم وإدامتها في طرفي النهار من كل يوم ، فطرفي النهار الغدو والعشي، وروى عن الحسن وقتادة والضحاك إنهما صلاة الصبح والظهر والعصر، وزلفاً من الليل أي صلاة المغرب وصلاة العشاء.

ونظير هذه الآية في سورة طه قال تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ طه: ١٣٠ والتسبيح عامة قبل الصلاة وغيرها.

والآية الصريحة في أوقات الصلاة الخمسة قال تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الروم: ١٧ - ١٨ . فالمساء بين الظهر والمغرب وهو صلاة العصر، وصلاة المغرب العشاء الأول، وصلاة العتمة العشاء الآخرة التي يزول عندها الشفق وهو آخر أثر لنور النهار. وخصت الصلاة بالذكر لأنها أس العبادات المغذية للإيمان والمعينة على سائر

الأعمال ثم بين الفائدة فيها وحكمتها : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أي ان الأعمال الحسنة تكفر السيئات وتذهب المؤاخذه عنها لما فيها من تزكية النفس وإصلاحها فتمحو معها تأثير الأعمال السيئة في النفس وإفسادها لها، والمراد بالحسنات ما يعم الأعمال الصالحة جميعاً حتى ما كان منها تركاً لسيئة كما قال تعالى : ﴿ إِنْ جَعَلْتُمْ كَبِيرًا مَا تُمْنُونَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ النساء: ٣١

وجاء في الحديث الشريف عن أبي ذرّ قال : قال لي رسولُ الله ﷺ :
 " اتَّقِ اللهَ حيثُما كُنْتَ ، وأتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمَحُّها ، " [سنن الترمذي -
 كتاب البر والصلة ، ومسند الإمام احمد بن حنبل] ، والمراد بالسيئات الصغائر لأن
 الكبائر لا يكفِّرُها إلاَّ التوبة بدليل ما رواه مسلم - كتاب الطهارة عن أبي هريرة ،
 أن رسول الله ﷺ كان يقولُ : " الصلواتُ الحَمَسُ ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ ،
 ورَمَضانُ إلى رَمَضانَ ، مُكفِّراتٌ ما بيْنَهُنَّ إذا اجْتَنَبَ الكَبائِرَ " .

هذه ذكرى للاستقامة والنهي عن الطغيان والركون إلى الذين ظلموا وإقامة
 الصلاة في تلك الأوقات لعبرة للمتعطين الذين يراقبون الله ولا ينسونه، وخصّهم
 بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون بها وكذلك الصبر، يقول الله تعالى : واصبر فإنّ
 الله لا يضيع أجر المحسنين أي وطّن نفسك على احتمال المشقة في سبيل ما
 أمرت به وما نهيت عنه فإنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً بل يوفيه ثواب
 عمله من غير بخس له.

وفي الآية إيماء إلى أنّ الصبر من باب الإحسان.



دَعَاءُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ
 نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ
 عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
 عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ
 وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الشَّمْرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُنْفِي وَمَا
 يُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي
 عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ
 الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
 وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ إِبْرَاهِيم: ٣٥ - ٤١

سيدنا إبراهيم عليه السلام :

لَمَّا كَسَرَ إِبْرَاهِيمَ الْأَصْنَامَ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا قَوْمُهُ، وَقَرَّرُوا إِحْرَاقَهُ وَجَمَعُوا لَهُ
 حَطْبًا كَثِيرًا وَأَشْعَلُوهُ وَأَلْقَوْا فِيهِ إِبْرَاهِيمَ، وَجَعَلَ اللَّهُ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ، وَنَجَّاهُ
 اللَّهُ مِنْ أَذَاهَا، أَمَرَ مُلْكِهِمُ النَّمْرُودَ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ بِلَادِهِ الْعِرَاقَ فَهَاجَرَ وَمِنْ أَمْنٍ بِهِ
 وَمِنْهُمْ أَبْنُ أَخِيهِ لُوطٌ وَسَارَةُ الَّتِي تَزَوَّجَ بِهَا وَذَهَبُوا إِلَى الشَّامِ فَمَكَثَ فِيهَا مَا شَاءَ
 اللَّهُ أَنْ يَمَكَثَ، ثُمَّ قَصَدَ مِصْرَ فَأَهْدَى فِرْعَوْنَ إِلَى سَارَةَ هَدَايَا عَظِيمَةً مِنْهَا جَارِيَةٌ
 مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجِرٌ فَوَهَبَتْهَا سَارَةُ لِإِبْرَاهِيمَ. رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الشَّامِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ

فولدت له هاجر إسماعيل، وسنّه تسع وتسعون سنة، وولدت له بعد ذلك سارة - على كبر سنّها - اسحقّ وسنّه اثنا عشرة ومائة سنة ومن ذرية إسماعيل نبينا محمد ﷺ ومن ذرية يعقوب من اسحق بنو إسرائيل (اليهود).

وحدث بين سارة وهاجر ما يحدث بين الضرتين فأخذ إبراهيم ﷺ هاجر وابنها إسماعيل وهو رضيع وأسكنها بلاد الحجاز حيث مكة الآن وكانت أرض مقفرة، لا زرع بها ولا ضرع، وأراد إبراهيم العودة فقالت له هاجر : كيف تذهب وتتركنا ؟ وكررت سؤالها، وإبراهيم يعرض عنها ، فقالت : آله أمرك بهذا ؟ قال : نعم، قالت : إذن لا يضيعنا، وانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الكعبة اتجه إليها، وقال : (ربنا إني أسكنت ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم.....)

صارت هاجر ترضع ولدها وتشرب من مائها الذي عندها وتأكل مما خلفه لها إبراهيم حتى نفذ زادها وماؤها وجف لبنها، وأراد ان يرضع إسماعيل ويكى، فأسرعت إلى جبل الصفا وصعدت فيه، ومدت بصرها لعلها ترى قادماً، فلم تر أحداً، فهبطت، وسعت سعي الإنسان المجهود حتى أتت جبل المروة وعلته ونظرت فلم تر أحداً فأخذت تهول بينهما سبعاً، حتى يئست وقصدت ابنها، فإذا ماء يفور تحت رجليه فشربت وأرضعته، ومرّ جماعة من قبيلة جرهم فرأوا طائراً يحلق في الجو فقالوا : لا طير إلا على الماء، وأرسلوا واردهم، فنظر فإذا ماء ينبع.

فأتى قومه فأخبرهم فقصدوا هاجر وقالوا لها : أشركينا في مائك نشركك في ألباننا فقبلت، فلما شب إسماعيل تزوج منهم.

وكان إبراهيم ﷺ يتردد بين الحجاز والشام، فأمره الله في إحدى زيارته للحجاز أن يبني هو وابنه إسماعيل البيت وهو الكعبة المشرفة، فبناها وهي أول بيت بُني لعبادة الله سبحانه وتعالى وحده، ورفعوا قواعد البناء العتيق.

في هذه الآيات الكريّمات قال الله تعالى لرسوله الكريّم محمد ﷺ بتذكير قومه أنهم قد عصوا أباهم إبراهيم بعبادتهم الأصنام حيث تيراً مما يعبدون، وجاهد في سبيل الدعوة إلى وحدانية الله تعالى وسأل ربه أن يجعل هذا البلد الذي يقيمون فيه وهو (مكة) ذا أمن وطمأنينة لمن أقام فيه، لا يسفك دم إنسان فيه ولا يظلم فيه أحد ولا يصطاد صيداً فاستجاب له ربه وجعله حرماً آمناً. يلقي الرجل فيه قاتل أبيه فيحجزه احترامه لهذا الحرم المقدس ان يناله بسوء. كما سأله إبراهيم ﷺ أن يجنبه عبادة الأصنام وأن يثبتته على التوحيد والإسلام، وسأله قائلاً : رب إنني أسكنت بعض ذريتي وهو إسماعيل ومن يولد منه بواد غير ذي زرع ولا ضرع عند بيتك المحرم فاجعل قلوب الناس تميل وتعطف عليهم وتبادر إلى الحج ليشكروا آلائك على النعم ويؤدوا الصلوات والفرائض.

ربنا إنك تعلم ما نسرُّ وما نعلن ونفتقر إلى رحمتك إنك مجيب الدعاء.
ربّ أجعلني مقيم الصلاة مواظباً عليها واجعل ذريتي من يقوم الصلاة أيضاً وأستجب لدعائي وتقبل عبادتي وأغفر لأبي وأمي وللمؤمنين يوم البعث والحساب.

* * * * *

وعيدٌ للظالمين... وإيناس للمظلومين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا نَبِيَّهُمُ الْعَذَابُ فِيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّحِبُّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ اأُولَٰئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْآمَثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِن كَانَتْ مَكَرُهُمْ لِيَرْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ٤٦ - ٤٢ - إبراهيم: ٤٦ - ٤٢

يجب أن تتذكر دائماً يوم القيامة وتصفية الحساب الشامل للعباد وكذلك يجب الاستعداد للقاء الله في هذا اليوم الرهيب. فقد توعد الله الظالمين الكافرين بإمهالهم وتأخير حسابهم على أعمالهم في الوقت المناسب وفي اليوم الحاسم الذي تشخص فيه الأبصار أي من شدتها تظل فيه الأبصار مفتوحة. لا تغمض من شدة الفرع والدهشة ويأتي الناس من قبورهم مهطعين مسرعين إلى المحشر بالذل والهوان لشدة خجلهم من سوء الأعمال والأقوال.

ويكونون مقنعي رؤوسهم أي رافعيها ينظرون في ذل وخشوع كأن رؤوسهم يابسة محتطة وأفئدتهم هواء، مضطربة تجيش في صدورهم ولا تستقر من شدة ما يرون من العذاب.

ويقولون من شدة العذاب: ربنا أرجعنا إلى الدنيا ومهلنا نعمل صالحاً نجب فيه دعوة الرسل إلى توحيدك وإخلاص العبادة لك. يقول لهم الله ﷻ: أولم تكونوا أقسمتم أنكم إذا متم لا تخرجون لبعث ولا حساب، كما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ النحل: ٣٨ فذوقوا وبال أمركم وعاقبة كفركم.

أخرج البيهقي عن محمد بن كعب القرظي، قال: " لأهل النار خمس دعوات يُجيبهم الله ﷻ في أربعة، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً، يقولون: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أُنثَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أُنثَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِدُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ غافر: ١١ فيجيبهم الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ غافر: ١٢

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السجدة: ١٢ فيجيبهم الله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ السجدة: ١٤

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ إبراهيم: ٤٤ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ﴾ إبراهيم: ٤٤ فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فاطر: ٣٧ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ فاطر: ٣٧ ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا

﴿قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ المؤمنون: ١٠٦ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾
المؤمنون: ١٠٨ فلا يتكلمون بعدها أبداً " ... إن هو إلا زفير وشهيق وتطبق عليهم
جهنم.

اللهم إنا نعوذ بك من غضبك ونسألك التوفيق للعمل الصالح والتقرب إليك
بعمل يرضيك يا ربنا.

والحال إنكم سكنتم مساكنَ الظالمين أنفسهم، المفسدين في الأرض
ورضيتهم بأفعالهم وضررنا لكم الأمثال والعبر بعذابهم وأن الله قادرٌ على العذاب
المؤجل كما قدر على العذاب المعجل ولكنكم لم تعتبروا ولم تتعظوا وكذلك لم
تتغير حالكم عن حال سابقكم من المكر والخداع في إبطال الحق وتقرير الباطل
ومعارضة الرسل. ان الله سيجازيهم على مكرهم الجزاء العادل والحساب الشديد
وان كان مكرهم شديداً يصلح لرحمة الجبال عن أماكنها ومعنى هذا التعظيم
مكرهم وشدته.



إقامة الحق المطلق والعدل الشامل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ ۗ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾
 يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۗ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾
 وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ
 فَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۗ إِنَّ
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ۗ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ
 إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۗ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ إبراهيم: ٤٧ - ٥٢

هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به تثبيت أمته على ثقتهم بوعدهم
 بتعذيب الظالمين.

إن الله غالب على أمره لا يمتنع من أراد عقوبته وهو ذو انتقام ممن كفر
 برسله وأشرك به.

ثم ذكر زمان الانتقام فقال: ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۗ ﴾ أي
 أنه يبديل الأرض بأن تتطاير هذه الأرض كالهباء وتصير كالدخان المنتشر ثم
 ترجع أرضاً أخرى بعد ذلك وتبديل السموات بانتشار كواكبها وانفطارها وتكوير
 شمسها وخسوف قمرها.

وهذه الآية الكريمة من معجزات القرآن التي أيدها العلم الحديث وانطبقت عليه أشد الانطباق، فعلماء الفلك الآن يقولون بأن الأرض والشمس وسائر الكواكب السيارة كانت فيما مضى كرة نارية حارة طائرة في الفضاء ودارت على محورها ملايين السنين ثم تكونت منها الشمس وبعد ملايين أخرى فصلت منها السيارات ومنها الأرض. وبعد مئات الألوف انفصلت عنها الأقمار ولا شك أن هذه الحال بعينها ستعاد كرة أخرى ، أي أنّ الأرض والكواكب والشمس بعد ملايين السنين ستتحل مرة أخرى ويذوب ذلك الموجود كله. ويتطاير في الفضاء حقبة من الزمن، ثم تعاد كرة أخرى وتكون شمس غير هذه الشمس وأرض غير هذه الأرض وسموات غير هذه السموات.

روى مسلم ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ فأين يكون الناس يومئذٍ ؟ يا رسول الله ﷺ فقال : " **على الصراط** " [كتاب صفة القيامة والجنة والنار]

﴿ **وَبَرِّزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ أي خرجوا من قبورهم لحكم الله والوقوف بين يدي الواحد القهار . فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار سواه.

وترى المجرمين يُقرن بعضهم إلى بعض في القيود، فمُصَّهم من قطران والمراد من ذلك ان جلود أهل النار تغطى بالقطران حتى يعود طلاؤها كالسراويل أي تظلى أجسامهم بالقطران الناشئ من تسخين بعض الأخشاب كالصنوبر، تسخيناً بعيداً عن الهواء فيكون للكفار كالقمصان لسرعة اشتعال النار فيها ولقبح منظرها حينئذٍ وخبث رائحتها

فيكون الطلاء محيطاً بأجسامهم إحاطة الجلابيب بها كما تحيط النار بهم من كل جانب، وقد خص الله سبحانه وتعالى وجوههم بالذكر لأنهم لم يتجهوا بها إلى الحق ولم يستعملوا مشاعرهم وحواسهم التي تشتمل عليها الوجوه في التدبر

والتفكر ولأنها أشرف الأعضاء كما خصها بالذكر في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِ
يُوجِّهَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الزمر: ٢٤ والله سبحانه وتعالى سريع الحساب في
أقصر وقت.

هذا الإنذار للناس كافٍ في العظة والتذكير وليتعظ أصحاب العقول
وليرتدعوا عن معاصيهم ولينظروا إلى الأمم الماضية قبلهم.

إنَّ الله واحد لا شريك له، فيؤمنوا وينتهوا عن عبادة الأصنام لينجو من
عقاب الله يوم القيامة.

* * * * *

ماذا أعد الله للمتقين؟؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقَدَّمِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾

الحجر: ٤٥ - ٥٠

نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ فيما أخرجه الثعلبي عن سلمان الفارسي : انه لما سمع قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الحجر: ٤٣ فرّ ثلاثة أيام هارباً من الخوف، لا يعقل فجئى به إلى النبي ﷺ فسأله فقال : يا رسول الله أنزلت هذه الآية ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فو الذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل الله ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ الحجر ٤٥. [التفسير الموضوعي للحافظ المتقن مع أسباب النزول]

قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ ﴾ الآية : أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي ، قيل : وأيُّ غلٍّ؟ قال : غلّ الجاهلية ، إنّ بني تميم وبني عدي وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية عداوة ، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا ، فأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر ، فنزلت الآية. [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

هذه الآيات تُصَوِّر لنا مصير المتقين وهم الذين اتقوا عذاب الله ومعاصيه وأطاعوا وأوامره فقد أنعمنا عليهم بكامل الثواب وأعدنا لهم ما يستمتعون به يوم القيامة في جنات وعيون يأكلون منها ما يشاءون وينعمون فيها بما يشاهدون متاعاً مقروناً بالكرامة والتعظيم فيقال لهم فيها : ادخلوها بتحية الله لكم سالمين من كل آفة وداء. آمنين من الموت والعذاب والزوال لتحياوا في دار النعيم حياة خالصة من الحقد والعداوة والبغضاء، وتبقوا فيها إخوانا تتمتعون بالراحة على سرر متقابلين.

عن قَتَادَةَ ، قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : " إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِّ إِخْوَانًا ﴾ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

ومن أفضال الله ورحمته أيضاً انه لا يصيب المؤمنين في الجنات .. تعب ولا مشقة ولا أذى، لأنه لا حاجة لهم إلى السعي والتعب في جلب المعاش لتيسير كل ما يشتهون أمامهم دون جهد.

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : " أتى جبريلُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسولَ الله : هذه خديجةٌ قد أتت معها إناءً فيه إدام ، أو طعامٌ أو شرابٌ ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربِّها ومنِّي وبشِّرها بيتي في الجنة من قصبٍ لا صخبَ فيه ، ولا نصبٍ " [وهذا لفظ البخاري- كتاب المناقب]

﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُحْرَجِينَ ﴾ أي إنهم خالدون فيها لا يبرحونها، فهم في خلود بلا زوال وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان.

هكذا وأن المسرة بالنعيم لا تتم إلا توافرت فيها أمور وهي :

١- أن يكون مقروناً بالاطمئنان والتكريم والى ذلك أشار في قوله تعالى :

﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴾ .

٢- أن يكون خالصاً من شوائب الضرر روحانية كانت كالحقد والحسد

والغضب والى ذلك إشارة بقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ

إِخْوَانًا ﴾ أو جسمانية كالتعب والإعياء وفي ذلك إشارة لقوله تعالى :

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ .

٣- أن يكون دائماً غير قابل للزوال، والى ذلك إشارة بقوله : ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا

بِمُحَرَجِينَ ﴾ .

ولا بد أن يعلم الناس ان الله سيجازي بالمغفرة والرحمة كما يجازي بالعذاب

فقال : ﴿ نَبِيَّ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْعَفْوَورَ الرَّحِيمِ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾

أخرج الطبراني عن عبد الله بن الزبير قال : مرَّ رسولُ الله ﷺ بِنَفَرٍ مِنْ

أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ عَرَضَ لَهُمْ شَيْءٌ أَضْحَكَهُمْ ، فَقَالَ : " أَتَضْحَكُونَ وَنِكْرُ الْجَنَّةِ

وَالنَّارِ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ " ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ نَبِيَّ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْعَفْوَورَ الرَّحِيمِ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ

عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾

أي أخبر عبادي يا محمد أتى ذو مغفرة ورحمة وذو عذاب أليم وهذا جمع

بين مقامي الرجاء والخوف، فالله تعالى يستر ذنوب من تاب وأناب فلا يفضحهم

ولا يعاقبهم وإنما يرحمهم فلا يعذبهم بعد توبتهم وهذا يشمل

المؤمن الطائع والعاصي والعذاب المؤلم الشديد لمن أصرَّ على الكفر والمعاصي ولم يتب منها وهذا تهديد وتحذير من اقتتراف المعاصي بعد الوعد بالجنة لمن آمن وتاب وعمل صالحاً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً ، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَبْيَسْ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ " [صحيح البخاري - كتاب الرقاق]



إعلان الدعوة والجر بها

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ
 الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾
 وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَصِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ
 السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ الحجر: ٩٤ - ٩٩

عن أنس بن مالك قال: "مرَّ النَّبِيُّ ﷺ على أناسٍ بِمَكَّةَ فَجَعَلُوا يَغْمِرُونَ فِي قَفَاهُ ، وَيَقُولُونَ : هذا الذي يزعم أنه نبي ، ومعه جبريلُ فغمز جبريلُ بإصبعه ، فوقع مثل الظفر في أجسادهم فصارت قروحاً ، حتى نبتوا ، فلم يستطيع أحدٌ أن يدنو منهم فأنزل الله ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ " لم يرو هذا الحديث عن أنس إلا يزيد بن درهم ، تفرد به : محمد بن عثمان القرشي [المعجم الأوسط للطبراني - لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

لقد صبر النبي على أذى الكفار وعداوتهم فأمره الله تعالى بالجر بالدعوة وإبلاغ ما أمرت به من الشرائع وواجه به المشركين ، ولا تلتفت إلى ما يقولون ولا تبال بهم فإن الله كافيكهم وحافظك منهم .

إنَّا كفيناك هؤلاء الناس المستهزئين الذين يسخرون منك ومن القرآن أنساهم الله وقد اختلف في عدتهم فقوم يقولون خمسة وهم :

الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب وقد ماتوا جميعاً بأهون الأسباب ، فتعلق بثوب الوليد

سهم فتكبر أن يبعده عنه فأصاب عرقاً في عَقِبَةِ فمات ومات العاص بشوكة في أخص قدمه، وأصاب عدي بن قيس مرض في أنفه فمات، وأصيب الأسود بن عبد يغوث بداء وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (هذه أعراض حمى التيفوس فيغلب أن يكون قد أصيب بها) وعمى الأسود بن عبد المطلب، وهم يقولون هم سبعة من أشرف قريش ومشركيها.

ثم وصف هؤلاء المستهزئين فقال، الذين اتخذوا إلهاً آخر يعبدوه وتوعدهم الله بما كانوا يصنعون يوم تجزى كل نفس بما عملت ... ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الحج: ٢٠.

وبعد ان سلاه الله بكفاية شرهم ودفعت مكرهم ذكر تسلية أخرى له فقال : ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنَا يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من كلمة الشرك والاستهزاء فأمر سبحانه بأن يفزع لكشف ما يضييق في نفسه إلى تسبيح الله وحمده وإلى مناجاته والسجود لله آناء الليل وأطراف النهار. (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) وداوم على هذه الحال حتى يأتيك الموت فهناك الجزاء بلا عمل وهنا العمل ولا جزاء.

فالأمر بمواظبة السجود والعبادة والأذكار والتسبيح والتحميد والتهليل كفيل برفع المعنويات وثبات القلب وقوة العزيمة ومواصلة الجهاد الدعوي إلى الله وحده والأمر بمتابعة العبادة حتى يأتيه اليقين أي الموت أي الغاية معناها مدى الحياة.

ولقد ذكر الله من أجزاء الصلاة : حالة القرب إلى الله وهي السجود فهو أكرم حالات الصلاة وأجدرها بنيل الرحمة. جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد ، قال حذيفة بن اليمان : " كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ صَلَّى " أي فزع للصلاة عند اشتداد الكرب.

وتدل الآية على أنّ علاج ضيق الصدر وتفريج الهموم والكروب
والمصائب هو التسبيح والتكديس والتحميد والإكثار من الصلاة.

روى الإمام احمد عن نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارِ الْغَطَفَانِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يقولُ : قَالَ اللَّهُ ﷻ : " يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَعْجِزْ عَنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ
أُكْفِكَ آخِرَهُ "

إن الصلاة تقوي الصلة بالله تعالى وتعزز الإيمان وتزرع في القلوب
الطمأنينة والسكون قال تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ إبراهيم: ٤٠



حلاوة القرآن

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

النحل: ٩٠ - ٩١

أخرج الطبراني والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " أعظم آية في القرآن آية الكرسي " و " أجمع آية في القرآن : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ النحل: ٩٠ " و " أشد آية في القرآن تفويضا : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ الطلاق: ٢ " و " أكبر آية في القرآن فرحاً : ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ الزمر: ٥٣ " عن عكرمة قال : جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : اقرأ عليّ ، فقرأ عليه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ قال : أعد ، فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : والله ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر . [دلائل النبوة للبيهقي] ، وعن الحسن رضي الله عنه قرأ يوماً هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ إلى آخرها ثم وقف فقال : " إن الله صلى الله عليه وسلم جمع لكم الخير كله ، والشر كله في آية واحدة فوالله ما ترك العدل ،

وإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه ، ولا ترك الفحشاء ، والمنكر والبغي ، من معصية الله شيئاً إلا جمعه " [شعب الإيمان للبيهقي]

عن علي بن عبد الملك بن عمير ، عن أبيه ، قال : بلغ أكنم بن صيفي مخرج النبي ﷺ ، فأراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه ، وقالوا : أنت كبيرنا لم تكن لتخف إليه ، قال : فليات من يبلغه عني ، ويبلغني عنه ، فانتدب رجلان ، فأتيا النبي ﷺ فقالوا : نحن رسل أكنم بن صيفي ، وهو يسألك من أنت ؟ وما جئت به ؟ قال النبي ﷺ : " أما من أنا ، فأنا محمد بن عبد الله ، وأما ما أنا فأنا عبد الله ورسوله " ، قال : ثم تلا عليهم هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، قالوا : ازدد علينا هذا القول ، فردده عليهم حتى حفظوه ، فأتيا أكنم ، فقال : أباي أن يرفع نسبه ، فسألناه عن نسبه فوجدناه زاكى النسب ، واسطاً في مضر ، وقد رمى إلينا بكلمات قد حفظناهن ، فلما سمعهن أكنم قال : أي قوم ، أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى عن ملامها ، فكونوا في هذا الأمر رؤساء ، ولا تكونوا فيه أذنباً ، وكونوا فيه أولاً ، ولا تكونوا فيه آخراً ، ... [معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني]

وقال سعيد بن جبير عن قتادة في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... الآية ﴾ ليس من خلق من أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به وليس من خلق سيء كانوا يتعايرون بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها .

إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا في كتابه الكريم الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ بالعدل والانصاف إلى من أنعم علينا بنعمه الظاهرة والباطنة وترك

عبادة الأوثان التي لا تستحق شيئاً من شكر النعم فمن الجهل عبادتها وهي لا تُنعمُ فتشكّر، ولا تنفع فتعبد، ومن ثم وجب أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده.

أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي إنه قال : دعاني عمر بن عبد العزيز فقال : صف لي العدل، فقلت بخٍ سألت عن أمر جسيم، كن لصغير الناس أباً ولكبيرهم إبناً وللمثل منهم أخاً وللنساء كذلك وعاقب الناس على قدرِ ذنوبهم وعلى قدرِ أجسامهم ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتكون من العادين.

وأخرج البخاري في تاريخه أن علي بن أبي طالب مرّ بقوم يتحدثون فقال: فيم أنتم ؟ فقالوا نتذاكر المروءة فقال : أو ما كفاكم الله ﷻ ذاك في كتابه إذ يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

فالعدل : الانصاف، والاحسان : التفضل، فما بقي بعد هذا ؟

وأعلى مراتب الإحسان ، هي الإحسان إلى المسيء ، وقد أمر به النبي ﷺ ، وروي عن الشعبي انه قال : قال عيسى بن مريم ﷺ : إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك، وليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك ، وقد صح من حديث أبو هريرة في صحيح البخاري : عندما سأل جبريلُ ﷺ النبيَّ ﷺ : ما الإحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " [كتاب الإيمان]

وينهى عن (الفحشاء) وهي الغلو في الميل إلى القوة الشهوانية كالزنا وشرب الخمر والسرقة والطمع في أموال الناس.

(والمنكر) هو ما تتكره العقول من المساويء الناشئة من الغضب كالضرب والقتل والتطاول على الناس (والبغي) هو ظلم الناس والتعدي على حقوقهم. فيجب الاتعاض بذلك لما فيه صلاح الناس في الدنيا والآخرة.

﴿يَعْظُمُ لِعَظْمِكُمْ تَذَكُّرُونَ﴾ أي أمركم بثلاث ونهاكم عن ثلاث كي تتعظوا.

وبعد ان ذكر الأمور والمنهيات بطريق الإجمال في الآية ذكر بعضاً على سبيل التخصيص فقال : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ أي أوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه وعقده إذا عاقدتموه، فأوجبتم به على أنفسكم حقاً لمن عاقدتموه وواثقتموه عليه ويدخل في ذلك عهد يلتزمه الإنسان باختياره والوعد من العهد.



توحيد الله وبر الوالدين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ
عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ
لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ
أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ
فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ الإسراء: ٢٣ - ٢٥

وأمر من الله تعالى بعبادته ولا تليق إلا بمن له الإنعام والإفضال على عباده ولا منعم إلا هو .

وبالوالدين إحساناً أي وأن تحسنوا إلى الوالدين وتبروهما ليكون الله معكم .
قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ النحل: ١٢٨ وقد أمر الله تعالى بالإحسان إليهما وذلك لأن شفقتهما على الولد وبذل الجهد في إيصال الخير إليه وإبعاد الضر عنه جهد المستطاع فوجب مقابلة ذلك بالإحسان، هذا وان الولد قطعة من الوالدين كما جاء في صحيح البخاري ، عن المسور بن مخرمة ، أن رسول الله ﷺ ، قال : " فاطمة بضعة مني ، " [كتاب المناقب]

وأنهما أنعماً عليه وهو في غاية الضعف ونهاية العجز فوجب أن يقابل ذلك بالشكر حين كبرهما لأنه لا نعمة تصل إلى الإنسان أكثر من نعمة الخالق

عليه ثم نعمة الوالدين ومن ثم نبداً بشكر نعمته أولاً بقوله : ﴿ وَفَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا
إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الإسراء: ٢٣ .

وأمر تعالى أنه إذا وصل الوالدان عندك أو أحدهما إلى حال الضعف
والعجز وصارا عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أوله، وجب عليك أن
تشفق عليهما وتحنو لهما تعاملهما معاملة الشاكر لمن أنعم عليه ويتجلى ذلك
بأن تتبع معهما الأمور الخمسة التي أمر الله بها وهي :

١- ألا تتأفف في شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذى به الناس ولكن
أصبر على ذلك منهما واحتسب الأجر عليه كما صبرا عليك في صغرك.

٢- ألا تنغص عليهما بكلام تزجرهما به وفي هذا منع من إظهار المخالفة لهما
بالقول على سبيل الرد عليهما والتكذيب لهما.

٣- أن تقول لهما قولاً حسناً وكلاماً طيباً مقروناً بالاحترام والتعظيم مما يقتضيه
حسن الأدب وترشد إليه المروءة، ولا ترفع صوتك أمامهما ولا تحدد فيهما
بنظرك.

٤- أن تتواضع لهما وتتذلل وتطيعهما فيما أمراك به ما لم يكن معصية الله،
رحمة منك بهما وشفقةً بهما إذ هما قد أحتاجا إلى من كان أفقر الخلق
إليهما وذلك منتهى ما يكون من الضراعة والمسكنة. وقوله تعالى (من
الرحمة) أي أن يكون ذلك التذلل رحمة بهما لا من أجل امتثال الأمر
وخوف العار فقط، فتذكر

نفسك ما تقدم لهما، من الإحسان إليك وما أمرت من الشفقة عليهما. وقد
مثل حال الولد معهما بحال الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه لتربيته فإنه

يخفض له جناحه فكأنه قال للولد : إكفل والديك. بأن تضمهما إلى نفسك
كما فعلا ذلك حال صغرك.

٥- أن تدعوا الله أن يرحمهما برحمته الباقية، لقاء رحمتها لك في صغرك
وجميل شفقتها عليك.

وقد بالغ الله في التوصية بهما من وجوه كثيرة وكفاهما ان قرّن الإحسان إليهما
بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً. وقد ورد في بر الوالدين أحاديث
كثيرة منها :

أ- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : جاء رجلٌ إلى
النبيِّ ﷺ ، فاستأذنه في الجهادِ ، فقال : " **أحيِّ والداك ؟** " ، قال : نعم ، قال :
" **ففيهما فجاهد** " [صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير]

ب- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : " **لا يجزي ولدٌ والداً ، إلا أن
يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه** " [صحيح مسلم- كتاب العتق]

ج- عن عبد الله بن مسعود ، قال : سألتُ النبيَّ ﷺ : أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله ؟
قال : " **الصلاةُ على وقتها** " ، قال : ثم أيُّ ؟ قال : " **ثم برُّ الوالدين** " قال :
ثم أيُّ ؟ قال : " **الجهادُ في سبيلِ الله** " ... [صحيح البخاري- كتاب مواقيت
الصلاة وصحيح مسلم]

وبر الأم مقدم على بر الأب لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء
رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، من أحقُّ الناسِ بحُسنِ صحَابتي ؟
قال : " **أمك** " قال : ثم مَنْ ؟ قال : " **ثم أمك** " قال : ثم مَنْ ؟ قال : " **ثم أمك** "
قال : ثم مَنْ ؟ قال : " **ثم أبوك** " [وهذا لفظ البخاري- كتاب الأدب]

ولا يخص برهما في حال الحياة بل يكون بعد الموت ، روى ابن ماجه :
عن أبي أسيدٍ مالكِ بن ربيعة قال : بينما نحنُ عند النبيِّ ﷺ إذ جاءه رجلٌ من

بني سلمة فقال : يا رسول الله ، أبقني من برّ أبوي شيء أبرهما به من بعد موتيهما ؟ قال : " نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإيفاء بعهوديهما من بعد موتيهما ، وإكرام صديقيهما ، وصلته الرّحم التي لا تُوصَل إلا بهما " [كتاب الأدب] ، ولما كان بر الوالدين عسيراً حذر من التهاون فيه فقال : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٥ أي : ريكم أيها الناس أعلم منكم بما في نفوسكم، من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم والبر بهما ومن الاستخفاف بحقوقهم والعقوق بهم، وهو مجازيكم على حسن ذلك وسيئه، فاحذروا أن تضمروا لهم سوءاً، وتعقدوا لهم في نفوسكم عقوقاً، فإن أنتم أصلحتم نياتكم فيهم وأطعتم فيما أمركم من البر بهم والقيام بحقوقهم عليكم بعد هفوة كانت منكم أو زلة في واجب لهم عليكم فإنه تعالى يغفر لكم ما فرط منكم فهو غفار لمن يتوب من ذنبه، ويرجع عن معصية إلى طاعته ويعمل ما يحبه ويرضاه.



الإحسان إلى ذوي القربى

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا

﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا

تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا

﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا

بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ الإسراء: ٢٦ - ٣٠

أمر الله تعالى بإعطاء القريب من صلة الرحم والمودة حقه في الإنفاق، فإن كان محتاجاً إلى النفقة فأعطه ما يسد حاجته والمسكين ذي الحاجة وابن السبيل وهو المسافر المنقطع عن أهله فيجب إعانتة على سفره حتى يصل إلى مقصده، وأمر بأن لا يبذر المال ويفرق بإعطائه من لا يستحقه.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

الفرقان: ٦٧، قال عثمان بن الأسود: كنت أطوف المساجد مع مجاهد حول الكعبة فرفع رأسه إلى أبي قبيس (جبل بمكة) وقال: لو أن رجلاً أنفق مثل هذا في طاعة الله.. لم يكن من المسرفين، ولو أنفق درهماً واحداً في معصية الله كان من المسرفين.

عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ، أن النبي ﷺ مرَّ بسعدٍ وهو يتوضأ فقالَ : " ما هذا السَّرْفُ يا سعد ؟ " قال : أفي الوضوء سرفٌ ؟ قال : " نعم ، وإن كنتَ على نهرٍ جارٍ " [مسند أحمد بن حنبل]

وروى أحمد ، عن أنس بن مالك ، أنه قال : أتى رجلٌ من بني تميم رسولَ الله ﷺ ، فقالَ : يا رسولَ الله ، إني ذو مالٍ كثيرٍ ، وذو أهلٍ وولدٍ ، وحاضرةٍ ، فأخبرني كيف أنفقُ ؟ وكيف أصنعُ ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : " تُخرجُ الزكاةَ من مالك ، فإنها طُهْرَةٌ تُطَهِّرُكَ ، وتُصِلُ أقباءَكَ ، وتُعرفُ حقَّ السائلِ ، والجارِ ، والمسكينِ " ، فقال : يا رسولَ الله ، أقلل لي ، قال : " فات ذا القربى حقه ، والمسكين ، وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيراً " فقال : حسبي يا رسولَ الله ، إذا أديتُ الزكاةَ إلى رسولِكَ ، فقد برئتُ منها إلى الله ورسوله ، فقال رسولُ الله ﷺ : " نعم ، إذا أديتها إلى رسولي ، فقد برئتُ منها ، فلك أجرها ، وإثمها على من بدلها " وعن علي كرم الله وجهه قال : ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في خير من غير سرف ولا تبذير ، وما تصدقت فلك ، وما أنفقت رياء وسمعة فذلك حق الشيطان .

ثم نبّه سبحانه إلى قبح التبذير بإضافته إلى الشياطين فقال : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ﴾ تقول العرب لكل من لازم سنة قوم واتبع أثرهم هو أخوهم ، أي ان المفرقين أموالهم في معاصي الله قرناء للشياطين في الدنيا والآخرة كما قال : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ عَنِ الذِّكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِصًا لَهُ ، شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ الزخرف: ٣٦ . وقال : ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ الصفات: ٢٢ أي قرناءهم من الشياطين ، لأن الشيطان كان جاحداً لأنعم الله وكذلك إخوانه المبذرين ، وقد وصف الشيطان بالكفران دون ذكر سائر أوصافه ، بيان لأن المبذر لما صرف نعم الله عليه في غير موضعها فقد كفر بها ولم يشكرها كما أن الشيطان كفر بهذه النعم .

وقد كان من عادة العرب أن يجمعوا أموالهم من السلب والنهب والغارة ثم ينفقونها في التفاخر وحب الشهرة، وكان المشركون من قريش ينفقون أموالهم ليصدوا الناس عن الإسلام وإعانة أعدائه، فجاءت الآية تبين قبح أعمالهم.

وإن أعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل وأنت تستحي أن تردّ عليهم فقل لهم قولاً ليناً جميلاً وعدهم وعداً تطيب به قلوبهم قال الحسن : أمر أن يقول لهم : نعم وكرامة، وليس عندنا اليوم شيء، فإن يأتنا نعرف حقكم. وفي هذا تأديب من الله لعباده إذا سألهم سائل ما ليس عندهم كيف يقولون وبم يردون؟

ولا تكن يدك مغلولة إلى عنقك لا تعطي أحداً شيئاً ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فإنك إن بخلت كنت ملوماً مذموماً عند الناس، وإن أسرفت فسرعان ما تفقدها فتصبح معسراً بعد الغنى، ذليلاً بعد العزة، محتاجاً إلى معونة غيرك بعد أن كنت معيناً له. وحينئذ تقع في الحسرة التي تقطع نياط قلبك ويبلغ منك الأسى كل مبلغ ولكن أتى يفيد ذلك؟ وقد فات ما فات فلا ينفع الندم ولا تجدي العظة والنصيحة.

ما عال من اقتصد اخرج البيهقي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " الإقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، " وروي عن عليّ ؓ : ((التدبير نصف العيش والتؤدّد نصف العقل، والهّم نصف الهرم وقلّة العيال أحدّ اليسارين))

وقيل : حسن التدبير مع العفاف، خير من الغنى مع الإسراف.

إنّ ربك يبسط الرزق لعباده ويقتر على من يشاء ويضيق على من يشاء بحسب السنن التي وصفها لعباده في كسب المال وحسن تصرفهم في جمعه بالوسائل والنظم التي وضعها في الكون.

وان ربك ذو خبرةٍ بعباده فيعلم من الذي تصلحه السعة في الرزق ومن الذي تفسده؟ ومن الذي يصلحه الإقتار والضيق؟ ومن الذي يفسده؟ وهو البصير بتدبيرهم وسياستهم فعليك أن تعمل بما أمرك به أو نهاك عنه فهو أعلم بمصالح العباد.



تحریم القتل والزنا وأكل مال الیتیم وإیفاء الكیل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَوْلَهُمْ كَانَ خِطَاءً كَبِيرًا ﴾ (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السِّتْقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

الإسراء: ٣٠ - ٣٥

بعد أن بيّن الله تعالى أنه كفيّل بالأرزاق وهو الذي يبسط الرزق ويقدر، نهاهم عن قتل الأولاد خشية الفقر فقال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ ولا تتدوا بناتكم خوف الفقر فنحن نرزقهم لا أنتم، فلا تخافوا الفقر وتقتلوهم.

وقد كان العرب في الجاهلية يقتلون البنات لعجزهن عن الكسب وقُدرة البنين عليه بالغايات والسلب والنهب.

إنّ قتلهم كان خطأ كبيراً أي إثماً عظيماً لما فيه أنقطاع النسل وزوال هذا النوع من الوجود.

ورد في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : سألتُ النبي ﷺ : " أيُّ الذنبِ أعظمُ عند الله ؟ قال : " أن تجعلَ لله نداً وهو خَلَقَكَ " . قلتُ : إن ذلك لعظيمٌ ، قلتُ : ثم أيُّ ؟ قال : " وأن تقتلَ ولدك تخافُ أن يطعمَ معك " . قلتُ : ثم أيُّ ؟ قال : " أن تُزانيَ حليَّةَ جارِك " [وهذا لفظ البخاري- كتاب تفسير القرآن]

إن الزنا فعل قبيح مشتمل على مفسد كثيرة أهمها:

١- إختلاط الأنساب وأشتباها وإذا أشتبه المرء في الولد الذي أتت به الزانية أمِنهُ هو أم من غيره؟ فلا يقوم بتربيته ولا يستمر في تعهده وذلك مما يوجب إضاعة النسل وخراب العالم.

٢- فتح باب الهرج والمرج والاضطراب بين الناس دفاعاً عن العرض فكم سمعنا حوادث القتل كان مبعثها الإقدام على الزنا.

٣- إن المرأة إذا عُرِفَت بالزنا وشُهِرَت به استنقذها كل ذي طبع سليم فلا تحدث ألفةً بينها وبين زوجها ولا يتم السكن والازدواج الذي جعله الله مودةً ورحمةً بين الناس ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم: ٢١.

٤- إنه ليس المقصد من المرأة مجرد قضاء الشهوة، بل أن تصير شريكة الرجل في ترتيب المنزل وإعداد مهامه من مطعم وملبس ومشرب وأن تكون حافظة له قائمة بشؤون الأولاد وهذه المهام لا تتم على وجه الكمال إلا إذا كانت مختصة برجل واحد منقطعة له دون غيره من الناس.

ولا تقتلوا النفس التي حرم الإسلام قتلها إلا بالحق وهي أمور ثلاثة :- كُفِّرَ بعد إيمان، وزنا بعد إحسان، وقتل مؤمن معصوم عمداً. كما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : " لا يحِلُّ

دَمٌ أَمْرِي مُسْلِمٍ ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ :
الثَّيْبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ " [وهذا لفظ
مسلم- كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات].

وسبب هذا التحريم إنّه إفساد ، فوجب حرمة لقوله : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ٥٦ وإنه ضرر ، والأصل في المضارّة الحرمة لقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ
بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ البقرة: ١٨٥ ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول
الله ﷺ : " لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ " [سنن ابن ماجه- كتاب الأحكام]

فإذا أُبِيحَ القتلُ فنك القوي بالضعيف وحدث الاضطراب في المجتمع فلا يستقيم
للناس حال ولا ينتظم لهم معاش. قال تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ
سُلْطَانًا ﴾ أي ومن قُتِلَ مظلوماً بغير حق جعلنا لمن يلي أمره من وارث أو سلطان
بمؤاخذته بأحد الأمرين، إما القصاص أو الدية لقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي
الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنْبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ
بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ البقرة: ١٧٨ ،
عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله ﷺ قال : " مَنْ قَتَلَ
قَتِيلًا مُتَعَمِّدًا دَفَعَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ ، فَإِنْ شَاءُوا قَتَلُوا ، وَإِنْ شَاءُوا أَخَذُوا
الْدِيَّةَ ، ... " [تهذيب الآثار للطبري].

قال تعالى : ﴿ فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ أي لا يتجاوز الحد المشروع في قتل
أثنين بدل واحد ولا يقتلون رجلاً شريفاً بدل القاتل، وأن الله تعالى نصر الولي بأن
له القتل أو الدية.

وبعد أن نهى عن إتلاف الأنفس نهى عن إتلاف المال لأنّ المال أخو
الروح، فيجب عدم إتلافه مال اليتيم وعدم التصرف بأمواله حتى يبلغ أشده ويمكنه

القيام بالتصرف في ماله. وأوفوا بالعهد التي عاهدتم الله بها من التزام ما كلفكم به فكل ما أمر الله به ونهى عنه هو من العهد ويدخل ذلك ما بين العبد وربه وما بين العباد بعضهم وبعض، وأن الله سوف يسأل ناقض العهد.

كأن يقول للناكث العهد : لِمَ نكثت عهدك ؟ وهلاً وفيت به ؟ كما يقال لوائد الموعودة : بأي ذنب قتلت ؟

وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالميزان العادل ذلكم خير وأحسن عاقبة لما يترتب من الثواب في الآخرة والخلص من العذاب الأليم.



التثبت من المعلومات

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (٣٨) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (٣٩) الإسراء: ٣٦ - ٣٩

أمر تعالى بالتثبت من المعلومات والأخبار والأحاديث ونهى أن يقول الإنسان شيئاً غير صحيح أو غير ثابت أو يتتبع شيئاً معتمداً على مجرد التخمين أو سوء الظن، فهذا عيب في السلوك وتشويه للحقائق، وإضرار بالآخرين. وأيضاً المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي لا تحكم على الإنسان حكماً غير صالح لا يستند على دليل وهذا يشمل المشركين الذين يعنقدون اعتقاداً خاطئاً فاسداً في الإله أو النبي أو الآباء أو الأجداد ويتبعون الهوى وتشمل أيضاً شهادة الزور وقذف المحصنات بالكاذيب والإتهامات الباطلة والظن في الآخرين بسوء الظن.

من أجل ذلك ومن أجل صحة المعلومات جعل الله السمع والبصر والقلب يُسأل عنها صاحبها يوم القيامة فإذا سمع حراماً أو أبصره أو قرره في قلبه كان مسئولاً عنه مُعاقباً عليه يوم القيامة.

ثم أمر الله تعالى بالتواضع وحرّم الكِبَر والخِيَلَاء أو التَّبَخُّر في المشي
فمن مشى متبخترًا متعظماً فإنه لن يستطيع خرق الأرض أو ثقبها بقدمه ومن
تطاول فتطاوله هذا لا يستطيع أن يبلغ قمم الجبال.

فإنّ هذه الخصال مكروهة عند الله سبحانه وتعالى فيجب اجتنابها. وأنّ
نتخذ محاسن الأخلاق جليّة لنا وزاداً ليوم القيامة ولا نتخذ إليها آخر مع الله فنلقى
في جهنم ملومين أنفسنا مطرودين من رحمة الله، والمدحور هو المكان المبعد،
وهذه غاية الإذلال والإهانة.



الصلاة (صلاة العبد بربه)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ الإسراء: ٧٨ - ٨١

إنَّ تربية شخصية المسلم تعتمد على صلته بربه وتقوية ثقته بخالقه مدبر الأكوان، فقد أمر الله تعالى رسوله الكريم بعبادة ربه والصبر على أذى الكفار واستفزازهم له ليخرجوه من أرضه فسأله الله تعالى بالإقبال على الصلاة لينصره عليهم، فهي شفاء للقلوب من الأمراض النفسية والاعتقادية.

والصلوات المذكورة هي الخمس صلوات التي أمرنا بها الله تعالى حيث أن معنى دلوك الشمس : أي زوال الشمس، والغسق : شدة الظلام، أي هذه هي الصلوات الأربع الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وقال أيضاً سبحانه، وقرآن الفجر : أي صلاة الصبح وقوله مشهوداً : أي تشهد الملائكة.

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ قال : " تشهد الملائكة الليل وملائكة النهار " [سنن الترمذي الجامع الصحيح- كتاب تفسير القرآن]. فَمِنْ ظِلَامِ حَالِكَ أزالَهُ ضَوْءُ ساطِعِ وَنُورِ باهر

وَمِنْ نَوْمٍ وَخَمُودٍ إِلَى يَقْظَةٍ وَحَرَكَةٍ وَسَعْيٍ إِلَى الرِّزْقِ، فسبحان الواحد الخلاق وهل هناك منظراً أجملَ من نظر الرائي من ظهور ذلك النور ينفلت من خلال الظلام الدامس يدفعه بقوة ليضيء العالم بجماله ويقظة النيام وحركتهم على ظهر البسيطة وقد كانوا في سكون فهي حياة متجددة بعد موت وغيوبة للحواس.

والتهجد : الاستيقاظ من النوم للصلاة. نافلة : أي فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة عليك والمقام المحمود : مقام الشفاعة العظمى حين فصل القضاء حيث لا أحد إلا تحت لوائه ﷺ.

والمراد بالصلاة إقامة الصلاة وأداؤها على الوجه الذي سنّه الدين من توجيه القلب إلى مناجاة الرب والخشية منه في السر والعلن. مع اشتغالها على الشرائط والأركان التي أوضحتها الأئمة المجتهدون والصلاة لب العباد لما فيها من مناجاة الخالق والإعراض عن كل ما سواه ودعاؤه وحده وهذا هو مَخَّ كل عبادة.

روى البخاري ، عن أبي هريرة ؓ : عندما سأل جبريلُ النبيَّ ﷺ : ما الإحسان ؟ قال : " ... أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... " [كتاب الإيمان]

وفي صلاة الصبح تجتمع ملائكة الليل والنهار وتشهدهُ جميعاً ، روى الشيخان عن أبي هريرة : أن رسولَ الله ﷺ قال : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون " [وهذا لفظ البخاري - كتاب مواقيت الصلاة]

وهناك يقظة النوم بعد الخمود والغيبوبة عن الحس إلى نحو ذلك من مظاهر القدرة في الملك والملكوت، فكل العالم يقول بلسان حاله أو مقاله (سُبُوْحُ قدوس، ربُّ الملائكة والروح).

وكان الرسول ﷺ يتهدد في الليل بعد نومه فهي نافلة له أي مخصوصة بالرسول وحده دون أمته فهي فريضة على النبي ومندوبة بحق أمته. قال تعالى : ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٨ ﴾ أي إفعل هذا الذي أمرتك به لتقيمك مقاماً يوم القيامة يحمذك فيه كل الخلائق وخالقك تبارك وتعالى.

قال أكثر أهل العلم : إن المقام الذي يقوم ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة في ذلك اليوم ، وروى البخاري ، عن جابر بن عبد الله : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ : اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ ، حَلَّتْ لَهُ شِفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [كتاب الأذان]

وتمهيداً للأمر بالهجرة من مكة إلى المدينة، قل يا محمد داعياً : رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق وهو دعاء في أن يحسن الله حال نبيه في كل ما يتناوله من الأمور والأسفار والأعمال، أي أدخلني إدخالاً مرضياً حسناً لا يكره فيه ما يكره، يوصف صاحبه بأنه صادق في قوله وفعله كدخول المدينة والخروج من مكة واجعل لي في هذا حجة بينة تتصرني على من خالفني، أو مُلْكاً وَعِزّاً قوياً ينصر فيه الإسلام على الكفر.

روى الترمذي وغيره ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي ﷺ بِمَكَّةَ ثُمَّ أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [كتاب تفسير القرآن].

وقل أأها النبأ للمشركأ : آاء الحق من الله الذأ لا شك ولا مرأة فآه وهو الإسلام وشعائر الإأمان والعلم النافع وزوال الباطل وهو الشرك، فأن الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء للشرك مع الإأمان، إن الباطل كان مضمحلاً لا قرار له وغير ثابت فآ كل وقت. وقد تلا النبأ ﷺ آآن كسر الأصنام حول الكعبة المشرفة وآرها آأنا فتح مكة المكرمة وذلك إعلان بهزأمة الشرك والوثنية وانتصار رأفة التوحأ لله والإأمان الآالص به.

* * * * *

نزول القرآن بالحق

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٠٥)
 وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا (١٠٦) قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا
 تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧)
 وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ
 وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ الإسراء: ١٠٥ - ١٠٩

أنزل الله تعالى القرآن الكريم بالحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما أرسلناك إلا مبشراً بالجنة وثوابها من آمن بك، ونذيراً بالنار وعذابها من كفر بك.

وقصدنا بإنزال القرآن منجماً أن تقرأه على الناس على مهل وليكون تتجيماً أيسر للحفظ وأعون على الفهم ونزلناه نجماً بعد نجم فارقاً بين الحق والباطل، على حسب الحوادث والمصالح وقد نزل القرآن على رسول الله ﷺ في (ثلاث وعشرين سنة) هي مدة الرسالة من بدء بعثته إلى أنقضاء أجله، منها ثلاث عشرة بمكة وعشر بالمدينة.

قل لمن كفروا بالقرآن يا محمد : صدقوا به أو لا تصدقوا فتصدقكم به لا يزيدكم كمالاً وعدم تصديقكم لا يورثه نقصاً وإن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب التي أنزلت قبل القرآن، وعرفوا حقيقة

الوحي وأمارات النبوة، وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل، ورأوا نعتك في تلك الكتب، هؤلاء إذا يتلى عليهم القرآن تأثروا به فيبادرون إلى السقوط على وجوههم ساجدين تعظيماً لله وشكراً له على إنجاز وعده في تلك الكتب ببعثه محمد ﷺ على فترة من الرسل وإنزال القرآن عليه. وخصت الأذقان بالذكر لأن المراد أنهم لا يكتفون بوضع جباههم وأنوفهم على الأرض بل يلصقون أذقانهم.

ومن شدة تأثرهم بمواعظ القرآن وحكمه وآدابه يخرون للأذقان باكين من خشية الله تعالى ويزيدهم القرآن تواضعاً وعلماً وبقيناً به وقد كرر قوله (يخرون للأذقان) لاختلاف السبب فالأول للشكر على إنجاز الوعد، والثاني للتأثر بمواعظ القرآن.

وقد جاء في مدح البكاء من خشية الله أخبار كثيرة، فقد روى الترمذي عن ابن عباس قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : " عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " وعن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : " لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ ، وَلَا يَجْتَمِعُ عُبارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخانُ جَهَنَّمَ " [سنن الترمذي الجامع الصحيح- كتاب فضائل الجهاد]، والواقع ان العبادة لله تعالى ينبغي أن تكون بقلب خاشع ونفس طائعة ذليلة لله ﷻ يظهر منها معنى العبودية خالصة لرب العزة ويتجلى بها استحضار عظمة الله وهيبته التي تملأ النفس محبة لله، وخوفاً منه فيصير الإنسان صالح القول والعمل بالعبادة المرضية لربه تعالى.



الغفلة عن الحساب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِنَا بِنَائِهِ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ الأنبياء: ١ - ٦

كثير من الناس غافل عن المستقبل ومخاطره ولا ينظر إلا في حاضره بل قد يتغافل عن الماضي وهذا دليل القصور والعجز وقلة الوعي والإدراك فإن النابه اليقظ هو الذي يحسب للمستقبل ألف حساب ولا يغفل عما قد يتعرض له من مخاطر واحتمالات وهذا ينطبق على مسألة الغفلة عن الحساب يوم القيامة فالناس في لغو وطرب وهوى لا يفكرون في الآخرة لذا أنذرهم القرآن وحذّره من مسؤوليات الحساب الأخروي وعلى وجود الساعة (القيامة) واقتربها أي اقترب الساعة ولكنّ الناس في حياتهم في لهو غافلون، لاهون لا يفكرون بالآخرة وهذا الخطاب عام للناس ولو كان لكفار قریش بدليل ما بعده من الآيات.

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن مفزقاً سورة سورة وآية آية على وفق المناسبات وهم يستمعون القرآن ولكن قلوبهم غافلة عن ذلك وقوله تعالى (محدث) يراد به الصوت المسموع فهو حادث بلا شك ولكن أصل القرآن هو كلام الله فهو قديم بقدم الله تعالى.

إن حال الكفار عند نزول القرآن هو التناجي فيما بينهم ويقولون : هل هذا الرجل (محمد ﷺ) بشر من الناس في عقله وتفكيره وتكوينه فكيف يختص بالرسالة دونكم ؟ أفنتبعونه كمن يأتي السحر وأنتم تعلمون بأنه ساحر .

ثم قال المشركون : إته أضغات أحلام يراها ليلاً ويحدث بها نهاراً وهو من عنده افتراه. ثم قالوا : لو كان محمد صادقاً فيما يقول فليأتنا بأية مادية غير القرآن كناقاة صالح، وعصا موسى، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى مثل عيسى .

ثم كشف الله تعالى حقيقة أذعاءتهم أنهم يصدون من غير إيمان فما أتينا أهل قرية أو مدينة بعث إليهم رسول بأية فآمنوا بها !! بل كذبوا. فأهلكهم الله بكفرهم، فهل أهل مكة يؤمنون بالآيات لو رأوها ؟؟ إنهم جماعة مكابرون لا يؤمنون بشيء مهما جاءت به الآيات.

نزلت هذه الآية الأخيرة : ﴿ مَاءَ أَمْنَتَ قَبْلَهُمْ مِّن قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾

كما يلي :

أخرج بن جرير الطبري : عن قتادة ، قوله : ﴿ وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ قال : قال أهل مكة لنبي الله ﷺ : إن كان ما تقول حقاً ، ويسرك أن تؤمن ، فحوّل لنا الصفا ذهباً ، فأتاه جبرئيل ﷺ فقال : إن شئت

كان الذي سآلك قومك ، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يناظروا ، وإن شئت
استأبئت بقومك ، قال : " بل أستأني بقومي " فأنزل الله : ﴿ وَآئِينَآ ثُمُودَ النَّاقَةَ
مُبَصَّرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ وأنزل الله ﷻ : ﴿ مَا آَمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾

* * * * *

من هم الأنبياء؟؟ بشر أم ملائكة؟؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ
 إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا
 كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا
 الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

الأنبياء: ٧ - ١٠

أنكر المشركون أن يكون الرسول بشراً بقولهم : ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
 مِثْلُكُمْ ﴾ الأنبياء: ٣ أجاب الله تعالى بأن هذه سنة الله في الرسل قبل محمد وان
 الرسل كسائر البشر في سنن الطبيعة البشرية يأكلون الطعام ولا يخلدون في
 الأرض بل يموتون كما يموت سائر الناس وقد صدقهم الله الوعد فينجيهم ومن
 آمن بهم ويهلك المكذابين.

لقد أرسل الله تعالى الرسل قبل محمد ﷺ رجالاً أوحى إليهم مثل ما أوحى
 إلى محمد فأنت لست بدعاً من الرسل؟

وجاء بمعنى الآية قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ
 مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ يوسف: ١٠٩ وقوله : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ﴾ الأحقاف: ٩ وقوله
 حكاية عمّن تقدم من الأمم : ﴿ أَبَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ التغابن: ٦.

ثم أمرهم الله تعالى أن يسألوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لإزالة ما علق في أذهانهم من استبعاد الحق، اسألوهم يخبروكم إن كنتم لا تعلمون الحق.

وبيّن الله تعالى أنّ الرسل الذين أرسلهم الله تعالى هم بشر يأكلون الطعام ويشربون ويمشون في الأسواق ويموتون فهم أجساماً تتغذى حين الحياة ثم يصير أمرها إلى الفناء بعد استيفاء آجالها ولم يجعلهم ملائكة لا يتغذون وما كانوا مخلدين بأجسامهم. وصدقناهم الوعد فأنجيناهم من المكذبين.

وبعد أن حقق محمدٌ رسالته ﷺ بأنه كسائر الرسل الكرام، بيّن فضل القرآن الكريم ومنافعه للناس ففيه عظمتكم بما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق وفضائل الآداب والشرائع والأحكام بما فيه سعادة للبشر في الدنيا والآخرة. ثم حثّهم على التدبر والتفكر في آياته فمن لم يتدبر القرآن لا عقل له.



استئصال الظالمين

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا
 وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْتَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا
 كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا
 خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴿الأنبياء: ١١ - ١٥﴾

قال الله تعالى : وكثيراً ما كسرنا شوكة من عتوا وتجبروا، فأهلكنا أهالي
 قرى كانت كافرة ظالمة وأوجدنا بعدها قوماً آخرين فلما شعر أهالي هذه القرى بما
 يتهددهم من العذاب الشديد إذا هم يفرون من قراهم مسرعين، فقبل لهم استهزاءً
 بهم : لا تهربوا وارجعوا إلى مساكنكم وإلى النعم ولذائذ الحياة، وانظروا إلى ما
 حل بها من الكوارث والنوازل.

قالوا بعد أن رأوا العذاب، ويئسوا من النجاة : الويل لنا، إننا كنا ظالمين
 بكفرنا، وعدم اتباع رسلنا فما زالوا يرددون هذه الكلمات وهي : يا ويلنا إننا كنا
 ظالمين حتى جعلناهم مثل الزرع الذي حُصد واستؤصل ورميت سيفانه على
 الأرض فخدمت أنفاسهم، وأصبحوا كرماد النار الخامة بعد إطفائها.

وخلاصة القول أنهم صاروا يكررون الاعتراف بظلمهم أنفسهم ولكن لا

ينفعهم الندم قال تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَتُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا ﴾ غافر: ٨٥

ندم البغاة ولات ساعة مندم

والبغي مرتع مبتغيه وخيم

وفي القرآن آيات أخرى تحمل معنى ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً
وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ الأنبياء: ١١ وقوله تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ
بَعْدِ نُوحٍ ﴾ الإسراء: ١٧ وقوله ﴿ فَكَايَيْنَ مِنَ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ الحج: ٤٥.

* * * * *

قدرة الله تعالى

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقَا ففَنَقَّهْمَا وَجَعَلْنَا مِن الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاىِ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاآ سُبُلَا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَآءَ سَفًفَا مَحْفُوظَا وَهُمْ عَنَّا إِيْنَهَا مُعْرَضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

الأنبياء: ٣٠ - ٣٣

أثبت الله تعالى وجودَ الخالق الواحد القادر، لو تدبرها المنصفون وعقلها الجاحدون، لم يجدوا مجالاً للإنكار ولا سبيلاً إلى الجحد.

يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقَا ففَنَقَّهْمَا﴾ أي ألم يعلم الكفار ان السموات والأرض كانتا ملتحمتين متلاصقتين ففصلناهما.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً أتاه يسأله عن ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقَا ففَنَقَّهْمَا﴾ ، فقال : اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعال فأخبرني بما قال لك. يريد ابن عباس ، فذهب إليه فسأله فقال ابن عباس : كانت السموات رتقاً لا تمطر ، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت ، فلما خلق للأرض أهلاً ففك هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات ، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره ، فقال

ابن عمر : قد كنتُ أقول ما يعجبني جراءة ابن عباس في تفسير القرآن ، فالآن علمتُ بأنه أوتي في القرآن علماً. [ابن كثير]

وهكذا يقول علماء الفلك حديثاً إذ يثبتون إنّ الشمس كانت كرةً ناريةً دائرةً حول نفسها ملايين السنين وفي أثناء سيرها السريع انفصلت منها الأرض والأرضون الأخرى وهي السيارات من خط الاستواء الشمسي فتباعدت عنها وما زالت أرضنا دائرةً حول نفسها وحول الشمس على نظام خاص بحكم الجاذبية.

ويقول العلماء ان النظرية الحديثة في كيفية مولد الأرض وأخواتها الكواكب السيارة من الشمس، هي افتراض اقتراب نجم كبير من الشمس فيما مضى من الزمن اقتراباً كافياً، ف جذب من سطحها كتلة لم تلبث ان انفصلت من الشمس على شكل سهم مدبب الطرفين سميك في الوسط ثم تكثفت هذه الكتلة في الفضاء البارد إلى كتل منفصلة وبقيت هذه الكتل التي تمثل الأرض وأخواتها الكواكب السيارة تدور بفعل الجاذبية للشمس في مداراتها حولها بلا انقطاع. وانطفأ نورها لأن كتلتها كانت أصغر من أن تحتفظ بصفقتها الأصلية قبل الانفصال وهو إشعاع الضوء.

فالكواكب السيارة ومنها الأرض لا تراها بضوء يشعّ منها بل بضوء الشمس منعكساً على سطوحها كما ترى القمر وكما ترى وجوهنا بضوء الشمس أو الصباح منعكساً عليها.

والكواكب السيارة تسعة وهي بترتيب قربها من الشمس : عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، أورانوس، نبتون، بلوتو.

ويدخل ضمن هذه الأسرة المجموعة عدد كبير من أجسام صغيرة تقع بين مداري المريخ والمشتري، وتدور حول الشمس كسرب من الطير ومن بينها المذنبات أيضاً والشهب التي ترى الكثير منها كل ليلة يهوي نحو الأرض ويحترق

باحتكاكه بالغلاف الجوي الذي حولها. أما بقية الأجرام السماوية التي نراها ليلاً تزين سطح القبة السماوية فهي النجوم، والنجوم شمس موادها المركبة منها هي المواد المركبة منها شمسنا، فسبحان الخلاق العظيم.

وبعد أزمنة طويلة لا يعلم مداها بردت القشرة الأرضية وصارت صالحة لإنبات بعض أنواع النبات ثم لسكنى الحيوان ثم لسكنى الإنسان. ولا شك ان هذه النظرية التي لم يكن يعرفها العرب ولا الأمم المعاصرة لهم ولم تُعرف إلا منذ القرن السابع عشر الميلادي ومُحصت بعض التمحيص في عصرنا الحاضر. تدل أكبر دلالة على صدق محمد ﷺ وأنّ القرآن وحي أرسله إليه وبه هداية للبشر ورحمة للعالمين.

فالعقل البشري مستعد لدرس عجائب هذا الكون ومعرفة سير هذه الكواكب ودورانها بنظام الجاذبية حول الشمس على سنن لا يتغير ولا يتبدل وقد دلّ البحث على أنّها كلها كانت مجموعة واحدة انفصل بعضها عن بعض بأسباب خاصة قدّرها العليم الخبير.

وقد كان وحده كافياً في الإسراع إلى تصديقه والإيمان برسالته لولا الجحود والإنكار وعمى القلوب ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج: ٤٦ .

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي وخلقنا من الماء كل حيوان كما قال في آية أخرى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ النور: ٤٥ وكذا يحيا به كل نبات وينمو ، وقال قتادة : خُلِقْنَا كُلُّنَا مِنَ الْمَاءِ فَيَدْخُلُ الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتَ.

ويرى بعض علماء العصر الحاضر أنّ كل حيوان خُلِقَ أولاً في البحر فأصل جميع الطيور والزواحف وحيوان البر من البحر.

ثم تطبعت بطباع البر على مدى الأيام وتتنوعت أصنافها ولهم على ذلك كثير من الأدلة.

أفلا يؤمنون بعد أن رأوا هذه الأدلة بأن الله الخالق الذي لا يشبه غيره ويتركوا طريق الشرك.

وجعل الله تعالى ثوابت في الأرض وهي الجبال لئلا تميد وتضطرب وقد أثبت العلم حديثاً أنّ الأرض كانت ناراً ملتهبة ثم بردت قشرتها وصارت صلبة وقدّروا زمن ذلك بنحو ثلاثمائة مليون سنة ومما يدل على صدق هذه النظرية ما تراه من حمم النيران التي تخرجها البراكين من جهات كثيرة من الأرض كما حدث من سنة ١٩٠٩ لبركان ويزوف بايطاليا، وقد طغى على مدينة مسينا وابتلعها في باطنه ولم يبق منها شيئاً. فهذه البراكين أشبه بأفواه تتنفس بها الأرض لتخرج من باطنها نيراناً ومواد ذائبة مما يرشد إلى انها كلها في أحقاب طويلة كانت كذلك.

ولولا هذه القشرة الصلبة لتفجرت ينابيع النيران من سائر جهاتها كما كانت بعد ما انفصلت من الشمس كثيرة الثوران والפורان.

وهذه القشرة الصوانية البعيدة الفور المغلفة للكرة النارية هي الحافظة لكثرة النار التي تحتها وهي التي تنبت منها الجبال التي نراها فوق أرضنا وقد جعلت لحفظ الأرض من أن تميد وما هي إلا كأسنان لها، طالت وامتدت فوق طبقات الأرض فلو زالت هذه الجبال ل بقي ما تحتها مفتوحاً، وإذ ذلك ربما تنثور البراكين في جهات كثيرة من الأرض وتضطرب اضطراباً شديداً وتزلزل زلزلاً كثيراً.

وهذه المعجزة التي ترشد ان القرآن وحي من الله تعالى، فما محمد ولا قومه ولا الأمم المعاصرة لهم يعلمون شيئاً من هذه الآيات الكونية التي أيد صحتها تقدم العلوم ففهم ظاهر الأرض وباطنها.

وقد جعل الله تعالى فيها أي الأرض طرقاً يسلكها الناس من قطر إلى قطر ومن إقليم إلى إقليم ليهتدوا بذلك إلى مصالحهم ومهام أمورهم وجعل السماء سقفاً مرفوعاً فقد حفظت الشمس والكواكب في مداراتها بحيث يختلط بعضها ببعض بقوة الجاذبية.

قال تعالى : ﴿ وَنُحِيطُ بِالسَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ الحج: ٦٥

والمشركون معرضون عن التفكير في تلك الآيات الدالة على وحدانية الله العظيم وعظيم قدرته.

سئل ابن عباس رضي الله عنهما : هل الليل كان قبل النهار ؟ فقال : رأيتم إلى السموات والأرض حين كانتا رتقاً هل كان بينهما إلا ظلمة ؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار . [ابن كثير]

وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون، فهذه النعمة التي أنعمها علينا حيث يتعاقب الليل والنهار في نظام محكم والشمس والقمر كل واحد منهما يسبح في فلكه ويدور حول محوره في أدق نظام فالشمس آية النهار والقمر آية الليل.

وإيجاد الليل لمنافع كثيرة الراحة والنوم والاستقرار وإيجاد النهار للتقلب في معاش الدنيا وخلق الشمس والقمر للإضاءة وفائدة للزرع والثمار.



طى السماء وارث الأرض

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا
أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي
الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي
هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ الأنبياء: ١٠٤ - ١٠٦

عن ابن عباس ، قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة ، فقال : " يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاةً عراةً غرلاً (أي غير مختونين) ، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ، ألا وإن أول الخلائق يكسى ، يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ، ألا وإنه سيُجاءُ برجالٍ من أمتي ، فيؤخذُ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول ، كما قال العبدُ الصالح : ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ إن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المائدة: ١١٧ - ١١٨ ، قال : فيقال لي : إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم". [صحيح البخاري ، وصحيح مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها]

وعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ " [صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب]

إن الملائكة الكرام تستقبل وفود أهل الإيمان وتتلقاهم مبشرين مهللين يوم يطوي الله تعالى السماء بواسطة ملك كما يطوي السجل أو الصحيفة المخصصة للكتابة، وهذا الطي كائن حتماً ويوم يعيد الله الخلائق بالبعث خلقاً جديداً كما بدأهم أول مرة، والله وحده هو القادر على إعادتهم.

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الزمر: ٦٧ أما تبدل السموات والأرض في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۗ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ إبراهيم: ٤٨

وقوله سبحانه : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ فهذا يحتمل معنيين كما ذكر ابن عطية في تفسيره:

احدهما : أن يكون خبراً عن البعث، والثاني : أن يكون خبراً عن ان كل شخص يبعث يوم القيامة على هيئته التي خرج بها إلى الدنيا .

ثم أخبر ان عباده الصالحين لهم سعادة الدنيا والآخرة ووراثة الأرض للمؤمنين العاملون بطاعة الله تعالى.

والزبور إما ما أنزله الله على داود عليه السلام أو إنه أسم يعم جميع الكتب المنزلة لأنه مأخوذ من (زبرت الكتاب إذا كتبته).

والأرض إما أرض الجنة لقوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ الزمر: ٧٤ وإما أرض الدنيا لقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ النور: ٥٥ .

إن هذا لبلاغاً لقوم عابدين الله بما شرعه وأحبه ورضيه وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات الأنفس.

والعبادة التي يتصف بها العابدون تتضمن الإيمان بالله تعالى واجتماع أوصاف العبادة التامة من الإيمان وطاعة الله والخشوع له مؤهلة أصحابها للتمكن في الأرض في الدنيا والظفر بالجنة في الآخرة.

* * * * *

زلزلة الساعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ

تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ

حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ

شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ الحج: ١ - ٢

يا أيها الناس احذروا عقاب الله فأطيعوه ولا تعصوه بترك ما نهاكم عن المحرمات.

إن الزلزلة تكون حين قيام الساعة قبل قيام الناس من أجداثهم كما قال

تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ الزلزلة: ١ - ٢

وقال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ الحاقة: ١٤ وقال أيضاً: ﴿إِذَا

رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ الواقعة: ٤ - ٥ .

أمر هائل عظيم لا يقدر عليه إلا قادر وهو الله ﷻ فإذا كانت الزلزلة وحدها لا تُحتمل فكيف يوم الحشر والجزاء والحساب على الأعمال لدى ما لا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. يوم يبلغ الأمر من الدهشة والاضطراب والحيرة والذهول أن تذهل كل مرضعة عن ولدها الذي أرضعته هو أعز شيء لديها فكيف بذهولها عن سواه؟

وتضع كل ذات حمل حملها أي تسقط الجنين الذي في بطنها قبل التمام رعباً وخوفاً.

قال الحسن : تذهل المرضعة عن ولدها بغير نظام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام.

وترى الناس كأنهم سكارى وما هم بسكارى ولكن شدة العذاب التي أذهلت عقولهم وتراهم كأنهم سكارى.

ويكون المراد من ذهول المرضع ووضع الحامل ضرب المثل لشدة الأمر وبلوغه أقصى الغايات كما يؤول به أيضاً قوله تعالى : ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾
المزمل: ١٧ .



صفات الفلاح لمن جمع خصال الخير الست

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ
الْغَوِّ مُعْرَضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ ⑥ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨
أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑪ ﴾

المؤمنون: ١ - ١١

روى الإمام احمد ، والترمذي والحاكم : عن عبد الرحمن بن عبد القاري ،
سمعتُ عمر بن الخطاب يقولُ : كان إذا نزلَ على رسولِ الله ﷺ الوحي يسمع
عند وجهه دوي كدوي النحل ، فمكثنا ساعة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه ، فقال : "
اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تُهنا ، وأعظنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تُؤثر
علينا ، وارضَ عنا وأرضنا " ثم قال : " لقد أنزلت عليّ عشرُ آياتٍ ، من
أقامهنَّ دخل الجنة " ثم قرأ علينا : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ حتى ختم العشرَ آياتٍ .

أخرج الحاكم : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ فطأطأ رأسه" وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين مرسلًا ، كان الصحابة يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة ، فنزلت الآية.

لقد فاز المؤمنون بأمانيتهم، وظفروا بمرادهم ومرامهم الذين اجتمعت فيهم هذه الصفات الست الآتية :

١- المتواضعون في صلاتهم، المقبلون عليها، لا يشغلهم عنها شاغل الذين تسكن جوارحهم عند أدائها، ويغضون أبصارهم فلا ينظرون إلا إلى موضع سجودهم وينكسون رؤوسهم ولا يعبثون بأي شيء في أثناء صلاتهم، وقد قيل : [صلاة بلا خشوع كجسد بلا روح].

٢- والمعرضون عما لا يعينهم من قول أو فعل، الذين يصونون ألسنتهم عن كل قول قبيح.

٣- والمؤدون الزكاة عن طيب نفس والمراد بالزكاة الصدقة، لأنَّ فيها تطهيراً للنفس من كل دنس، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ الأعلى: ١٤ وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ الشمس: ٩.

٤- والمتعففون عن الزنا، الحافظون لفروجهم، إلا على زوجاتهم أو ما ملكت أيمانهم من الإماء، فإنهم غير ملومين في مباشرتهن، فمن ابتغى خلاف الزوجات والإماء فزنى أو لاط، فأولئك هم المتجاوزون حدود الله.

٥- والقائمون بحفظ ما يؤتمنون عليه بعدم التصرف فيه والإخلال به، إما فيما بينهم وبين الله ﷻ ، كالصلاة والصيام والحج والأيمان والندور، وإما فيما بينهم وبين الناس، كالأموال المودعة والعقود والمواعيد وغيرها ويندرج تحت هذا قيام الولاية بما يجب عليهم نحو الأمم التي يتولون شؤونها فإنها أمانة في أعناقهم.

٦- والمواظبون على صلاتهم في أوقاتها على أكمل وجه.
أولئك المنعوتون بهذه الخلال الجليلة هم الوارثون دون غيرهم الذين يرثون أعلى منازل الجنة، المستحقون لها، المخلدون فيها أبداً.



حديث الإفك

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ
 آمْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ
 سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ
 بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ لَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ
 عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
 بِالسِّنِّتِمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾
 وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾
 يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ أَلْيَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَلْحَشَةُ فِي الدِّينِ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ
 وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ النور: ١١ - ٢٠

جاء في صحيح البخاري ، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أفرع بين أزواجه ، فأيتتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه ، قالت عائشة : فأفرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي ، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودجي ، وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ، ودنونا من المدينة قافلين ، آذن ليلة بالرحيل ، فقامت حين آذنوا بالرحيل فمشيتُ

حتى جاوزتُ الجيش ، فلما قضيتُ شأني أقبلتُ إلى رحلي ، فإذا عقدٌ لي من جزع ظفار قد انقطع ، فالتمستُ عقدي وحسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي ، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنتُ ركبْتُ ، وهم يحسبون أنني فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً ، لم ينقلهن اللحم ، إنما تأكل العلقة من الطعام ، فلم يستتكر القوم خفة الهودج حين رفعوه ، وكنتُ جاريةً حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدتُ عقدي بعدما استمر الجيش فجئتُ منازلهم وليس بها داع ، ولا مجيب فأمرتُ منزلي الذي كنتُ به ، وظننتُ أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمتُ ، وكان صفوان بن المعطلّ السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش ، فأدلج فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني فعرفني حين رأيته ، وكان رأيته قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخرمتُ وجهي بجلبابي ، ووالله ما كلمني كلمة ولا سمعتُ منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتهما ، فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك ، وكان الذي تولى الإفاك عبد الله بن أبي ابن سلول ، فقدمنا المدينة ، فاشتكيته حين قدمتُ شهراً ، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفاك ، لا أشعر بشيء من ذلك وهو يرييني في وجعي ، أنني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنتُ أرى منه حين أشتكى ، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول : " كيف تيكم؟ " ثم ينصرف ، فذاك الذي يرييني ولا أشعر بالشر حتى خرجتُ بعدما نقهت ، فخرجتُ معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط ، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقتُ أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة ، فأقبلتُ أنا وأم مسطح

قبل بيتي ، وقد فرغنا من شأننا ، فعثرتُ أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح ، فقلتُ لها : بئس ما قلتِ ، أتسيين رجلاً شهيداً بداراً ؟ قالت : أي هنتاه أولم تسمعي ما قال ؟ قالت : قلتُ : وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددتُ مرضاً على مرضي ، فلما رجعتُ إلى بيتي ، ودخل عليّ رسول الله ﷺ تعني سلم ، ثم قال : " كيف تيكم " فقلتُ : أتأذن لي أن آتي أبوي ، قالت : وأنا حينئذٍ أريدُ أن أستيقن الخبر من قبلهما ، قالت : فأذن لي رسول الله ﷺ ، فجننتُ أبوي فقلتُ لأمي : يا أمته ما يتحدث الناس ؟ قالت : يا بُنية هوني عليك ، فوالله لقلماً كانت امرأة قطٍ وضيئة عند رجل يُحبها ، ولها ضرائر إلا كثرن عليها ، قالت : فقلت سبحان الله ، أولقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيتُ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، حتى أصبحتُ أبكي ، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي ، يستأمرهما في فراق أهله ، قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار علي رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود ، فقال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم إلا خيراً ، وأما علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله لم يضيّق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك ، قالت : فدعا رسول الله ﷺ بريرة ، فقال : " أي بريرة ، هل رأيت من شيء يريبك ؟ " قالت بريرة : لا والذي بعثك بالحق ، إن رأيتُ عليها أمراً أغمصه عليها ، أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن فتأكله ، فقام رسول الله ﷺ ، فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلول ، قالت : فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : " يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمتُ على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي " فقام سعد بن معاذ الأنصاري ، فقال : يا رسول الله أنا أعذرك منه ، إن كان من

الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحمية ، فقال لسعد : كذبت لعمر الله لا تقتله ، ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنفتانته ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فنتاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا ، وسكت ، قالت : فبكيث يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، قالت : فأصبح أبواي عندي وقد بكيث ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ، ولا يرقأ لي دمع ، يظن أن البكاء فالق كبدي ، قالت : فبينما هما جالسان عندي ، وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار ، فأذنت لها فجلست تبكي معي ، قالت : فبينما نحن على ذلك ، دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد " لبث " شهراً لا يوحى إليه في شأني ، قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ، ثم قال : " أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه " قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب رسول الله ﷺ فيما قال ، قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمي : أجيبي رسول الله ﷺ ، قالت : ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن : إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث ، حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن ، قلت لكم : إني بريئة ، والله يعلم أنني بريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنني بريئة لتصدقني ، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف ، قال ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ ،

قالت : ثم تحولت فاضطجعتُ على فراشي ، قالت : وأنا حينئذٍ أعلم أنني بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنتُ أظنُّ أن الله منزلٌ في شأنِي وحيًّا يتلى ، ولشأنِي في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها ، قالت : فوالله ما رام رسول الله ﷺ ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو في يوم شات ، من ثقل القول الذي ينزلُ عليه ، قالت : فلما سري عن رسول الله ﷺ سري عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : " يا عائشة ، أما الله عز وجل فقد برأك " فقالت أمي : قومي إليه ، قالت : فقلتُ : لا والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله ﷻ ، فأنزل الله ﷻ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ... ﴾ العشر الآيات كلها ، فلما أنزل الله هذا في براءتي ، قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقربته منه وقره : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال أبو بكر : بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً ، قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري ، فقال : " يا زينب ماذا علمت أو رأيت ؟ " فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، ما علمت إلا خيراً ، قالت : وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ ، فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك (([كتاب تفسير القرآن].

ومعنى الآيات : إن الذين جاءوا بالكذب والبهتان على عائشة رضي الله عنها وهو قذفها بصفوان بن المعطل السلمي ، هم جماعة من المؤمنين أو ممن يدعي الإيمان فلا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرٌ لكم لاكتسابكم الثواب العظيم على

صبركم وتألمكم ولتعظيم شأنكم بإنزال عدة آيات في دفع ما اختلف فيه الخراصون ولتهويل الوعيد ممن أكثر من الخوض فيه لينال عذاب عظيم في الدنيا والآخرة.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي : حين سمع المؤمنون والمؤمنات هذا الإفك ، ظن بعضهم بأنفس البعض الآخر الذين منهم خيراً . لأن الإيمان يقتضي من المؤمنين أن ينتهتوا إن جاءهم فاسق بنبأ ، وأن يحسنوا الظن بإخوانهم المؤمنين ، وأن يكفوا عن الطعن فيهم ويقولوا : هذا بهتان عظيم لا يليق بالمؤمنين فكيف بعائشة رضي الله عنها أم المؤمنين وزوج رسول الله ﷺ ؟

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ هل جاء الأفاكون المفسدون على بهتانهم أربعة شهداء يشهدون صحة أقوالهم ، فإذا لم يأتوا بذلك فهم في حكم الكاذبين . ولولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم وإمهال الكاذبين ليتوبوا عما اقترفوا بالسنتهم ويرويه بعضهم لبعض غير مستندين إلى يقين أو دليل وتظنون إن الخوض في أمر عائشة سهل هين وهو عند الله ﷻ عظيم يستحق أشد العذاب.

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ أي : لا يصح لنا أن نتكلم بهذا البهتان فإننا ننزه أن تكون حرم رسوله كما قالوا ، وإن قُدِّفَ الناس محرّم شرعاً فكيف إذا كان متعلقاً بزوجة رسول الله ﷺ وابنة الصديق أبي بكر ؟ هذا بهتان عظيم.

﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ينصحكم الله ما دمتم أحياء إن كنتم مؤمنين إيذاء الرسول في عرضه ، ويبين لكم الآيات الواضحات الدالة على الشرائع ومحاسن الأخلاق فهو حكيم في صنعه وتدبيره.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ﴾ أي : إنّ الذين يحبون أن ينتشر ويفشوا القول السيئ والفعل القبيح في الذين آمنوا ، لهم عذاب أليم في الدنيا ، وقد أُصيب مسطح بالعمى وعذاب أليم في الآخرة نار جهنم إذا لم يتوبوا ، والله يعلم سركم ونجواكم وأنتم لا تعلمون مما يحيط به واسع علمه.

ولولا فضل الله عليكم أيتها العصابة ، ورحمته بكم ، وأنه رءوف بعباده رحيم بهم ، غفّار لمن تاب وعمل صالحاً...لعاجلكم بأشد العقوبات والله المستعان على ما تصفون.



فضل الله في تنوير الكون سمائه وأرضه

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي
اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

النور: ٣٥

الله هاد أهل السموات والأرض بما بين من الأدلة في الأكون وبما أنزله على رسله من الآيات البينات فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلال ينجون.

ومثل أدلته التي بثها في الآفاق وهدى بها من شاء من عباده من كنوز مشكاة (طاقة غير نافذة) فيها سراج ضخم ثاقب المصباح في قنديل من الزجاج الصافي والزجاجة كأنها كوكب ضخم مضيء كالزهرة والمشتري. رويت فتيلته من زيت شجرة زيتونة كثيرة المنافع زرعت على جبل عالٍ أو صحراءٍ واسعةٍ فهي ضاحية للشمس لا يظلمها جبل ولا شجر يحجبها عنها حاجب من حين طلوعها إلى حين غروبها، لا شرقية فحسب ولا غربية فحسب بل هي شرقية غربية تصيبها الشمس من حين طلوعها إلى حين غروبها ولصفاء زيتها وبريقه كأنه يضيء بنفسه دون أن تمسه النار فإذا مسته النار أزداد ضوءاً على ضوء كذلك

قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه أزداد نوراً على نوره وهدى على هدى.

قال يحيى بن سلام : قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يبين له، لموافقته إياه وهو المراد من قوله ﷺ : " اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ". الذي رواه الترمذي- كتاب تفسير القرآن، عن أبي سعيد الخدري.

يوفق الله لنوره من يشاء من عباده لإصابة الحق بالنظر والتدبر وتوجيه الفكر.

ويسوق الله الأمثال للناس ليضاعف هدايتهم للوصول إلى الحق والله بكل شيء عليم.



صفات عباد الرحمن

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝٦٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۝٦٨ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٩ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۝٧٠ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٧١ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝٧٢ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا ۝٧٥ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٧٦ قُلْ مَا يَعْبُؤُنِي لَكُمْ دِينُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٧﴾

الفرقان: ٦٣ - ٧٧

قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ : وردت كلمة (عباد) حوالي مائة مرة في القرآن الكريم ، وهي في معظم المرات وصف بها المسلمين المطيعين لله تعالى

في أكثر من تسعين مرة ، ولهذا لا نخطئ إذا قلنا : إن غالب كلمة (عباد) في القرآن يُراد بها المسلمون العابدون لله كما في الآية ، والألف الممدودة في (عباد) توحى بالعزة والمنعة والرفعة ... ولهذا أطلقنا على هذه الألف ألف العزة وهذه العزة والرفعة والأنفة نلاحظها في حياة المؤمنين المطيعين لله فهم يعيشون حياتهم في الدنيا بعزة وطمأنينة ورفعة يحاربون الظلم وينفرون من الذل ، ورؤوسهم مرتفعة عزيزة لا يخفضونها إلا لله.

إذا كانت ألف (العباد) ألف العزة ، فإن ياء (العبيد) هي ياء الذلة ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ آل عمران: ١٨٢ ، وإذا كان غالباً استعمال (عباد) في القرآن للمؤمنين فإن كلمة (عبيد) في القرآن وردت وصفاً للكفار والعصاة ، فقد وردت كلمة (عبيد) خمس مرات في القرآن : ١٨٢ آل عمران ، ٥١ الأنفال ، ١٠ الحج ، ٤٦ فصلت ، ٢٩ ق وجميعها في سياق الحديث عن الكفار وتهديدهم وعقوبتهم وعذابهم في جهنم ، وعندما ننظر في هذه الآيات فإننا نخرج منها بهذه الإيحاءات واللطائف : تبين المواضع الخمسة عدل الله في إدخال الكفار النار وتنفي الظلم عن الله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فصلت: ٤٦ ، إن التعبير عن الكفار بكلمة (عبيد) يوحي بالذلة الملازمة للكفار فهم جنباء مهانون لا يشعرون بالكرامة والأنفة ، تجدهم أحرص الناس على حياة ، وتراهم يذلون أمام الظالمين. [كتاب لطائف قرآنية . صلاح الخالدي]

عباد الرحمن الذين يستحقون ثوابه وينزلهم في أعلى درجات الجنة يوم القيامة هم :.

١. الذين يمشون على الأرض هيناً في رفق وتؤدة وسكينة وتواضع دون مرح وتبختر ودون اختيال وتكبر ، وإذا خاطبهم السفهاء الجهال بما يكرهون

ردّوا عليهم ردّاً يسلمون به من الإيذاء والإثم ولم يقابلوهم بمثل ما تفوهوا به .. بل مقابلة الإساءة بالإحسان.

٢. والذين يتهجّدون في الليل بالصلاة وعبادة الواحد الأحد ، بعيدين عن الرياء في العبادة.

٣. والذين يخافون الله ويخشون عذابه ويبتهلون إليه أن يصرف عنهم العذاب لأنّ عذاب جهنم دائم ملازم للذي دخلها.

٤. والذين إذا أنفقوا لم يتجاوزوا الحد في الإنفاق ولم يضيقوا على أنفسهم وأسرهم بالبخل والشح ، بل يكون إنفاقهم وسطاً ونظير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٩ .

٥. قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ﴾ .. الآيات ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ روي عن ابن عباس ، أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا ، ورزّوا فأكثروا ، ثم أتوا محمداً ﷺ ، فقالوا : إن الذي نقول وتدعو لحسن ، ولو تخبرنا أنّ لِمَا عَمَلْنَا كَفَارَةً ؟ فنزل : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ . [صحيح مسلم- كتاب الإيمان]

وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال : سألت رسول الله ﷺ : أي الذنب عند الله أكبر ، قال : " أن تجعل لله نداً وهو خالقك " قلت : ثم أيُّ ؟ قال : " ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك " قلت : ثم أيُّ ؟ قال : " أن تزاني بحليلة جارك " قال : ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ . [صحيح البخاري- كتاب تفسير القرآن]

وعن ابن عباس قال : أتى وحشي إلى النبي ﷺ ، فقال : يا محمد أتيتك مستجيراً ، فأجرني حتى أسمع كلام الله ، فقال رسول الله ﷺ : " قد كنت أحب أن أراك على غير جوار ، فأما إذا أتيتني مستجيراً فأنت في جوارى حتى تسمع كلام الله " ، قال : فإني أشركتُ بالله ، وقتلتُ النفس التي حرم الله ، وزنيْتُ ، هل يقبل الله مني توبة ؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزل : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ إلى آخر الآية ، فتلاها عليه ، فقال : أرى شرطاً ، فلعلِّي لا أعمل صالحاً ، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ النساء: ٤٨ فدعا به فتلاها عليه ، فقال : ولعلِّي ممن لا يشاء ، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت : ﴿ قُلْ يَجَادِبُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الزمر: ٥٣ فقال : نعم الآن لا أرى شرطاً ، فأسلم . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

٦. والذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر لأنّ الشرك بالله ظلمٌ عظيم ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحقّ فلا يتعدون على حياة غيرهم ، ما لم يكن القتل قصاصاً أو خروج على إمام أو ردّة عن الإسلام أو سعي في الأرض بالفساد ، ولا يقتربون معصية الزنى ومن يفعل ذلك من هذه المعاصي الثلاث ، يلقي جزاء ما فعل عقاباً على إثمه ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه منبوذاً مطروداً ذليلاً مهاناً ... فيجتمع عليه العذاب الجسماني والروحاني ، إلا من تاب من الكفار والزناة من المعاصي بتركها وندم على فعله وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وعمل عملاً صالحاً بعد توبته ، فأولئك يمحو الله سوابق معاصيهم بالتوبة ، ويعفو عن السيئات ويثبت على الطاعات ، عن أبي ذر قال : قال لي رسول الله ﷺ : " اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة "

تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنِ " [سنن الترمذي الجامع الصحيح- كتاب البر والصلة]

٧. والذين لا يشهدون شهادة باطلة مهما كان الباعث عليها ، وإذا مرّوا بالكلام القبيح صدفة ، والفحش من القول أو سمعوا ما لا يرضون من القول أعرضوا عنه تكرماً وترفقاً.

٨. والذين إذا وُعظوا بآيات القرآن خروا سُجداً وبُكياً سامعين بآذان صاغية مبصرين بعيون واعية.

٩. والذين يسألون ربهم أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم ما تقر به عيونهم، وتشرح صدورهم بأن يوفقهم الله على طاعته وإلى التحلي بمكارم الأخلاق وحميد الصفات.

أولئك الذين وصفهم الله في هذه الآيات هم المؤمنون حقاً وهم عباد الرحمن حقاً رضي الله عنهم ورضوا عنه وهم الذين يُجزون يوم القيامة الدرجات العليا بسبب صبرهم على مشاق الطاعات والإعراض عن الشهوات ومجاهدة النفس الأمارة بالسوء ويلقون في غرف الجنان تحية وسلاماً من الملائكة وهم مخلصون في الجنة مقيمون فيها أبداً .. لا يموتون ولا يخرجون.

قل يا محمد لأهل مكة : ما يعيقه الله بكم ولا يكثرث لعبادتكم ولا يبالي لمعصيتكم فهو غني عنكم ولا وزن لكم عند ربكم ، لولا دعائكم إياه عند نزول المكروه ، واستغاثتكم به عند الشدائد ونظير هذا قوله : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي السَّمَاءِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَلَغَهُمُ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٥ ، فأنتم تدعون حينئذٍ ليكشف الضر عنكم ، وكيف يعبأ بكم وقد كذبتكم رسوله وطعنتم في القرآن الذي أنزله عليه ، وتكبرتم عن الإيمان ؟ فسوف ترون ما يحل بكم.

من وصايا لقمان

[الله واحد لا شريك له]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ لقمان: ١٢ - ١٣

لقمان الحكيم : كان لقمان رجلاً أسود من سودان مصر ذا مشافر آتاه الله الحكمة والعقل والفتنة وكان صادقاً صحيح الرأي يقضي بالصواب في المعتقدات والفقهاء والمسائل الدينية والتعبدية. وقيل إنه كان يشتغل برعي الغنم لمولاه، وقف عليه رجل يوماً وقال له : أنت لقمان؟ قال : نعم، قال الرجل : فأنت راعي الغنم الاسود؟ قال لقمان : أما سوادى فظاهر، فما الذي يعجبك من أمري؟ قال الرجل : يطفء الناس بساطك، ويابك، ورضاهم بقولك، قال لقمان : يا ابن أخي، إن صنعت ما أقول كنت كذلك، قال الرجل : ما هو؟ قال لقمان : غَضِي بصري، وكَفِي لساني، وعفة مَطْعمي، وحِفظي فَرْجِي، ووفائي بوعدي، وتكريمي ضَيْفِي، وحِفظي جاري وتركي ما لا يعنيني... فذلك صيّرني كما ترى، ومن ذلك ترى أنّ لقمان ما أوتي الذي أوتيهِ عن أهل ولا مال ولا حسب، ولكنه كان رجلاً مسكيناً، طويل التفكير، عميق النظر ومما يؤثر عنه : إنّ مولاه أمره بذبح شاة وأن يُخرج له أطيّب مضغتين فيها فأخرج له اللسان والقلب ثم أمره أن يذبح شاة أخرى وأن يُخرج له أخبث مضغتين فيها، فأخرج له اللسان والقلب، فالتفت إليه

مولاهُ متعجباً، فقال له لقمان : ليس هناك شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا شيء أخبثُ منهما إذا خبثا.

وقد نُسب إليه الكثير من المقالات الحكيمة كقوله لابنه : أي بني إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيها ناس كثيرون، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الإيمان، وشرعها التوكل على الله، لعلك تتجو ولا أراك ناجياً.

وقوله : من كان من نفسه واعظ، كان له من الله حافظ، ومن أنصف الناس من نفسه، زادهُ الله بذلك عزاً، والذل في طاعة الله أقرب من التعزز بالمعصية.

وقوله : يا بني لا تكن حُلواً فَنُبْتَلَع، ولا مُراً فَتُلْفَظ.

وقوله : يا بني إذا أردت أن تواخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه فأخيه، وإلا فأحذره.

وقيل له : أي الناس شر؟ قال الذي لا يبالي إذا رآه الناس مسيئاً، وهذه نصائحه في قول الله تعالى.

المعنى : لقد أعطى الله سبحانه وتعالى لقمان الحكمة وهي شكره وحمده على ما آتاه الله من فضله بالثناء عليه بما هو أهل له والذي ينكر فضل الله على عباده ويكفر به لا يضر إلا نفسه لأن الله غني عن شكر الشاكرين والحمد ثابت له مُعترفٌ به رغم أنف الجاحدين.

وإلّا ابن أعز مخلوق لدى الإنسان والوالد أشفق الناس على ولده لذلك نصح لقمان ولده نصحاً هو دستور حكيم لو أتبعه الولد لكان نعم الولد خلقاً وبراً وصلاً، فنهى لقمان ابنه عن الشرك رأس الخطايا وأشنع الذنوب ولذلك وصفه بأنه أقبح ظلم يظلمه الإنسان لأن فيه تسوية بين القوى القادر وبين الضعيف

العاجز، ونلاحظ حينما نادى لقمان أبنه ناداهُ: يا بنيّ وهذا لفظ فيه حنان وعطف وتعبير عمّا يكتنه الوالد لولده من حب له وشفقة عليه وهذه غريزة عجيبة أودعها الله للإنسان وجميع أنواع الحيوان لاهتمامهم بأولادهم.

روى البخاري ، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالُوا : أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ ءِيمَانَهُ بِظُلْمٍ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لابنه : ﴿ إِنَّكَ الْفَرَكُ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ " [كتاب تفسير القرآن]

* * * * *

من وصايا لقمان

[إطاعة الوالدين وبرهما]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ لقمان: ١٤ - ١٥

وصى الله الولد أن يطيع والديه في كل ما يأمران به إلا في أن يأمره أحدهما أو كلاهما أن يشرك بالله أو يرتكب كبيرة من الكبائر كالقتل بغير حق أو شرب الخمر أو يترك الفريضة كالنهي عن الصلاة أو أداء الزكاة فعليه ان لا يطيعهما في مثل هذا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وأن يردهما رداً جميلاً بالإقناع واللين ولو كانا مشركين، وعليه أن يدعوهم إلى الإسلام برفق وتلطف ... عن مُصعب بن سعدٍ ، عن أبيه (سعد بن أبي وقاص) ، قال : قالت أم سعدٍ (وهي حَمْنَةُ بنت أبي سفيان بن أمية) لسعدٍ : " أليس الله قد أمر بالبرِّ ، فوالله لا أطمع طعاماً ، ولا أشربُ شراباً حتى أموتَ أو تكفُرَ قال : فكانوا إذا أرادوا أن يُطعموها شَجَرُوا (فتحوا) فإها بعضاً ، أوجَرُوها ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ... ﴾ .

وقد ذكر الله السببَ في توصية الولد بأمه وهذا يجعل لها خصوصية تمتاز عن الأب فذكر انها حملت ألابن في بطنها وتقلّب في حياته من طور إلى طور حتى كمل خلقه وخرج من حالة الضعف الشديد إلى حياة كاملة وقد عانت الأم من ذلك ما عانت ثم يأتي طور الوضع وما يصحبه من أوجاع ثم طور التربية والإرضاع لعامين كاملين، وفي هذه المدة تتحمل الأم راضية كل ألم مهما أشد وقسا لذلك كان على الإنسان أن يشكر الله أن وضع هذه الغريزة في الأم وأن يشكر الأم والأب على ما بذلاه من جهد في تربيته وتكوينه وتوصية الله الإنسان بالوالدين جاءت معترضة بين وصايا لقمان لأبنه على سبيل الاستطراد للتتويه إن طاعة الوالدين من طاعة الله.

قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ الآية .. وهي دليل على صلة الوالدين الكافرين بما أمكن من المال إذا كانا فقيرين ، وحسن العشرة وإلانة القول والدعاء إلى الإسلام.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، قالت : قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد قريش ، فقالت : يا رسول الله إن أمي قدمت عليّ وهي راغبة أفأصلها ؟ قال : " نعم صليها " [صحيح البخاري- كتاب الجزية]



من وصايا لقمان

[إقامة الصلاة مع أوامر أخرى]

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ لقمان: ١٦ - ١٩

قال لقمان لأبنه : إن كل شيء مهما كان دقيقاً أو صغيراً أو مهما أستخفى في جوف صخرة أو في أرض أو في سماء، لابد أن الله يعلمه، فهو سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء لذلك كان كل عمل يعمله الإنسان خيراً أو شراً يعلمه الله ويجازي عليه.

وأمر لقمان أبنه ونهاه : أمره بأممات الطاعات وهي إقامة الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والأمر بالمعروف والبعد عن المنكر والاعتدال في المشي وخفض الصوت حتى لا يكون كأقبح أنواع الحيوانات صوتاً، والصبر عند الشدائد والمصائب .. وهي تجمع مسائل الإيمان كلها.

ونهاه عن التكبر وأول مظهر من مظاهر التكبر هو تصعير الخد، بل أقبل على من تكلمه بوجهك متهللاً مستبشراً من غير كبر ولا عتو، ومن هذا ما رواه البخاري ومسلم ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تَبَاغَضُوا ، ولا تَحَاسَدُوا ، ولا تَدَابَرُوا ، وكونوا عبادَ الله إخواناً ، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوقَ ثلاثةِ أيامٍ " [وهذا لفظ البخاري- كتاب الأدب]

ولا تمش في الأرض متبختراً منكبراً مشية المختال ، وهذه الصفات يكرهها الله سبحانه وتعالى ويكره من يتصف بها.



مفاتيح الغيب خمس

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ لقمان: ٣٤

عن مجاهد ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ قَالَ : " جَاءَ رَجُلٌ ، قَالَ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : أَحْسِبُهُ أَنَا قَالَ : إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : إِنْ امْرَأَتِي حُبَلِي ، فَأَخْبِرْنِي مَاذَا تَلِدُ ؟ وَبِلَادُنَا مَحَلٌّ جَدْبَةٌ ، فَأَخْبِرْنِي مَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ ؟ وَقَدْ عَلِمْتُ مَتَى وُلِدْتُ ، فَأَخْبِرْنِي مَتَى أَمُوتُ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، قَالَ : فَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ : " هُنَّ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ، وَقَدْ اشْتَمَلَتِ الْآيَةُ عَلَى الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي أَخْتَصَّ بِهَا اللَّهُ ، فَلَمْ يُطَلَعْ عَلَيْهَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ ، لَا مَلَكًا وَلَا نَبِيًّا مَرْسَلًا وَهَذِهِ الْأُمُورُ الْخَمْسَةُ هِيَ :

١. علم الساعة / ويراد به الوقت الذي تقوم فيه القيامة فإنَّ هذا أَخْتَصَّ اللَّهُ بِهِ : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ، وَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ "

[كتاب الإيمان]

٢. إنزال المطر / قد وصل العلم الحديث إلى معرفة الأوقات التي يسقط فيها المطر ويكاد يحددها ، والأماكن التي يسقط فيها ويمكن أن يحدد الكميات التي يسقط هنا .. وهناك .. فما المراد إذن (بأن الله ينزل الغيث) ؟
 الغيث : المطر الذي يغيث الناس ويرد لهثتهم فيحيي أرضهم ويسقي حيواناتهم ويطفئ ظمأهم وقد ينزل المطر فلا يكون غيثاً ولكنه يكون غيثاً يفسد، بأن يكون سيولاً تجتاح الأخضر واليابس وتغطي العامر والغامر وتغرق الحي والميت وتهدم الدور والقصور فلا تبقي ولا تذر والمطر ينزل بتقدير من الله تعالى وإرادته وعلمه ينزل من السحاب والسحاب يتكون من البخار والبخار يخرج من ماء البحار تبخره أشعة الشمس ويحمله الهواء وتسوقه الرياح وبرودة الجو تكثفه ويسقط المطر وهذه الأمور كلها بعلم من الله لا يطلع عليه أحد.

٣. وعلم ما في الأرحام فهو يعلم كل ما يلاقيه الجنين من تطوراته الأولى ومراحل نموه وما سيأتي بعد ذلك في الدنيا من سعادة أو شقاء ومن صحة أو مرض ومن راحة أو تعب وعلم الله فوق علم الناس فقد يعرف الطبيب عن طريق التصوير ذكر أو أنثى ولكن الواقع يكذبه في أشياء فليس ذلك من علم الغيب.

٤. معرفة المستقبل / لا يعرف الإنسان ما يجري عليه بعد لحظة مهما بلغ من العلم ومن الرقي ومن النضج العقلي، فإن الله يعلم الغيب وحده.

٥. مكان الموت / من أفضل النعم على الإنسان انه لا يعرف الوقت الذي يموت فيه أو مكان موته ولو علموا لألقى الرعب في قلوبهم ولأنصرفوا عن عمارة الدنيا وقد أراد الله أن تعمّر فأختص الله بعلم الوقت الذي تموت

فيه كل نفس والمكان الذي يقع فيه الموت فإذا أدركه الأجل في غير الأرض التي سبق علم الله بأنه سيموت فيها ساقه الله إلى تلك الأرض لأي سبب من الأسباب وهناك يموت كما قدر الله تعالى له.

فهذه الأمور الخمسة قد اختص بها الله تعالى بها نفسه ، وروى البخاري عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال النبي ﷺ : " مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ " [صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن]

* * * * *

أُولُوا الْعِزْمَ مِنَ الرِّسْلِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْأَلَ
الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ الأحزاب: ٧ - ٨

أخبر الله تعالى في هذه الآيات عن ميثاق النبيين بتبليغ الرسالة الإلهية ،
والمعنى : اذكر أيها الرسول إننا أخذنا العهد المؤكد على جميع الأنبياء وبخاصة
أولوا العزم منهم ، وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة
والسلام. أنهم يبلِّغون رسالة ربهم إلى أقوامهم وتخصيص هؤلاء الأنبياء الخمسة
بالذكر للتشريف والتعظيم لأنهم أصحاب الكتب والشرائع والحروب الفاصلة من
أجل التوحيد ، وقدّم الله في الآية ذكر محمد ﷺ على الرغم من تأخر زمانه
تشريفاً خاصاً له أيضاً.

روى ابن جرير الطبري ، عن قتادة ، قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ
وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ قال : وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول : " كنتُ أول الأنبياء
في الخلق وآخرهم في البعث " ... وكرر الله في الآية أخذ الميثاق لمكانته ،
ووصف الميثاق بأنه غليظ أي شديد إشعار بحرمة هذا الميثاق وقوته.

وأخذ الله تعالى الميثاق من الأنبياء والرسل ليسأل يوم القيامة هؤلاء الأنبياء
الذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه أنهم بلّغوا رسالات ربهم ويسألهم عما أجاب به

قومهم ، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ المائدة : ١٠٩ ، وأعددنا للكافرين عذاباً أليماً موجعاً.

وخصّ الله تعالى هؤلاء الخمسة بالذكر تفضيلاً كقوله تعالى : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ البقرة: ٢٥٣ ، ولأنهم أولوا عزم وأرياب شرائع قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الشورى: ١٣ ... فالفرقة التي أجابت بأنها صدقت الله في إيمانها وجميع أفعالها فيثيبها الله على ذلك ، وفرقة كفرت فلها ما أعدّ الله من العذاب الأليم ليتميز الصادقون وليعرف الكافرون الجاحدون.

اللهم اجعلنا من الصادقين في أقوالنا وأفعالنا لننال رضاك والجنة



البعث والنشور

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسَبِّحْنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ يس: ٧٧ - ٨٣

قال الله تعالى ألم يعلم كل إنسان إننا بدأنا خلقه من ماء مهين يحمل نطفة صغيرة في غاية الضعف ثم جعلناه إنساناً كاملاً فتراه يجادل بالباطل وهو ناطق فصيح ذو عقل قوي، إن شأن هذا المخلوق أن يشكر النعمة ويتعرف على خالقه وأن لا يجادل بالباطل ويشك في قدرة الله تعالى.

عن ابن عباس ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾... إلى قوله : ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قال : جاء عبد الله بن أبي إلى النبي ﷺ بعظم حائل فكسره بيده، ثم قال : يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم ؟ فقال رسول الله ﷺ : " يبعث الله هذا ، ويميتك ثم يدخلك جهنم " ، فقال الله : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

والمعنى لقد أورد هذا الكافر في شأننا قصة عجيبة في نفي قدرة الله تعالى على إحياء الموتى ونسي أن الله خلقه من نطفة وخلق أباه آدم من تراب وأودع في هذا الخلق الحياة والإدراك والعقل.

قل يا محمد لهؤلاء المعاندين : إن الله يحيي العظام التي أنشأها أول مرة وهو عليم بكل مخلوق وهو الذي خلق لكم من المَرْخِ والعَفَّارِ الأخضر ناراً، والمَرْخِ والعَفَّارِ : شجرتان يقدر منها النار بأن يسوي من أغصانها الزناد فيقتدح بهما وزنادهما أسرع الزناد وزياً، أما المَرْخُ فهو شجرٌ يتفرع ويطول ويُستظل بظله وأما العَفَّارُ فهو شجر خوار جيد للزناد، والزندان : غصنان مثل السواكين يؤخذان وهما يقطران ماء فيحك أحدهما بالآخر فيخرج منهما النار. ومن قدر على إخراج النار من الشجر الأخضر مع وجود الماء المصاد للنار قادر بلا شك على إعادة الغضاضة فيما كان غَضاً فيبس ويبلى. أوليس الذي خلق السموات والأرض مع كبر حجمهما ودقة صنعهما وعظم شأنهما بقادر على ان يخلق مثل هؤلاء المعاندين الجاحدين ويعيدهم إلى الحياة بعد الموت مع حقارة شأنهم بالنسبة لخلق السموات والأرض؟ قال تعالى في سورة غافر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ : ٥٧ إن الله قادر على كل شيء لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء.

إن الله إذا تعلقت إرادته بخلق شيء نفذت إرادته قولاً وفي هذا رد على من ضربوا الله الأمثال وقوله (كن فيكون) تمثيل لتأثير قدرة الله في مراده، وحددت ما يأمر به فوراً من غير تريث أو علاج أو توقف أو أفنتار إلى مزاوله أو الاحتياج إلى استعمال آلة.

وإذا كان الأمر كذلك فنزها الله يا كفار قريش عن كل ما لا يليق به فهو مالك الملك وهو القاهر فوق عباده واليه وحده مصيركم يوم القيامة.

صَلْحُ الْحَدِيثِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ الفتح: ١ - ٥

أخرج الحاكم وغيره، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحاکم قال: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديدية من أولها إلى آخرها.

وأخرج الشيخان والترمذي والحاكم، عن أنس قال: أنزلت على النبي

ﷺ: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ۗ مَرْجِعُهُ مِنَ الْحَدِيثِيَّةِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "

لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض" ، ثم قرأها عليهم فقالوا: هنيئاً

مريئاً لك يا رسول الله، قد بين الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا، فنزلت:

﴿ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ ﴾ حتى بلغ: ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ۗ ﴾ . [الباب النقول في أسباب النقول

للسيوطي]

انتشر الإسلام في السنوات الست الأولى بعد الهجرة ، وولّى المسلمون وجهَهُم نحو الكعبة في أثناء صلاتهم وكان العرب على اختلاف قبائلهم يحجّون إلى البيت، وإذا دخلت الأشهر الحُرْمُ فكل من دخل الكعبة في الأشهر الحرم دخلها آمناً على نفسه وماله.

ولم تسمح قريش للمسلمين أن يحجّوا إلى الكعبة ، ولكن النبي ﷺ رأى في منامه أنهم سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين، محلّقين رؤوسهم ومقصرين، لا يخافون، فأستنفر الصحابة للعمرة وتهيئوا في شهر ذي القعدة لا يريدون حرباً والهدى معهم .. وكانوا نحو أربعمئة وألف، بلغ أهل مكة خروج محمد فخافوا وفرعوا وأرسلوا إلى فرسانهم، وأستنفروا الأحباش معهم ورسدوا على الجبال عشرة أرصدة متباعدة يوحي بعضهم إلى بعض بالصوت عمّا يرونه من محمد وأصحابه ويتناقلون الأخبار.

وعندما عَلِمَ محمد أنّ قريشاً استعدت لقتاله، إستشار أصحابه فيما يفعل؟ فأشاروا عليه أن يقاتل ، فقال : إنّنا لم نخرج لقتال أحد وسار المسلمون حتى نزلوا بالحديبية، سميت هذه المنطقة باسم بئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع الرسول تحتها، وقد وقفت في وجه النبي ﷺ قريش ومن معها، وتواصوا أن لا يدخل مكة وأصحابه هذا العام، ثم جرى النقاش بينهم وقد أرسل النبي إلى قريش عثمان بن عفان ؓ فذهب إليهم وأعلمهم أنهم لم يأتوا لقتال أحد وإنما جاءوا زيارة للبيت معظمين حرمة ومعهم الهدى لينحروه وينصرفوا، فلم ترضَ قريش ذلك وقد أعلن محمد ﷺ في المسلمين البيعة فأقبل الناس يبائعونه على الموت لا على الجهاد وحده ، وهي بيعة (الرضوان) التي نزل فيها قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ الفتح: ١٨ .

عن عبادة بن الصامت ، قال : " بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا نُنَازِعَ الأمرَ أهله ، وعلى أن نقولَ بالحقِ أينما كنا ، لا نخافُ في الله لومةَ لائمٍ " [صحيح مسلم - كتاب الإمامة] ، وفي رواية أخرى لمسلم قال : " إلا أن تَرَوَا كُفْرًا بَوَاحًا (ظاهراً معلناً جهاراً) عندكم من الله فيه برهانٌ " علمت قريش ذلك فبعثت إلى محمد وفداً على رأسه سهيل بن عمرو لمفاوضته فلما وصل الوفد قال سهيل: يا محمد إنَّ هذا الذي كان من حبس أصحابك ، وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأينا بل كنا كارهين وكان من سفهائنا ، فأبعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت وكانوا نحو خمسين رجلاً ، فقال الرسول : أرسلوا عثمان بن عفان ومع العشرة الذين أسرتموهم عند إرسالهم إليكم. ففعلوا وأرسل الرسول أصحابهم إليهم الذين أسروا.

وكانت المبايعة تحت شجرة خضراء وقد نادى عمر بن الخطاب ان روح القدس قد نزل على رسول الله وأمره بالبيعة فأخرجوا على اسم الله فبايعوا. فلما رأى سهيل ومن معه ذلك ومسارعة الناس للبيعة أشدَّت رغبتهم في الصلح.

رجع وفد قريش وعلى رأسه سهيل وأخبروا بما رأوا من تحمس المسلمين للبيعة وميلهم إلى الحرب وفرحهم ببيع نفوسهم وأرواحهم لله ولرسول الله. فأشار أهل الرأي منهم بالصلح على أن يرجع محمد ومن معه في عامهم هذا ويقيموا ثلاثاً وأعادوا وفد سهيل ليفاوض محمداً فلما رآه رسول الله ﷺ قال : أراد القوم الصلح، ودار الحديث بين محمد وسهيل وجدَّت المنافسة وارتفعت الأصوات وكان النبي جالساً مترعباً فوافق على الصلح وأسلم في فترة الهدنة أكثر من أسلم من بدء الدعوة إلى يوم الحديبية وما كان في الإسلام فتح أعظم من الحديبية. وبعد أن أتفق النبي على شروط الصلح دعا رسول الله علياً وقال : أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل : لا أعرف الرحمن الرحيم، أكتب ما نكتب: بأسمك

اللهم، فقال رسول الله ﷺ : أكتب بأسمك اللهم وأكتب محمد بن عبد الله، لأنه لم يرض سهيلاً أن يكتب محمد رسول الله، وكان من شروطه : أن محمداً يرجع عامه هذا بأصحابه، ويعود في العام التالي، ويدخل مكة معتمراً، ويقوم ثلاثاً ولما أنتهوا أمر النبي أصحابه أن ينحروا ويحلقوا وأنصرف رسول الله من الحديبية ونزل عليه وهو في طريقه إلى المدينة : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا...إلى آخر سورة الفتح ﴾ .

* * * * *

محمد رسول الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ الفتح: ٢٩

محمد رسول الله، أرسل إلى الناس كافة والذين آمنوا لهم صفات خاصة، وُصفوا بشيء منها في التوراة وبشيء منها في الإنجيل فوُصفوا في التوراة بأنهم غلاظ شداد، قساة على الكفار الذين لم يدخلوا في الإسلام، وبأنهم بين بعضهم وبعض متوادون متعاطفون متراحمون، يكثرون العبادة، لا يملونها في ليل ونهار يطلبون من الله ان يرضى عنهم ويغفر لهم ذنوبهم، ويدخلهم الجنة في الآخرة، وهؤلاء المؤمنون لكثرة عبادتهم ترى علامات الإشراق والتقوى والصلاح ظاهرة في وجوههم فهم أهل خشوع وتواضع ووقار وعزة، أما صفتهم في الإنجيل إن مثلهم كمثل الزرع ينبت أولاً ضعيفاً ثم تنفجر منه وتنمو حوله فروع كثيرة فيتقوى بها ويظهر ويستقيم وتعتدل سوقه ويظهر ثمره فيفرح به زراعه ويسر له ويضيق به عدوه.

أما الزرع الأول : فهو محمد بدأ رسالته وحيداً ضعيفاً ولم يلبث أن آمن به الناس واحداً بعد واحد حتى كثروا فقوي بهم وأعتز بكثرتهم وأعلن دعوتهم، وصبر على أذى أعدائه وزاد نماؤه حتى ملأ الأسماع وعمّ البقاع، والشطء : أصحابه الذين آمنوا تلبية لدعوته وأستمروا على العمل الصالح كانوا قليلاً فكثروا وكانوا ضعفاء فقووا، فعل الله هذا لمحمد ﷺ وأصحابه ليغيظ بهم الكفار وقد وعدهم الله أن يغفر لهم ذنوبهم ويدخلهم جناته يوم القيامة.

* * * * *

فض النزاع

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ٩ - ١٠

أخرج الشيخان عن أنسٍ رضي الله عنه ، قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : لو أتيت عبد الله بن أبي ، " فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حماراً ، فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرضٌ سبخةٌ (السبخة : الأرض التي تلوها الملوحة) " ، فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إليك عني ، والله لقد أذاني نتنٌ حمارك ، فقال رجلٌ من الأنصارٍ منهم : والله لحمارٌ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أطيبُ ريحاً منك ، فعَظِبَ لعبدِ اللهِ رجلٌ من قومه ، فشنمتهُ ، فعَظِبَ لكلٍ واحدٍ منهما أصحابُهُ ، فكان بينهما ضربٌ بالجريدِ والأيدي والنعالِ ، فبلغنا أنها أنزلت : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [وهذا لفظ البخاري- كتاب الصلح].

إذا وقع خصام بين طائفتين من المسلمين لأي سبب من الأسباب، فإن الواجب يقضي بأن يتدخلوا بينهما بالصلح، بما يقتضيه كتاب الله وسنن رسوله، فإن رفضت إحدى الطائفتين الصلح وأستمرت في المخاصمة بغير حق وجب على المسلمين أن ينظّموا إلى الطائفة التي قبلت التحكيم والرجوع إلى كتاب الله

وسنة رسوله وأن يقاتلوا الطائفة الباغية المعتدية، حتى تعود إلى رشدها وترجع إلى ما يحكم به من الكتاب والسنة وهذا يكون بالعدل من غير تحيز إلى طائفة دون أخرى ويؤكد الله سبحانه وتعالى انه يحب العادلين ويرضى عنهم ويجزيهم أحسن الجزاء. ويؤكد الله سبحانه وتعالى أن المؤمنين إخوة في الدين والحرمة هي أقوى من أخوة النسب فالمسلم أخو المسلم، ويجب على الإخوة ألا يسكتوا على خصام وقع بين المسلمين، بل يجب عليهم أن يسارعوا إلى المتنازعين ويصلحوا بينهم، مراعين في ذلك العدل والحق وأتقاء الله رجاء أن يجزيهم على توسطهم في الله ويبسط عليهم بسبب رحمته تعالى.



حال المتقين ونعيمهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآءَ أَنْهَامِ رَبِّهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
 قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا اسْحَارَهُمْ وَسْتَغْفِرُونَ
 ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي
 أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ الذاريات: ١٥ - ٢٣

إنَّ الذين أتقوا ربهم بالالتزام بأوامره وأجتناب نواهيه باتقاء الكفر والمعاصي هم في الآخرة في جنات فيها ألعيون جارية آخذين في دنياهم ما آتاهم ربهم من أوامره ونواهيه وفرائضه وشرعه.

إنهم كانوا في الدنيا محسنين في أعمالهم الصالحة يراقبون الله تعالى فيها كما جاء في آيات أخرى :

قال تعالى : ﴿كُؤُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ الحاقة: ٢٤

ومن إحسانهم في العمل أنهم كانوا ينامون قليلاً من الليل، ويصلون الله سبحانه وتعالى كثيراً أي إن نومهم كان قليلاً لأشغالهم بالصلاة والعبادة كل ليلة، وكانوا في الجزء الأخير من الليل يطلبون من الله تعالى المغفرة، وجعلوا في أموالهم جزءاً مقسوماً معيناً للفقراء والمحتاجين على سبيل البر والصلة.

والسائل : هو الفقير الذي يسأل الناس.

والمحروم : هو الذي حُرِمَ أَلْمَالِ وَيَتَعَفَّفُ عَنِ السُّؤَالِ... أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ ،
عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً ،
فَعَنِمُوا ، فَجَاءَ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ الْغَنِيمَةَ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ
وَالْمَحْرُومِ ﴾

ثم ذكر الله تعالى بعض الأدلة على قدرته فقال : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِّمُؤْمِنِينَ ﴾ أي وفي معالم الأرض من جبال ووديان وقفار ومعادن وعيون وأنهار
وبحار وأنواع مختلفة من النباتات والحيوان والناس مع اختلاف ألسنتهم وألوانهم
وقدراتهم الفكرية والجسدية وغير ذلك من عجائب الصنع الإلهي. في ذلك دلائل
واضحة وعلامات ظاهرة على عظمة الخالق وقدرته الباهرة للذين يوقنون بالله
تعالى لأنهم الذين يعترفون بذلك ويتدبرون فيه وفي أدلة قدرة الله تعالى وتوحيده.
خلق النفوس البشرية أفلا تنتظرون إلى الإنسان نظرة تأمل بعين البصيرة ففي
تركيب الجسم بأجهزته المختلفة من جهاز هضم ودم وتنفس وإحساس في
الأعصاب ولمس وذوق وفي تركيب الدماغ وما يشتمل عليه الخلايا ... في ذلك
دلالة على الخالق المبدع.

والله ضامن الرزق لعباده .. ففي السماء تقدير الأرزاق وتعيينها وفيها ما
توعدون من خير وشر وجنة ونار وثواب وعقاب، وفيها السحاب والمطر
وفيها عوامل الرزق من شمس وقمر وكواكب تختلف باختلاف الفصول ويكون
تغييرها مناسب لأنواع الرياح وتغذيها الشمس بحرارتها ويمنحها ضوء القمر قوةً
ونمواً.

ثم أقسم الله تعالى على البعث وضمان الرزق فقال : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَّا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴾ أي فورب العزة والجلال إن ما أخبرتكم به في هذه
الآيات وما وعدتكم به من أمر القيامة والبعث والجزاء وتيسير الرزق وضمانه حق
لا مريية فيه كائنٌ لا محالة.

شبهه الله تعالى هذا القول والخبر بالنطق من الإنسان وهو في غاية
الوضوح. ولا لبس فيه خلافاً للرؤية والسمع قد يقع فيهما اللبس.

* * * * *

إثبات التوحيد وقدره الله تعالى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَمُرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ الذاريات: ٤٧ - ٥١

أورد الله سبحانه وتعالى أدلة قاطعة على توحيده وقدرته، وأنذر المشركين المعاندين في بطاح مكة وما حولها من عبدة الأصنام. حتى لا ينالهم مثل عذاب مَنْ تقدمهم، فإذا أراد الإنسان النجاة إلى الخير فليس عليه إلا الإقرار بوحداية الله ووحداية ذاته ووجوده وعبادته وحده.

لقد بنينا السماء بقوة ومقدرة وإنما لذو قوة على سعتها وخلقها وخلق غيرها فنحن قادرون على ذلك ولا نعجز ولا يمسننا نصب فقوله (لموسعون) أي : نوسع الأشياء قدرة وقوة. والأرض مهّناها كالفراش لصلاحية العيش عليها والاستقرار وهذا إشارة إلى المتضادات والمتقابلات من الأشياء كالليل والنهار. والشقاوة والسعادة، والهدى والضلال ، والسماء والأرض، والسواد والبياض، والصحة والمرض والكفر والإيمان ونحو ذلك وهذه أدلة على القدرة الإلهية التي توجد الضدين بخلاف ما يفعل بطبعه فعلاً واحداً كالتسخين والتبريد، خلقنا هذه الأصناف المتلازمة على هذا النحو لتعلموا وتذكروا أنّ الخالق واحد لا شريك له.

فالجئوا إلى الله بالدخول في الإيمان وطاعة الله ﷻ فإني لكم منذرٌ ومخوفٌ من عذابه وعقابه. ولا تشركوا مع الله إلهاً آخر سواه. فإنه الإله المعبود وهو واحد ولا تصلح العبادة لغيره. وعبر الله تعالى عن الأمر بالإيمان والطاعة بلفظ (الفرار) لينبّه على أنّ وراء الناس عقاباً وعذاباً وأمرأً حقّه أن يفِرّ منه، فجمعت لفظة (فرّوا) بين التحذير والاستدعاء (فرّوا من العذاب إلى الإيمان بالله). ثم نهى الله سبحانه وتعالى عن عبادة الأصنام أو الشياطين وكل معبود من دون الله تعالى. وفائدة تكرار قوله تعالى ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ لإبلاغ وهز النفس وتحكيم التحذير.



إن عذاب ربك لواقع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالطُّورِ ١ ﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿ ٢ ﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿ ٣ ﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿ ٤ ﴾
 وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿ ٥ ﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿ ٦ ﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿ ٧ ﴾ مَا لَهُ مِنْ
 دَافِعٍ ﴿ ٨ ﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَورًا ﴿ ٩ ﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿ ١٠ ﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿ ١١ ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿ ١٢ ﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ
 دَعَا ﴿ ١٣ ﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿ ١٤ ﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا
 تُبْصِرُونَ ﴿ ١٥ ﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا
 كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ ١٦ ﴾ الطور: ١ - ١٦

- أقسم الله تعالى بخمسة أشياء تدلّ على قدرة الله تعالى وربوبيته ووحدانيته:
- ١- أقسم بالطور وهو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى عليه السلام تشريفاً له وتكريماً.
 - ٢- أقسم بالقرآن العظيم الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وآله فيه آيات بينات وهدى للمتقين.

٣- وأقسم بالبيت المعمور الذي جعله الله مثابة للناس وأماناً تحجّ إليه الناس من كل فجٍّ عميق.

٤- أقسم الله بالسماء وهي السقف المرفوع بقدرته وعظمتها الممسك بقوته من الزوال.

٥- أقسم بالبحر المملوء المحبوس من أن يفيض ويطغي على الأرض فيغرقها، فموجُهُ الذي يعلو كالجبال يأتي إلى الشاطئ فيتكسر ويتراجع.

ولا سيما أنّ السماء والبحر آيتان من أعظم آيات الله. فالسماء في سعتها وسمكها وحركة كواكبها وشروقها وغروبها وتعاقب الليل والنهار والنور والظلام والسنون والشهور والأيام والصيف والشتاء والربيع والخريف، والبحر في عظمه وبعد أقطاره وارتفاع أمواجه تارةً واستواء صفحته تارةً أخرى يحمل على ظهره المواخر والفلك وتعيش في جوفه الأحياء المائية المختلفة والأصداف والمعادن واللؤلؤ والمرجان يتحدثان في صمت عميق من قدرة الله.

أقسم الله سبحانه بهذه الأشياء الخمسة العظيمة على أن المعاد والجزاء والحساب والعذاب الذي أنذر به الخلق لواقع لا محالة لا دافع لوقوعه ولا مانع من مجيئه ووجوده.

ويكون الحساب والجزاء والعذاب الذي توعد به الله سبحانه الكفار يومَ يأمر الساعة أن تقوم، فتضطرب الكواكب اضطراباً وتتحرك من غير أنتظام ويذهب التجاذب بينها ويختل نظام دورانها فنتصادم وتتساقط.

والجبال تتشقق وتقع وتفقد ثباتها ورسوخها وأترانها، والويل والعذاب في هذا اليوم للمشركين، الذين كانوا يجعلون مع الله إلهاً آخر ويكذبون بيوم الدين ويقولون : إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما نحن

مبعوثين؁ وكانوا يخوضون بالباطل خوضاً وليس لهم حجة أو برهان ويتشاغلون عن النظر والتأمل لمعرفة الله تعالى بآثار صنعه وإبداع خلقه.

الويل لهم يوم يُساقون إلى جهنم سوقاً ويُدفعون إليها دفعاً مقيدة أرجلهم مغلولَةً أيديهم ويقال لهم : هذه النار التي كنتم تخبرون بها في الدنيا فتكذبونها وتسخرون من محمد ﷺ حيث قلتم : أنّ القرآن هو السحر الذي جاء به محمد؁ فهل هذا سحر أم ماذا تفترون؟ وهل هذه النار التي ترونها سحر؟ إنما سكرت أبصاركم بل أنتم قوم مسحورون.

ذوقوا عذاب النار؁ إنّ عدل الله قائم وأمره مبرم وهذه النار جزاؤكم وأعلموا أنّ الله لم يظلمكم بذلك وإنما هي نفوسكم القبيحة وعقيدتكم الفاسدة هي التي صيرتكم إلى هذا المصير.



فرحة المؤمنين

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهُمْ
 رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى
 سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ
 أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ ﴿٢١﴾
 وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيهَا كَهَمِهِمْ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴿٢٣﴾
 وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ
 ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَرَّبَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَفْنَا عَذَابَ
 السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

الطور: ١٧ - ٢٨

المتقين هم أرباب الاعتقادات الصحيحة والأعمال الصالحة أعد الله لهم في الآخرة مساكن طيبة وراحة القلب ويعيشون في جنات وحدائق ولهم طعام وشراب ينعمون بها متمتعين متلذذين شاكرين، وقد وقاهم الله عذاب الجحيم.

كلوا وأشربوا هنيئاً طعام وشراب لا أنقطاع فيه ولا تنغيص ولم يجعل الله نعيم الجنة مقصوراً على الطعام والشراب بل وصف مجالسهم فهم يجلسون متقابلين جلوساً في راحة وأستقرار يجد كل منهم في وجه أخيه نضرة النعيم وبهجة القلب وبشاشة الوجه وقرّة العين وقد قرن إليهم الله الحور العين من نساء الجنة يؤنسهم ويسرون قلوبهم.

ومن تمام نعمة الله على المتقين في الجنة أنه يجمع بهم في النعيم ذريتهم المؤمنين إكراماً لهم وتحقيقاً لفضل الله تعالى عليهم ويمتعهم جميعاً بنعيم تام فلا ينقص من نعيم الآباء شيئاً مما تفضل به على الأبناء بل يرفع الأبناء إلى درجة الآباء تفضلاً منه على عباده وبراً بأوليائه ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنه قال : " إن الله تبارك وتعالى ليرفعُ ذريةَ المؤمنِ في درجتهِ ، وإن كانوا دونهُ في العملِ ، ليُقَرَّ بهم عينهُ " ، ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا لَنَنْهَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ، لأن الله يعطي من فضله ولا ينقص شيئاً من ثواب عبده كل أمرٍ مُرْتَهِنٌ بعمله مأخوذ وحدهُ فلا ينقص من ثواب عمله شيئاً وأما الزيادة فتفضل من الله تعالى.

ولم يجعل الله الطعام لأهل الجنة ثابتاً في ألوانه ومقاديره ومذاقه وإنما زيدهم وقتاً بعد وقت بما تشتهيهِ نفوسهم من أنواع اللحم والفاكهة وإن لم يطلبوه وإنما يحيطه برغباتهم وما تشتهيهِ أنفسهم ويتناولون كؤوس الشراب فيشرب أحدهم ويتناول أصحابه ليتم بذلك فرحهم وسرورهم بالشراب الخاص المنزه عن آفات اللغو والإثم فلا يكون منه من شراب الدنيا من هراء القول والسباب والتخاصم والهجر والفحش والعريضة والإثم والبغي فهم يتعاطونها ويتكلمون بأحسن الكلام ويفعلون الفعل الحميد.

ثم وصف الله تعالى القائمين على خدمة المتقين في الجنة بأنهم غلمانٌ صِغارُ ألسن، صِباحُ ألوجوه، كاللؤلؤ أَلصافي المصون في أصدافه لم تلمسه يد، ولم يقع عليه غبار.

وذكر سبحانه ما يكون بين أهل الجنة من حديث فيسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله وما أستحق من نعيم الله ورضوانه فتكون إجابتهم : إننا كنا في الدنيا بين أهلنا وأولادنا خائفين مشفقين من عذاب الله في الآخرة، قائمين بطاعته

متقين معصيته فأوصلنا ذلك الخوف والإشفاق إلى أن من الله علينا بالرحمة والتوفيق للهدى والحقّ.

فوقانا عذاب النار التي تنفذ في المسام نفوذ الريح والسّموم. والشقيّ الذي كان في أهله مسروراً وظنّ أن لنّ يَحوّر ويرجع إلى الحياة والحساب بعد الموت فهذا كان مسروراً مع الإساءة. وكنا مشفقين وخائفين مع الطاعة والإحسان فبدّل لنا الله بالإشفاق أمناً وبدّل الأشقياء بسرورهم عذاباً وخوفاً، كنا نعبد الله حقّ العبادة ونسأله السلامة والوقاية من العذاب فشمّلنا إحسانه ولطفه وكرمه ورحمته لأنه هو ألبرّ المحسن المتفضل، الكثير الرحمة، الذي إذا عبِدَ أثاب وإذا سُئِلَ أجاب.



إثبات ظاهرة الوحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾

﴿ ۝٤ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٥ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٦ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٧ وَهُوَ

بِالْأَفْقِ الْأَعْلَىٰ ۝٨ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٩ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝١٠ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ

عَبْدِهِ ۝١١ مَا أَوْحَىٰ ۝١٢ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١٣ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٤

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٥ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٦ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٧ إِذْ

يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٨ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٩ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ

الْكَوْبَىٰ ﴿ ١٨﴾ النجم: ١ - ١٨

تميّزت سورة النجم المكية بالإجماع بأنها أول سورة أعلن بها رسول الله ﷺ وجهه بقراءتها في الحرم والمشركون من قريش يستمعون ، قالوا: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقرنناه وأصحابه ، فإنه لا يذكر أحداً ممن خالف دينه من اليهود ، والنصارى بمثل الذي يذكر به آلهتنا من الشتم والشر ، فلما أنزل الله ﷻ السورة التي يذكر فيها : ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾ ، وقرأ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١١ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝١٢﴾ ، ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر الطواغيت فقال : " وإنهن لمن الغرائيق العلى ، وإن شفاعتهن لثرتجى " ، وذلك من سجع الشيطان وفتنته ،

فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك ، وذلت بها ألسنتهم واستبشروا بها ، وقالوا : إن محمداً ﷺ قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة التي فيها النجم ، سجد وسجد معه كل من حضر من مسلم ومشرك ، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلاً كبيراً فرفع على كفه تراباً فسجد عليه . [المعجم الكبير للطبراني]

ورد في صفوة التفسير : ((أما قصة الغرائيق التي أولع بذكرها بعض المفسرين فهي باطلة مردودة ، وهي أن الرسول ﷺ قرأ سورة : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ بمحضر من المشركين والمسلمين فلما بلغ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴾ وَمَنْزُةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿ ٢٠ ﴾ ألقى الشيطان على لسانه : " تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى " ففرح بذلك المشركون ولما انتهى من السورة سجد وسجد معه المشركون الخ ، قال ابن العربي : إن جميع ما ورد في هذه القصة باطل لا أصل له ، وقال ابن اسحاق : هي من وضع الزنادقة ، وقال البيهقي : رواها مطعون فيهم ، وقال ابن كثير : ذكر كثير من المفسرين قصة الغرائيق وهي روايات مراسلات ومنقطعات لا تصح ، وقال القاضي عياض : هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه أحد بسند متصل سليم ... أقول مما يدل على بطلان القصة قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿ ٣ ﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿ ٤ ﴾ النجم : ٣ - ٤ ، فكيف نطق المعصوم بمثل هذا الذي يزعمونه ! سبحانك هذا بهتان عظيم)) انتهى

أقسم الله تعالى في مطلع هذه السورة بالنجم تشريفاً له ولإثبات ظاهرة الوحي على قلب النبي ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل ﷺ الذي رآه النبي ﷺ على صورته الحقيقية مرة أخرى وذلك في السماء بعد رؤيته في الأرض .

أقسم الله تعالى بالنجم إذا مال للغروب تشريفاً له حتى يؤول ذلك معرفة الله تبارك وتعالى مثل قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ﴿ الواقعة : ٧٥ والمقسم عليه

وهو الوحي حق ثابت فما عدل النبي ﷺ عن طريق الحق إلى الباطل وما جهل بما أوحى إليه، والضلال : هو الذي يكون بغير قصد من الإنسان . والغى : ما نتكسبه ونريده

وما يقول هذا النبي قولاً عن هوى وغرض إنَّ كلَّ ما ينطق به هو وحيُّ أوحاه الله إليه ويبلغ جميع وحي الله من غير زيادة ولا نقصان والمراد بالوحي : القرآن، ومعلم القرآن الناقل عن رب العزة هو جبريل عليه السلام الشديد بقواه العلمية والعملية وهو ذو قوة وشدة وذو حصانة في العقل ومنانة في الرأي وقد اعتدل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها حين كان في الأفق الأعلى أي في الجهة العليا من السماء وهو أفق الشمس فسَدَّ الأفق حين جاء بالوحي إلى النبي ﷺ أول مجيئه.

ثم قرب جبريل من الأرض إلى محمد ﷺ عند حراء وتعلَّق بالهواء وأزداد في القرب من محمد ﷺ فكان بينهما بمقدار ما بين قوسين من المسافة أو أقلَّ من ذلك، فأوحى الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام إلى الرسول ما أوحى من القرآن في تلك النزلة.



قدرة الله وسعة ملكه مع صفات المحسنين والمشركون

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ اَسْتَفٰوْا بِمَا عَمِلُوْا وَيَجْزِيَ الَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا بِالْحَسَنٰتِ ﴿٣١﴾ الَّذِيْنَ يَجْتَنِبُوْنَ كَثِيْرًا الْاِثْمِ وَالْفَوٰحِشِ اِلَّا اللَّمَمَ ۗ اِنَّ رَبَّكَ وَّاسِعٌ الْمَعْرِفَةِ ۗ هُوَ اَعْلَمُ بِكُمْ اِذْ اَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْاَرْضِ وَاِذْ اَنْتُمْ اَجْنَةٌ فِيْ بُطُوْنِ اُمَّهَاتِكُمْ ۗ فَلَا تُزَكُّوْا اَنْفُسَكُمْ هُوَ اَعْلَمُ بِمِنِ اَنْتَقَىٰ ﴿٣٢﴾ اَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَاَعْطٰى قَلِيْلًا وَاَكْثٰى ﴿٣٤﴾ اَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرِىٰ ﴿٣٥﴾ اَمْ لَمْ يُبْتَأْ بِمَا فِيْ صُحُفٍ مُّوسٰى ﴿٣٦﴾ وَاِبْرٰهِيْمَ الَّذِي وُقِّيَ ﴿٣٧﴾ اَلَا نَزَّرْنَا وَزْرًا وَاَنْزَلْنَا وَاَنْزَلْنَا لِّلْاِنْسٰنِ اِلَّا مَا سَعٰى ﴿٣٩﴾ وَاَنَّ سَعِيْهٖ سَوْفَ يَرِىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يَجْزٰىهُ الْجَزَاۗءَ الْاَوْفٰى ﴿٤١﴾

النجم: ٣١ - ٤١

الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء والله يرجع الأمر كله في الجزاء والحساب لكلا الفريقين المحسنين والمشركون حيث يدعي بعض الناس أنهم أتقياء بزرّة مُحسنون خيرون. ولكنهم في الواقع بعيدون عن الإحسان بالمعيار الشرعي الصحيح. فإنّ المحسنين هم الذين اجتنبوا الكبائر والفواحش فلا يدعي إنسان ما ليس فيه أو يزكي نفسه بما ليس فيها وفي مقابل المقصرين كان بعض المشركون كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي وأبي جهل بن هشام غاية الجفاء والبعد عن معايير الشرع والخلق القويم كما قال تعالى في الآيات الكريمة.

أخرج الطبراني عن ثابت بن الحارث الأنصاري ، قال : كانت يهود تقول
 إن أهلك لهم صبي صغير ، قالوا : هو صديق ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال :
 " كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله ، في بطن أمه إلا أنه شقي ، وسعيد ،
 فأنزل الله ﷻ عند ذلك هذه الآية ﴿ هُوَ أَغْوَىٰ بِكُمْ إِذْ أَنتَا كُرُمِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي
 بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ " ، الآية كلها فالمحسنون هم الذين وصفهم الله بهذه الآيات
 يبتعدون عن كبائر الإثم كالشرك والقتل وأكل مال اليتيم وعن الفواحش كجرائم
 الحدود من زنا وقذف وسرقة وشرب المسكرات .

والكبائر : كل ذنب توعد الله عليه بالنار وهي السبع الموبقات حيث وردت
 في الصحيحين ، عن أبي هريرة ؓ ، عن النبي ﷺ قال : " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ
 الْمَوْبِقَاتِ " ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : " الشُّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسُّحْرُ ،
 وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى
 يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ " [وهذا لفظ البخاري - كتاب
 الوصايا]

والفواحش : ما تنهاى أو تزيد قبحه عقلاً و شرعاً من الكبائر . ولكن لا
 يقع منهم إلا اللمم أي صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال كالنظر إلى المحرمات
 والقبلة فإن أقتروا اللمم تابوا .

ومعنى الوازرة : النفس الآثمة ، والوزر : الحمل .

ثم رغب الله بالتوبة فقال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ ﴾ فهو كثير الغفران لعباده
 من الذنوب إذا تاب العبد ، والله تعالى بصير بعباده حين خلقكم في بطون أمهاتكم
 فلا تمدحوا أنفسكم ولا تبرئوها عن الآثام ولا تدعوا الطهارة عن المعاصي فالله هو
 العليم بمن أتقى عن الشرك والمعاصي : فلا يزكي أحد نفسه . ثم ذكر الله تعالى

على سبيل التعجب والتقريع عن بعض المشركين الذي تميّز بسوء فعله حين أعرض عن الإيمان وأحجم عن العطاء وجهل ما غاب عنه من العذاب.

قال ابن زيد ، في قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ إلى قوله : ﴿ فَهُوَ يَرَى ﴾ قال : " هذا رجلٌ أسلم ، فلقبته بعضٌ من يُعيرُهُ فقال : أتركت دينَ الأشياخ وضللتهم ، وزعمت أنهم في النار ، كان ينبغي لك أن تنصرتهم ، فكيف يفعل بأبائك ، فقال : إني خشيت عذابَ الله ، فقال : أعطني شيئاً ، وأنا أحملُ كلَّ عذابٍ كان عليك عنك ، فأعطاه شيئاً ، فقال زدني ، فتعاسر حتى أعطاه شيئاً ، وكتب له كتاباً ، وأشهد له ، فذلك قولُ الله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلاً وَكَذَّبَ ﴿ عَاسِرُهُ ﴾ (عنده علمُ الغيبِ فَهُوَ يَرَى) ﴿ نزلت فيه هذه الآية " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى ﴿ أَمْ لَمْ يَبْتَأْ ﴾ أي أنه لم يُخبر بما في أسفار التوراة وصحف إبراهيم الذي أكمل ما أمره الله به وأدى الرسالة على الوجه الأكمل أنه لم تؤخذ نفس بذنب غيرها. فكل نفس ارتكبت جرماً من كفر أو ذنب فعليها وحدها وزرها لا يحمله عنها أحدٌ وهو مبدأ المسؤولية الشخصية وأنه ليس للإنسان إلا أجر سعيه وجزاء عمله. وهو مبدأ كون الجزاء مرتبطاً بالعمل وأن سعي الإنسان أو عمله محفوظ يجده في ميزانه لا يضيع منه شيء ويدخره الله له، ويجزي الله الإنسان جزاءً كاملاً غير منقوص فيجازي بالسيئة مثلها وبالحسنة عشر أمثالها إلى سبع مئة ضعفٍ والله يضاعف لمن يشاء.



الحضُّ على خشية الله والصدقات

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ الحديد: ١٦ - ١٧

روى مسلم في صحيحه ، عن ابن مسعود ، قال : " ما كان بين إسلامنا
وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلا
أربع سنين " [كتاب التفسير]

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ، عن عبد العزيز بن أبي رواد أن
أصحاب النبي ﷺ ظهروا فيهم المزاح والضحك ، فأنزل الله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية.

هذه الآيات فيها توجيه قرآني للمؤمنين ، حث المؤمنين على ملازمة
الخشوع وخشية القلب لمواعظ الله تعالى . وتحذيرهم من التشبه ببعض قساة
القلوب الذين قطعوا صلواتهم بأنبيائهم ، وأهملوا أوامر دينهم ونواهيهم .

في هذه الآيات معنى الحض والتقريع ، قال ابن عباس رضي الله عنهما :
عُوتِبَ المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن ، ومعنى
الخشوع: اللين والتذلل لله تعالى وهو هيئة تظهر في الجوارح (الأعضاء) متى
كانت في القلب ، فلذلك خصَّ الله تعالى القلب بالذكر والمعنى : ألم يحن الوقت
لكي تلين قلوب المؤمنين وترقَّ عند سماع تذكير الله ووحيه؟ أو لأجل ذكر الله

وقرآنه أو لأجل تذكفر الله تعالى إفاهم وأمره ففهمون المطلوب وطفعون الأمر والناهف هو الله تعالى.

ولا ففشفهوا بآملة الكفاب الإلهف من قبلهم قبل نزول القرآن ففن طال ففهم الزمان والفجوة بفنهم وبفن أنبفائهم، ففقت قلوبهم بذلك السبب، ففنى صارو لا ففأفأرون بالموعظة ولا بالفوعف والفوعف وبفألوا كفاب الله الذي بأففهم وأفبعوا أهوائهم، وكففر منهم فأررون عن ففوف الله وأوامره ونواهفه ففصارت أعمالهم باطلة وقلوبهم فافسة.

ثم ضرب الله المفل فف فأففر المفاعظ وهو كما أن الله فففف الأرض بالنبات والففف فف ففبها، قادر على أن فففن ألقلوب فف فقسوتها وففهف الففارف فف الضلال بفراهفن القرآن وأففته.



حال الدنيا وحقيقة الآخرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَتَاعٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَسْجُ فَرَنَهُ مُمْصِفًا، ثُمَّ يُكُونُ حُطَمًا، وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ الحديد: ٢٠ - ٢١

الدنيا فانية زائلة والآخرة خلود دائم، والخالد أبقى وأجدي فَيَفْضَلُ على المؤقت الزائل ويحرص العقلاء أهل الإيمان والتقوى على التنافس على عمل الخير للآخرة لأنها درجات يتفاضل فيها السعداء وكلما كان المؤمن في درجة أعلى، والفردوس أعلى الجنان كان في نعمةٍ وأكثر غبطة.

هذه آية وعظٍ وتبيان لأمر الدنيا والتعريف بحقيقة الآخرة. اعلموا أيها الناس جميعاً إن الحياة الدنيا مجرد لعب وهو ليس فيها جدّ يدوم وهو ينتهي به ثم يزول. وزينة يتزين بها مؤقتاً ثم تذهب، ومفخرة يتفاخر بها وتكاثر في الأموال والأولاد ثم ينتهي من غير أثر.

واللعب واللهو شيء واحد، أو أنّ اللعِبَ : ما لا فائدة فيه، واللهو : ما يشغل الإنسان عما يعنيه، والزينة : التحسين الخارجي في ذات الشيء، والتفاخر :

التباهي بالأنساب والأموال وغيرها، والتكاثر : هو الرغبة في الدنيا ومظاهرها وألوانها وعددها.

والدنيا بهذه الأوصاف سبب البعد عن الدين فهي التي يؤثرها ضعفاء النفوس والعقول على الآخرة وحبها رأس كل خطيئة. وهي مركب الشيطان وسبب قسوة القلب وضعف الذمة وقلة التقوى وكل ما فيها عرض زائل وما هي إلا كمثل مطر أعجب الزّراع النباتات الحاصل به ثم يجف وييبس بعد خضرته، ثم يصير فتاتاً هشياً تذروه الرياح متكسراً، والكفار هنا : الزّراع لأنهم يكفرون البذور في الأرض.

ونظير الآية في القرآن قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتْنَاهَا أَمْْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ ﴾ يونس: ٢٤ . ثم حذر القرآن من أمر الدنيا ومن مخاطر ومهالك العذاب في الآخرة، فليس في الآخرة إلا أمران : إما عذاب شديد لأعداء الله ورسوله وإما مغفرة من الله ورضوان لأهل الطاعة وما الحياة الدنيا إلا مجرد متاع يتمتع به وخديعة لمن لم يعمل للآخرة.

متاعُ الغرور : معناه الشيء الذي لا يُعظَّم الاستمتاع به إلا مغتر.

والآخرة مجال التسابق في الخيرات أي بادروا إلى ما يوجب المغفرة لكم من ربحكم من الأعمال الصالحة وإلى ما يوصل إلى الجنة عرضها عرض السماء والأرض أعدت للذين صدّقوا بالله ورسوله. وهذا دليل على أن الجنة مثل النار مخلوقة الآن مُعدّة لأهلها. ومن حضي بالجنة والمغفرة فذلك من فضل الله عليه ورحمته والله صاحب الفضل العظيم ورحمته سبقت غضبه إلا أن الجنة غالبية الثمن وثمرتها سهل بسيط وهو الإيمان والعمل الصالح والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار فتلك غراسها الطيبة.

المصيبة والقدر

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾

الحديد: ٢٢ - ٢٤

المؤمن بالله يجب أن يؤمن بالقدر وإيمانه بالقدر مبعث الإقدام والجرأة والشجاعة فلا يهاب الموت إذا قاتل العدو لأن الموت لا يتقدم ولا يتأخر وإذا انفق في سبيل الله فلا يخش الفقر لأنه يؤمن بأن الله هو الرزاق.

لا توجد مصيبة من خير أو شر في الدنيا سواء في الأرض كالحقن والجذب أو الغلاء وغير ذلك أم في الأنفس كالأمراض والموت والفقر وذهاب الأولاد وغير ذلك إلا وهي مُسَطَّرَةٌ في اللوح المحفوظ قبل إيجاد الخليقة. أخبرنا الله سبحانه وتعالى بذلك لكيلا نحزن على ما فاتنا ولا نفرح بما آتانا، إن الله يعاقب كل مختالٍ فخور أي متكبر فخور على غيره بماله أو جاهه. والمختال غالباً يكون بخيلاً لذا ذكر الله خصال البخلاء فهؤلاء البخلاء الفخورون هم الذين يبخلون عادة بأموالهم فلا يؤدّون حقّ الله فيها ولا يواسون الفقراء ويطلبون من غيرهم إمساك المال ويرغّبون الناس بالبخل حتى يجعلوا لهم أشباهاً وأمثالاً ومن يعرض عن الإنفاق فإنّ الله غني عنه محمود الذات في السماء والأرض عند خلقه ولا يضر البخيل إلا نفسه.

القرآن الكريم وعظمته

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

﴿٢٤﴾ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ الحشر: ٢١ - ٢٤

للقرآن الكريم عظمته ومواعظه المؤثرة، فلو أنزلنا هذا القرآن على جبل من الجبال مع كونه بالغ الصلابة في غاية الخشوع والخضوع والانقياد لأمر الله يكاد يتشقق من خوف الله وخشية عذابه وهذه الأمثال تضرب للناس لعلهم يتفكرون ويتعظوا بالمواعظ ولقد عظم القرآن الكريم بعظمة صفات منزله فالله هو الإله الواحد الذي لا إله إلا هو لا رب سواه عالم الغيب وكل ما هو مشاهد محسوس ذو الرحمة الشاملة الواسعة المنعم بكل النعم.

عالم الغيب والشهادة ما شوهد من الدنيا، والمالك لكل الأشياء أمتصرف فيها أطاهر من كل عيب أو نقص، الكامل ذاته وصفاته وأفعاله، السالم من أي نقص وعيب، المصدق أنبياءه فيما بلغوه والمصدق المؤمنين في أنهم آمنوا، المهيمن : أي الرقيب الحافظ لكل شيء، الأمين عليه، القوي الغالب. ذو العزة والجبروت ألبليغ في كبريائه وعظمته المنزه عن كل ما لا يليق به، الخالق المقدر لخلقه على حسب ما تقتضيه حكمته، الموجد خلقه، المصور : الموجد صور الأشياء وكيفياتها، له الأسماء الحسنى : الدالة على محاسن المعالي، يُنزهه كل ما في السموات والأرض، وهو بهذه الصفات ألقوي ألقاب القاهر الذي لا يغالبه مغالب، الشديد الانتقام من أعدائه، الحكيم في تدبيره وشرعه وقدره، وفي كل الأمور التي يقضي بها، فهو كامل القدرة تام العلم، أي إن الله واجب الوجود أولاً وأبداً، الحاضر الذي لا يزول، المعبود بحق، فلا يستحق العبادة أحد غيره كامل الصفات والأفعال.

له الأسماء الحسنى / الدالة على الحسن في معانيها القائمة بذاته.

لا إله إلا هو، وهذه الأسماء التي حصرها رسول الله ﷺ بقوله : " إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ " رواه البخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة ؓ [وهذا لفظ البخاري - كتاب الشروط].



وحدة الصفوف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

تَفْعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِينَ

مَرْضُوضٌ ④ ﴿ الصف: ١ - ٤

أخرج الترمذي والحاكم في صحيحه ، عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفر من أصحاب النبي ﷺ قلنا : لو نعلم أي الأعمال أحبُّ إلى الله تبارك وتعالى عملناه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ إلى آخر السورة فقرأها علينا رسول الله ﷺ . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

أخرج بن أبي حاتم عن ابن عباس وابن جرير عن الضحاك قال : نزلت ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل . [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ قال المفسرون : كان المسلمون يقولون : لو نعلم أحبَّ الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا ، فدلَّهم الله على أحبِّ الأعمال إليه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾ الآية ، فابتلوا يوماً بذلك فولَّوا

مدبرين فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

يُبَيِّنُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ وَجِنٍّ وَغَيْرِهِمْ تَسْبِّحُ بِحَمْدِ اللهِ تَسْبِيحاً دَائِماً لَا يَنْقُطُ فَتَنْزَهُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ نَسْبَةِ الشَّرِيكِ إِلَيْهِ، وَتَعْتَرِفُ بِرَبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ الإسراء: ٤٤ وهو العزيز الحكيم في صنعه وتدبيره.

وَيَبَيِّنُ أَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي لَا يَصْحَبُهُ فِعْلٌ يَبْغِضُهُ اللهُ بَغْضاً شَدِيداً، وَكَبْرٌ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ، أَسْلُوبٌ يَدُلُّ عَلَى الذَّمِّ مَعَ التَّعَجُّبِ لِتَعْظِيمِ الْأَمْرِ فِي قُلُوبِ السَّامِعِينَ.



تجارة النجاة

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُرْ عَلَىٰ تَحْرِقِ نُجُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ ءَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ
عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ الصف: ١٠ - ١٣

أخرج ابن جرير ، عن أبي صالح ، قال : قالوا : لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل . فنزلت : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُرْ عَلَىٰ تَحْرِقِ نُجُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ ءَلِيمٍ﴾ فكرهوا ، فنزلت : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل عن سعيد بن جبيرة قال : لما نزلت ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُرْ عَلَىٰ تَحْرِقِ نُجُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ ءَلِيمٍ﴾ قال المسلمون لو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين ، فنزلت : ﴿تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

لقد حض الله المؤمنين على بذل المال والنفس في سبيل نشر الدين وإعلاء شأنه فبين أن هذا البذل تجارة مضمونة الربح، لا كساد فيها ولا بوار ولا خسران تتجى صاحبها من كل أذى وتعوضه تعويضاً جزيلاً، هذه التجارة التي عرَضها الله على المؤمنين. أن يداوموا على إيمانهم إيماناً كاملاً خالصاً، يشترك

فيه اللسان والجوارح، وأن يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فإن الإيمان الكامل وبذل المال عن طوعية واختيار في سبيل الله، والجدود بالنفس أقصى غاية الجود خير لمن كان من أهل العلم والفتنة، فان فعل المؤمنون ذلك عوّضهم عن تجارتهم هذه مغفرةً من الله من ذنوبهم وأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار وأنزلهم مساكن طيبةً في جنات عدنٍ يُخلّدون فيها أبداً ويلقون من النعيم المقيم وذلك الجزاء من الغفران والنعيم هو الفوز العظيم، الذي لا فوز أعظم منه كما أن لهم فوق هذه النعم العظيمة نعمةً أخرى عاجلة يحبونها ويرغبون فيها وهي تأييد من الله لهم بانتصارهم على أعدائهم وفتح عاجل لمكة، فبشّر يا محمد المؤمنين أنني منجزٌ وعدي ويشبهه ما في بعض هذه الآيات قوله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآبٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ التوبة: ١١١ .



القدرة الإلهية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ ﴾ الملك: ١ - ٦

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : " إِنَّ سُوْرَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ، ثَلَاثُونَ آيَةً ، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ ، وَهِيَ : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ " [مسند احمد بن حنبل]

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " سُوْرَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً ، خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ ، وَهِيَ سُوْرَةُ تَبَارَكَ " [المعجم الأوسط للطبراني]

عن ابن عباس ، قال : ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خِبَاءَهُ (الخباء : الخيمة) عَلَى قَبْرِ وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُوْرَةَ ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا ، فَآتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ضَرَبْتُ خِبَائِي

على قبرٍ وأنا لا أحسبُ أنه قبر ، فإذا فيه إنسانٌ يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها . فقال رسولُ الله ﷺ : " هي المانعَةُ ، هي المنجِيَةُ ، تُنجِيهِ من عذابِ

القبرِ " [سنن الترمذي . الجامع الصحيح - كتاب فضائل القرآن]

إنَّ ربَّنَا المنزَّهَ عن صفات المخلوقات أَلذِي تَعَمَّ بركته ونِعَمَهُ أَلخلائقَ ، قادرٌ على كلِّ شيءٍ وقد أوجد الموت والحياة ليختبرنا من ممَّا في هذه الحياة أحسن عملاً وأخلص في إطاعة أمره وأجتنب معصيته ، فألله سبحانه قوي شديد أَلإنتقام ممن يعصيه ، وعَقَّار أَلذنوب لمن تاب عن أَلمعاصي ولم يَعُدْ ثانية إليها .

وقد خلق الله السموات السبع وجعلها طبقات بشكل مُنظَّم مناسب لا خلل فيه ولا عيب ، فتأملها وأعد النظر هل ترى فيها فطراً أو خللاً ؟ ومهما أَمعنت النظر وكررتَه فسيعود إليك نظرك خائباً كليلاً لأنَّه لن يجد في هذه السموات إلا نظاماً كونياً بديعاً يدل على عظمة الخالق وقدرته حيث زينها البارئ سبحانه بالكواكب المضيئة المتألثة ، وجعل فيها قذائف يرمي بها شياطين الجن الذين يسترقون أَلسمع بالصعود إلى السماء ، وفي الآخرة أعدَّ لهم نار جهنم المتأججة أَللهب ليعذبهم فيها مع الكافرين .



أهوال يوم القيامة

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۗ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا دَكَّةً
 وَاحِدَةً ۗ ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۗ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۗ ﴿١٦﴾
 وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ۗ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا
 تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۗ ﴿١٨﴾ ﴿الحاقة: ١٣ - ١٨﴾

للقِيامة أهوالٌ وأحزانٌ ومفاجآتٌ وكوارثٌ تبدأ من نفخة الفزع التي ينفخها إسرافيل في الصُّور (وهو القرن الذي ينفخ فيه) ومعها يكون الصعق ثم نفخة ألبعث أي ثلاث نفخات (الفزع، وأالصعق، وألبعث).

وبعد النفخة الأولى تُرْفَعُ الْجِبَالُ مِنْ أَمَاكِنِهَا بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَيَضْرِبُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ضَرْبَةً وَاحِدَةً، وَتَصِيرُ مَعَ الْأَرْضِ كَنْتَلَةً وَاحِدَةً وَتُرْجَعُ كَثِيبًا مَهِيلاً وَتَتَبَدَّدُ وَتَتَغَيَّرُ فَحِينَئِذٍ قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَالطَّامَّةُ الْكُبْرَى.

وَتَصَدَّعَتِ السَّمَاءُ فَتَصِيرُ يَوْمَئِذٍ ضَعِيفَةً مُسْتَرْخِيَةً غَيْرَ مَتَمَاسِكَةٍ الْأَجْزَاءُ وَتَتَبَدَّلُ هِيَ وَالْأَرْضُ تَبَدُّلاً مَحْسُوساً وَاضِحاً وَيَبْرُزُ النَّاسُ لِلْحِسَابِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى. وَتَكُونُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى جَوَانِبِ السَّمَاءِ مَعاً فَإِنَّهَا عَلَى أُنْتُمْ الْإِسْتِعْدَادَ لِتَنْفِيزِ مَا يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَ رُؤُوسِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ عَلَى الْأَرْجَاءِ (الجوانب) ثَمَانِيَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُعْرَضُ الْعِبَادُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِحِسَابِهِمْ فَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ خَافِيَةٌ فَهُوَ تَعَالَى يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى.

حال الأبرار يوم القيامة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ هَؤُمَّ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ ۗ إِنِّي ۙ

ظَنَنْتُ أَنِّي مَلَكٌ حَسَابِيَةٌ ۗ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۗ (٢٠) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۗ (٢١)

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۗ (٢٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۗ (٢٤)

الحاقة: ١٩ - ٢٤

عن جابر ، قال : سمعتُ النبي ﷺ ، يقولُ : " إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتقلُّون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون " قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : " جُشاءٌ ورشْحٌ كرشح المسك ، يُلهمون التسبيحَ والتحميدَ ، كما تُلهمون النَّفسَ " [صحيح مسلم- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها]

وعن أبي زرعة ، قال : سمعتُ أبا هريرة ، يقولُ : قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : " أولُ زمرةٍ تدخلُ الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةِ البدرِ ، والذين يُلونهم على أشدِّ كوكبٍ دريٍّ في السماءِ إضاءةً ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتقلُّون ، ولا يمتخطون أمشاطهم الذهبُ ، رشْحهم المسكُ ، ومجامرهم الألوَّةُ ، وأزواجهم الحورُ العينُ ، أخلاقهم على خلقٍ رجلٍ واحدٍ على صورةِ أبيهم آدمَ ستينَ ذراعاً في السماءِ " [صحيح البخاري ، وصحيح مسلم- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها] .. وفي روايةٍ للبخاري ومسلم : " أنيتهم فيها الذهبُ ، ... ، ورشحهم المسكُ ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلبٌ واحدٌ ، يسبحون الله بكرةً وعشياً " [وهذا لفظ البخاري- كتاب بدء الخلق]

النَّاسُ بَعْدَ الْحِسَابِ فَرِيقَانِ، سَعْدَاءُ أَبْرَارٍ، وَأَشْقِيَاءُ فُجَّارٍ .

أَمَّا الْأَبْرَارُ : فهم الذين يؤتون كتبهم التي كتبها الحَفَظَةُ عليهم من أعمالهم فيقول السعيد صاحب اليمين لكلِّ مَنْ لقيه : خذوا هذا الكتاب فاقروا ما فيه لِعَلِّمِهِ أَنَّهُ صَارَ مِنَ النَّاجِينَ بَعْدَ أَنْ كَانَ خَائِفًا مُضْطَرِبًا كَشَأْنِ أَهْلِ الْمَحْشَرِ كُلِّهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً ﴾ . أَي تَيَقَّنْتُ وَعَلِمْتُ أَنِّي سَوْفَ أَلْقَى حِسَابِي فِي هَذَا الْيَوْمِ فَيُؤَاخِذُنِي اللَّهُ بِسَيِّئَاتِي وَلَكِنَّهُ تَعَالَى تَفَضَّلَ عَلَيَّ بِالْعَفْوِ وَلَمْ يُؤَاخِذْنِي بِهَا، وَالآيَةُ عِبَارَةٌ عَنِ إِيمَانِ هَذَا السَّعِيدِ بِالْبَعْثِ وَغَيْرِهِ فَهُوَ يَقُولُ : لَقَدْ عَلِمْتُ وَأَيَقَّنْتُ فِي الدُّنْيَا أَنِّي أَحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ هَذَا الْيَوْمَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، قَالَ قَتَادَةُ [ظَنَّ هَذَا ظَنًّا يَقِينًا فَنَفَعَهُ] وَقَوْمٌ ظَنُّوا ظَنًّا الشُّكِّ فَشُقُّوا بِهِ .

وَمَصِيرُ هَذَا السَّعِيدِ : أَنَّهُ بَعْدَ تَلَقِّي كِتَابِهِ بِبَيْمِينِهِ هُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ أَوْ ذَاتِ رِضَا خَالِيَةٍ مِنَ الْمَكْدَرَاتِ غَيْرِ مَكْرُوهَةٍ فِي جَنَّةٍ مَرْتَفَعَةٍ الْمَكَانِ رَفِيعَةٍ الْقَدْرِ وَعَالِيَةِ الْمَنَازِلِ مَكَانًا وَقَدْرًا دَائِمَةً أَلْسُرُورِ ثَمَارِهَا قَرِيبَةً التَّائِلِ لِكُلِّ أَحَدٍ بِحَسَبِ رَاحَتِهِ يَتَنَاوَلُهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالْمُضْطَجِعُ، وَالْقَطُوفُ : جَمْعُ قِطْفَةٍ وَهُوَ مَا يُجْنَى مِنَ الثَّمَارِ وَيُقْتَفُ، وَدُنُوبُهَا : هُوَ أَنَّهَا تَأْتِي طَوَّعًا أَلْتَمَنِي، فَيَأْكُلُهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالْمُضْطَجِعُ .

وَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ السَّعْدَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ : كُلُوا أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ طَيِّبَاتِهَا وَثَمَارِهَا وَأَشْرَبُوا مِنْ أَشْرِبَتِهَا الْهَانِئَةِ أَكْلًا وَشَرِبًا هَنِيئًا أَي لَا تَكْدِيرَ فِيهِ وَلَا تَتَغَيِّصُ، جِزَاءً لِمَا عَمَلْتُمْ وَسَبَبٌ لِمَا قَدَّمْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي الدُّنْيَا (الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) أَي أَيَّامِ الدُّنْيَا لِأَنَّهَا فِي الْآخِرَةِ قَدْ خَلَّتْ وَذَهَبَتْ، (أَسْلَفْتُمْ) قَدَّمْتُمْ .

وهذا تَفَضَّلَ عليهم وَأَمْتَنان وإِحسان مِن الله تعالى كما ثبت عن عائشة،
عن النبي ﷺ قال : " سَدُّوْا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ "
قالوا : ولا أنتَ يا رسولَ الله ؟ قال : " ولا أنا ، إلا أن يتَّعَمَدَني اللهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَرَحْمَةٍ " . [صحيح البخاري - كتاب الرقاق ، وصحيح مسلم]

إنَّ دخولَ الجنانِ بِفضلِ الله ورحمته وإِحسانه. أمَّا تفاوتُ الناسِ الصالحينِ
في درجاتِ الجنةِ فإنما هو بحسبِ تفاضلهم في أعمالهم وهو ما صرَّحَ به القرآنُ
الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا أَدْخِلُوا آلَ الْجَنَّةِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
النحل: ٣٢ .

* * * * *

حال الفجار يوم القيامة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْبِئْسَ لِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِي ۗ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي ۗ﴾ ﴿٢٦﴾ يَلْبِئْسَ كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۗ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِي ۗ﴾ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعُلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ الحاقة: ٢٥ - ٣٧

أما الشقي الذي أُعطي كتابه بشماله أو من وراء ظهره فيقول حزناً وكرباً لما رأى من سوء عمله وعقيدته : يا ليتني لم أُعط كتابي ولم أعلم شيئاً عن حسابي لأنه كُله وبالٌ عليّ، ليت أُلْموت كان القاضي ونهاية حياتي ولم أبعث بعدها فهو يتمنى دوام الموت وعدم ألبعث لما شاهد من سوء عمله.

ويقول الكافر أيضاً : ما أفادني مالي شيئاً ولم يدفع عني شيئاً من عذاب الله تعالى وذهب منصبى وجاهى وحجّتى وسلطاني، هؤلاء الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم هم المُخلّدون في النار، أهل الكفر.

حيث يأمر الله زبانية جهنم قائلاً لهم : خذوه مكبلاً بالقيود والسلاسل والأغلال بجمع يده إلى عنقه في الغلّ وأدخلوه الجحيم ثم أدخلوه في سلسلة طولها سبعون ذراعاً لأنه كان لا يؤمن بالله خالقهِ ومربيهِ صاحب العظمة ولا يحب الخير ولا يفعله ولا يحثّ على إطعام الفقراء والمساكين ولا يؤدي حق الله في توحيده وعبادته، فليس له يوم القيامة شفيع ولا صديق ينقذه من العذاب.

أمّا وسائل بقاء حياتهم في النار أنهم يأكلون أقبح الأشياء وهو ما يسيل من أجساد أهل النار من صديد ودم وقيح، إنها سموم قاتلة في الباطن مع العذاب في الظاهر وهذا الطعام لا يأكله إلا أصحاب الخطايا والدنوب أي الخاطئون الذين يتعمدون الإثم والخطأ وترك الصواب.
أمّا المخطئ فهو الذي يفعل الخطأ من غير تعمّد.



آعداد النعم الإلهية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ١ ﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعْمُونَ ٤
 تُرَى كَلَّا سَيَعْمُونَ ٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا
 ٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ١١
 وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ
 مَاءً ثَجَّاجًا ١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ١٥ وَجَعَلْنَا أَلْفَاظًا ١٦ ﴾ النبأ: ١ - ١٦

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم ، عن الحسن قال : لما بُعثَ النبي ﷺ

جعلوا يتساءلون بينهم ، فنزلت : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ١ ﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿ ١ - ٢

عن أي شيء يسأل المشركين بعضهم بعضاً؟ عن الخبر العظيم الذي اختلفوا في أمره وهو يوم القيامة ويوم البعث. فكان بين مكذبٍ ومصدقٍ، وكافرٍ ومؤمنٍ، ومنكرٍ ومقرٍ، كَلَّا : كلمة ردع لهم وزجر لا ينبغي لهم أن يختلفوا في هذا الأمر فهو حق لا ريب فيه وليرتدعوا عن التساؤل.

كيف تتكرون ألبعث وقد شاهدتم أدلة قدرة الله تعالى الذي جعل الأرض ممهدة مذلة للخلائق كالمهد للصبي، للنوم والراحة وجعل الجبال أكراسيات كالأوتاد للأرض لتسكن ولا تتحرك وتهداً ولا تضطرب بأهلها. وأوجدناكم في هذا العالم أصنافاً ذكوراً وإناثاً لتحقيق التكاثر وإبقاء النوع الإنساني. وجعلنا نومكم راحة لكم وقطعاً لأعمالكم المتعبة في النهار فبالنوم تتجدد القوى وينشط العقل والجسد

وجعلنا الليل المظلم الهادئ سكناً تسكنون فيه وكاللباس الذي يغطي بظلامه الأشياء والأجسام، فكما أنّ اللباس يغطي الجسد ويقيه من الحرّ والبرد ويستتر العورات كذلك الليل يستتر فيه من أراد الإختفاء لقضاء مصالح لا تتوافر في النهار.

وجعلنا وقت النهار مشرقاً مضيئاً ليتمكن الناس من تحصيل أسباب المعيشة والتكسب والإنتاج والزراعة والصناعة وممارسة الخدمات الفنية والعملية وغيرها... وبنينا فوقكم سبع سموات قوية متماسكة محكمة الصنع مزينة بالكواكب وجعلنا الشمس سراجاً مضيئاً على جميع العالم ينشر الضوء والحرارة.

وأزلنا من السحب والغيوم المتكاثفة مطراً منصباً بكثرة وغزارة لتخرج الحب الذي يقنتات به الناس مثل القمح والشعير والذرة والرز ونباتاً تأكل الدواب مثل التبن والحشيش وسائر النباتات. وثمرات متنوعة ذات ألوان وأطعام مختلفة وتتفاضل ثمارها في الأكل كما جاء في آية أخرى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ الرعد: ٤ .

والماء ألثجاج هو الماء المندفق بقوة كما يندفع الدم من عروق الذبيحة، ومنه قول النبي ﷺ فيما أخرجه الترمذي عن أبي بكر الصديق : أنّ النبي ﷺ سئل : أي الحج أفضل ؟ قال : " العجّ والشجّ " أي رفع الصوت بالتلبية والشجّ : وهي دماء البدن وإراققتها [كتاب الحج].



نِعْمُ اللَّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ٢٤ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا
 الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ
 عُلبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَنَعًا لَكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ ﴿٣٢﴾ عيس: ٢٤ - ٣٢

فَلْيَتَدَبَّرِ الْإِنْسَانُ إِلَى شَأْنِ نَفْسِهِ وَلْيَتَفَكَّرْ فِي أَمْرِ طَعَامِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَهْيِئَتِهِ
 حَتَّى يَكُونَ غِذَاءً صَالِحًا يُقَوِّمُ بِهِ بَنِيَّتَهُ، وَيَجِدُ لَذَّةً فِي تَنَاوُلِهِ لِيَحْفَظَ بِهِ قُوَّتَهُ مَدَى
 الْحَيَاةِ الَّتِي قُدِّرَتْ لَهُ. وَقَدْ فَصَّلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

((أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا)) : أَي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ الْمَزْنِ إِنْزَالًا بَعْدَ أَنْ بَقِيَ حِينًا
 فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَعَ ثِقَلِهِ.

((ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ)) : بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَتَمَسِكَةً الْأَجْزَاءِ ، وَقَدْ أَقْتَضَتْ
 حِكْمَتَهُ ذَلِكَ لِيَدْخُلَ الْهَوَاءُ وَالضِّيَاءُ فِي جَوْفِهَا لِتَغْذِيَةِ النَّبَاتِ.

ثم ذكر سبحانه ثمانية أنواع من الاغذية .:

١. ((حَبًّا)) / كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالرِّزِّ وَهُوَ الْأَصْلُ فِي الْغِذَاءِ.
٢. ((وَعِنَبًا)) / وَهُوَ غِذَاءٌ وَفَاكِهِة.
٣. ((وَقَضْبًا)) / وَهُوَ كُلُّ مَا يُؤْكَلُ مِنَ النَّبَاتِ غِضًّا طَرِيًّا وَهُوَ (الرُّطْبَةُ).
٤. ((وَزَيْتُونًا)) / وَفِيهِ فَائِدَةٌ كَثِيرَةٌ لِلْإِنْسَانِ.
٥. ((وَنَخْلًا)) / أَي أَنْوَاعَ التَّمُورِ الَّتِي أَوْجَدَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَلِهَا فَوَائِدُ جَمَّةٍ.

٦. ((وَحَدَائِقَ غُلْبًا)) / أي بساتين ذات اشجار ضخمة مثمرة ذات سياج تحيط بها، وعِظْمُ الحَدَائِقِ إمَّا بالتفاف أشجارها وكثرتها ، وإمَّا بِعِظْمِ كَلِّ شجرة وغلظها وكبرها.

وفي هذا إيحاء إلى أَنَّ الْأَشجار فائدتها بثمرها ومن خشبها يتخذ أرقى أنواع الأثاث وأدوات العمل والآلة لمختلف الحِرَفِ والصناعاتِ وكذا الوقود لتدبير الطَّعام والخبز على ضروب شتى.

٧. ((وَفَاكِهَةً)) / يتمتع بها الإنسان خاصة كالتين والتفاح والخوخ وغيرها.

٨. ((وَأَبًا)) / أي مرعى للحيوانات خاصة.

والحكمةُ من ذلك كَلِّهِ : أَنَّها تكون متاعاً للإنسان وللأنعام.



التطفيف في الكيل والميزان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيَلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ ١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ

وَزَنُوهُمْ يَحْسِرُونَ ٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥﴾ يَوْمَ

يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦﴾ المطففين: ١ - ٦

عن ابن عباس قال : لما قَدِمَ النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ، فأحسنوا الكيل بعد ذلك. وقال القرطبي: كان بالمدينة تجارٌ يطفون ، وكانت بياعاتهم كشبه القمار : المنابذة والملامسة والمخاطرة ، فأنزل الله تعالى الآية ، فخرج رسول الله ﷺ إلى السوق وقرأها. وقال السدي : قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ، ومعه صاعان : يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله تعالى هذه الآية. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

عذابٌ شديدٌ وخزيٌّ يوم القيامة لمن يطفف في المكيال والميزان ، وقد خَصَّ سبحانه المطففين بهذا الوعيد من قبل لأنه كان فاشياً بمكة منتشراً وكذلك في المدينة، فكانوا يطفون المكيال ويبخسونه ولا يوفون حق المشتري.

هذا الرجل وأمثاله ممن أمتلأت نفوسهم بالطمع وأستولى على نفوسهم الجشع هم المقصودون بهذا الوعيد الشديد، وهم الذين توعددهم النبي ﷺ وتهدهم ... عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : " خَمْسٌ بِخَمْسٍ " قالوا : يا رسول الله وما خمسٌ بخمسٍ ؟ قال : " ما نَقَضَ قَوْمٌ

العهدَ إلا سُلِّطَ عليهم عدوُّهم ، وما حَكَمُوا بغيرِ ما أنزلَ اللهُ إلا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ ،
ولا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ إلا فَشَا فِيهِمُ الْمَوْتُ ، ولا طَفَّفُوا الْمِكْيَالَ إلا مَنَعُوا
النَّبَاتَ وَأَخَذُوا بِالسِّنِينَ ، ولا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إلا حُبِسَ عَنْهُمْ الْقَطْرُ " [معجم الكبير
للطبراني] .

وقد بيّن الله تعالى المطففين الذين استحقوا هذا الوعيد بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِذَا
أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (٣) أي إذا كان لهم عند
الناس حقّ في شيءٍ من المكيّلات لم يقبلوا أن يأخذوه إلاّ وافياً كاملاً، وإذا كان
لأحدٍ عندهم شيءٌ وأرادوا أن يؤدوه له أعطوه ناقصاً غير واف.

واقصر على الاكتيال حين الاستيفاء، وذكر الكيل والميزان فيه حين
الإخسار لأنّ التطفيف في الكيل يكون بشيء قليل لا يعبأ به في الأغلب دون
التطفيف في الوزن، فإنّ أدنى حيلةٍ فيه يقضي إلى شيء كثير ولأنّ ما يوزن أكثر
قيمة في كثير الأحوال مما يُكّال.

وكما يكون التطفيف في الكيل والميزان يكون في أشياء أخرى، فمن
استأجر عاملاً ووقف أمامه يراقبه ويطالبه بتجويد عمله، ثم إذا كان عاملاً أجيّراً
لم يراقب ربه في العمل ولم يُقَمِّم به على الوجه الذي ينبغي أن يقوم به يكون واقعاً
تحت طائلة هذا الوعيد، مستوجباً لأليم العذاب مهما يكن عمله كبير أو صغير
وإذا كان هذا الإنذار للمطففين الراضين بالقليل من السحت فما ظنك بأولئك الذين
يأكلون أموال الناس بلا كيل ولا وزن بل يسلبونهم ما بأيديهم، فيحرمونهم التمتع
بها اعتماداً على قوة الملك أو النفوذ أو السلطان أو باستعمال الحيل المختلفة.

لا جرم أنّ هؤلاء لا يُحسَبُونَ إلاّ في عداد الْمُنْكَرِينَ ليوم الدين الجاحدين
وإنّ زعموا إنّهم من المؤمنين المخبتين.

ثم قال ﷺ : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾ أي أنّ تطفيف الكيل والميزان واختلاس أموال الناس بهذه الوسيلة لا يصدر إلا عن شخص لا يظن أنه سيبعث يوم القيامة ويحاسب على عمله إذ لو ظن ذلك لما طفف الكيل ولا بخس الميزان.

ثم وصف الله تعالى هذا اليوم ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي إنّ هذا اليوم الذي يقف الناس فيه للعرض والحساب ويطول بهم الموقف إعظاماً بجلاله تعالى.

فالتطفيف ذنب عظيم إذ أنّ الميزان هو قانون العدل الذي قامت به السموات والأرض.

وعن ابن عمر انه كان يمر بالبائع فيقول : أتق الله تعالى وأوف الكيل إنّ المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى أنّ العرق ليلجمهم. وعن عكرمة انه قال : أشهد أنّ كلّ كيال ووزان في النار، فقيل له ان أبنك كيال، فقال: إنّ في النار، كأنه أراد المبالغة وبيان أنّ الغالب فيهم التطفيف.



كيف خلق الله الإنسان

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تَبِلَ السَّرَائِرُ ۝ فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝﴾ الطارق: ٥ - ١٠

على الإنسان أن يتفكر في خلقه ليتعظ وليعلم قدرة الله تعالى، أنه خلق من ماء دافق مصبوب في الرحم وهو ماء الرجل وماء المرأة وقد جعل ماءً واحداً لامتزاجهما، يخرج من ظهر الرجل في النخاع الشوكي الآتي من الدماغ، ومن بين الترائب أي ترائب المرأة وهي عظام صدرها. والولد يتكون من اجتماع المائين ثم يستقر الماء المختلط في الرحم فيتكون الجنين بقدرة وإرادة الله سبحانه وتعالى.

وفي آية أخرى قال الله تعالى: ﴿وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الحج: ٥ إن في هذه الآيات التي تبين لنا كيفية حصول الحمل وكيفية خلق الإنسان فيها سر من أسرار التنزيل وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني إذ فيها معرفة حقائق علمية تأخر العلم عن معرفتها ليزمن طويل فإذا رجعنا إلى علم الأجنّة وجدنا أن منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة يفسر لنا هذه الآيات التي حيّرت الألباب. حيث ذهب المفسرون إلى تفاسير عديدة منها بعيدة عن الفهم الصحيح والرأي السديد. ففي الاسبوع السادس والسابع من إحياء الجنين في الرحم ينشأ فيه ما يسمى (جسم وولف وقنانة) على كل جانب من جانبي العمود الفقري ومن جزء

من هذا تنشأ الكلى وبعض الجهاز البولي ومن جزء آخر تنشأ الخصية في الرجل والمبيض في المرأة.

فكل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يجاور الكلى ويقع بين الصلب والترائب أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريباً ومقابل أسفل الضلوع ومما يفسر لنا صحة هذه النظرية أنّ الخصية والمبيض يعتمدان في نموها على الشريان الذي يمددهما بالدم وهو يتفرع من الشريان الاورطي في مكان يقابل مستوى الكلى الذي يقع بين الصلب والترائب ويعتمدان على الأعصاب التي تحد كلا منهما وتتصل بالظفيرة الاورطية ثم بالعصب الصدري العاشر وهو يخرج من النخاع من بين الضلع العاشر والحادي عشر وكل هذه الاعضاء تأخذ موضعها في الجسم فيما بين الصلب والترائب. فإذا كانت الخصية والمبيض في نشأتهما وفي امدادهما بالدم الشرياني وفي ضبط شؤونهما بالاعصاب قد اعتمدتا في ذلك على مكان في الجسم يقع بين الصلب والترائب، فإذن استبان شرح هذه الآية من القرآن الكريم وتفسيرها. ولم يكتشف العلم إلا حديثاً بعد ثلاثة عشر قرناً من نزول كتاب الله تعالى. هذا ويعد نمو كل من الخصية والمبيض يأخذ في الهبوط إلى مكانه المعروف فتهبط الخصية حتى تأخذ مكانها في الصّفن، ويهبط المبيض حتى يأخذ مكانه في الحوض بجوار بوق الرحم.

وقد يحدث في بعض الاحيان ان العملية لا تتم أي عملية الهبوط هذه فتقف الخصية في طريقها ولا تنزل إلى البطن فتحتاج إلى عملية جراحية حتى تصل إلى وضعها في الموضع الطبيعي.

هذا وإن الإنسان يبدأ حياته جنيناً والجنين يتكون من تلقیح بويضة تخرج من المبيض مندفعة نحو بوق الرحم بالحيوان المنوي الذي تفرزه خصية الرجل ويكون التلقیح في الغالب في داخل أحد البوقين أو فيهما معاً ثم تسير البويضة

في طريقها إلى الرحم حتى تستقر في قرار مكين إلى أجل مسمى، هذا إذا صادفها أحد الحيوانات المنوية أما إذا أخطأها التلقيح فتكون ضمن الإفرازات الرحمية التي تطرد في خارج الجسم. ومما يلاحظ أنّ إفراز البويضات عند المرأة عملية فسيولوجية شهرية لا علاقة لها بالاجتماع الجنسي، غير ان هذا الاجتماع ضروري لعملية التلقيح بالحيوان المنوي الذي يسبح في ماء الرجل. وما ذكر في الآية ان الماء الدافق يكون من كل من الرجل والمرأة، أمّا ماء الرجل فيتكون من الحيوانات المنوية وسوائل اخرى تفرزها الخصية والبروستات والحويصلات المنوية، وهذه السوائل كلها جعلت مستقراً للحيوان المنوي الذي بدونه لا يتم التلقيح. وهكذا الحال في البويضات التي يفرزها مبيض المرأة، فإنّها بعد أن تكون في المبيض على شكل حويصلة صغيرة تنمو وتبلغ أشدها في نحو شهر حتى تقترب من المبيض ثم تنفجر كما تنفجر الفقاعة وتتدفق منها البويضات مع السائل الذي خرج من الفقاعة إلى البوق حيث يقابلها حيوان منوي يقوم بعملية التلقيح وكلا المائين، ماء الرجل وماء المرأة دافق أي ينصب متدفقاً. ومن هذا يتبين أنّ الإنسان خلق ونشأ من الماء الدافق (ماء الرجل وأهم ما فيه الحيوان المنوي) (وماء المرأة وأهم ما فيه البويضة الذي ينصب بين عضوين هما الخصية والمبيض) ومنشؤهما وغذاؤهما وأعصابهما كلها بين الصلب والترائب. وقد ثبت في علم الأجنة أنّ البويضة ذات الخلية الواحدة تصير علقة ذات خلايا عدة ثم تصير العلقة مضغة ذات خلايا أكثر عدداً ثم تصير المضغة جنيناً صغيراً ثم ينمو.

ولو تأملنا خلق الإنسان، سهل علينا تصديق ما جاء به الشرع وهو البعث واليوم الآخر لأن خلق الإنسان من أجزاء منتشرة متفرقة في الكون، فالماء متولد من الاطعمة التي يتناولها الإنسان فجمعها الله ثم جمع الابوين ثم جمع ماءهما

في مكان واحد ثم خلق منه الولد وليس في إعادته مثل ذلك بل هو أهون، حيث قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ أي الذي خلق الإنسان ابتداءً قادر على رجعه بعد أن يموت. وقال ايضاً: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ يس: ٧٩ وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ الروم: ٢٧ . ثم بين وقت الرجوع فقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَأُ السَّرَائِرُ ﴾ أي قادر على إرجاع الإنسان عندما تتكشف السرائر ويتميز الطيب من الخبيث وأكل في انتظار الأجزاء على ما قدموا، فإمّا خلود في نعيم وإمّا مصير في جحيم. ولا تكون لأحد قوة على الافلات مما قدر الله له جزاء عمله إن كان مسيئاً، ولا ناصر ينصره مما حتم أن يقع عليه.



البشرى والطمأنينة

[ما ودعك ربك وما قلاك يا محمد]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالضُّحَىٰ ١ ﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ ﴾ وَاللَّآخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ
 مِنْ الْأُولَىٰ ٤ ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ٥ ﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ
 ٦ ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ٧ ﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ٨ ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
 ٩ ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١ ﴾ الضحى: ١ - ١١

عن الأسود بن قيس ، أنه سمع جُنْدُبًا ، يقول : " أبطأ جبريلُ على رسولِ
 الله ﷺ ، فقال المشركونَ : قد ودَّعَ مُحَمَّدٌ ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ : ﴿ وَالضُّحَىٰ ١ ﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا
 سَجَىٰ ٢ ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ ﴾ " [صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير]

وعنه أيضاً ، قال : سمعتُ جندباً ، يقول : " اشتكى النبي ﷺ ، فلم يقم
 ليلة - أو ليلتين - فأنته امرأة ، فقالت : يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك ،
 فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ : ﴿ وَالضُّحَىٰ ١ ﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ ﴾ " [صحيح البخاري -
 كتاب فضائل القرآن ، وصحيح مسلم]

عن هشام بن عروة عن أبيه (الزبير بن العوام) قال : أبطأ جبريل على
 النبي ﷺ : فَجَزَعَ جَزَعًا شَدِيدًا ، فقالت له خديجة : إني أرى ربك قد قلاك مما

نرى من جَزَعَتِكَ ، قال : فنزلت : ﴿ وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ ﴾ .
[مصنف ابن أبي شيبة]

وأخرج الحاكم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : "... مكث رسول الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه جبريل عليه السلام فأتته (أم جميل امرأة أبي لهب) فقالت : يا محمد ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك . فأنزل الله ﷻ ﴿ وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ ﴾ "

وأخرج الطبراني ، عن حفص بن سعيد القرشي ، قال : حدثتني أمي ، عن أمها ، وكانت خادم رسول الله ﷺ ، أن جرواً دخل البيت ودخل تحت السرير ومات ، فمكث نبي الله ﷺ ، أياماً لا ينزل عليه الوحي ، فقال : " يا خولة ما حدث في بيت رسول الله جبريل لا يأتيني فهل حدث في بيت رسول الله حدث " فقلتُ : والله ما أتى علينا يوم خير من يومنا فأخذ برده فلبسه وخرج فقلت : لو هيات البيت ، وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شيء ثقيل فلم أزل حتى أخرجته فإذا بجرو ميت فأخذته بيدي فألقيته خلف الدار فجاء نبي الله ترعد لحبيه ، وكان إذا أتاه الوحي أخذته الرعدة فقال : " يا خولة دثريني " فأنزل الله : ﴿ وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ ﴾ . "

وقال الحافظ بن حجر قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة ، لكن كونها سبب نزول الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح ، والحديث الذي قالت فيه أم جميل وخديجة لرسول الله ﷺ : قد قلاك ربك ، كلاهما مرسل ورواهما ثقات ، قال الحافظ بن حجر : فالذي يظهر أن كلا من أم جميل وخديجة قالت ، لكن أم جميل قالت شماتة ، وخديجة قالت توجعاً . [الباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

عندما تأخر نزول الوحي على رسول الله ﷺ ، زعم الذين كفروا أنّ الله سبحانه وتعالى قد قلاه (أبغضه) فنزلت هذه الآية بشارة وطمانينة لرسول الله ﷺ إنّ الله لن يتركه : حيث أقسم الله بآيتين عظيمتين من آياته الكونية (الضحى والليل) ثم بشره بأن المستقبل أفضل من الماضي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار . قوله : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ أخرج الطبراني في الأوسط ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ مَفْتُوحٌ لِأُمَّتِي بَعْدِي ، فَسَرَرْتِي " . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ " ثم بشره بقوله : ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ، أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل ، والطبراني وغيرهم ، عن ابن عباس ، قال : عُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا هُوَ مَفْتُوحٌ عَلَى أُمَّتِهِ كَفَرًا كَفَرًا ، أَي قَرْيَةَ قَرْيَةً ، فَسَرَّرَ بِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ فأعطاه الله ألف قصر في الجنة من لؤلؤ ترابه المسك في كل قصر منها ما ينبغي له . [الباب النقول في أسباب النزول للسيوطي]

أي سوف يمنحك ربك عطاءً جزيلاً ونعمة كبيرة في الدنيا والآخرة. أمّا في الدنيا فهو الفتح في الدين وانتشار الإسلام وأمّا في الآخرة فهو الثواب والحوض والشفاعة لأمتك، فترضى، وهذا دليل على تحقيق السموّ في الدارين.

ثم عدد الله سبحانه وتعالى نعمه على رسوله قبل البعثة المحمدية بقوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا.... ﴾ لا أب لك فجعل لك مأوى تأوي إليه وهو بيت كافلك جدك عبد المطلب ثم عمك أبو طالب حيث مكث سنين عند جدّه عبد المطلب وله من العُمُرِ ثمان سنين، ثم كَفَلَهُ عَمَّهُ أَبُو تَالِبٍ وَوَجَدَكَ رَبِيكَ غَافِلًا (ضالاً) عن أحكام الشرائع حائراً في معرفة أصح العقائد فهذا لك لذلك. ووجدك (فقيراً) ذا عيال لا مال لك فأغناك بريح التجارة في مال خديجة، وبما منحك الله من البركة والقناعة.

ثم أمره ربه ببعض الأخلاق الإنسانية قائلاً : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ أي كما كنت يتيماً فأواك الله فلا تستذل اليتيم ولا تتسلط عليه بالظلم لضعفه بل أحسن إليه ولا تنهر السائل في العلم والدين أو طالب المال ولا تزجره بل ردّ عليه رداً جميلاً.

وتحدث بنعمة ربك عليك وأشكر هذه النعم العظمى وهي النبوة والقرآن ومضامين الآيات وليس التحدث بالنعمة مجرد ذكرها بل هي في توسيع البذل على الفقراء بمالك وعلمك وأجهر يا محمد على ما آتاك من هذه النعم.



أول آية نزلت من القرآن الكريم

على قلب نبينا محمد ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ العلق: ١ - ٥

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول ما بُدئَ به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُببَ إليه الخلاء ، وكان يخلو بغارٍ حراءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وهو التَّعَبُّدُ - الليالي ذواتِ العددِ قبل أن ينزعَ إلى أهله ، وَيَتَرَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثم يَرِجِعُ إلى خديجةَ فَيَنْزَوُدُ لِمِثْلِهَا ، حتى جاءه الحقُّ وهو في غارِ حِرَاءٍ ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ : اقرأ ، قال : " ما أنا بقارئ " ، قال : " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقرأ ، قُلْتُ : ما أنا بقارئ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقرأ ، قُلْتُ : ما أنا بقارئ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : " زَمُّونِي زَمُّونِي " فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوحُ ، فَقَالَ لَخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ : " لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي " فقالت خديجةُ : كلا والله ما يُخزِيكَ اللهُ أبداً ، إِنَّكَ لَتَنصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ،

وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ خَدِيجَةَ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُرَى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَتَّصِرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : يَا ابْنَ عَمِّ ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَوْ مُخْرِجِي هُمْ ؟ " ، قَالَ : نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي ، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا . ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُوفِي ، وَفَنَرَ الْوَحْيُ [صحيح البخاري - باب بدء الوحي]

ومن ذلك تعلم أن صدر هذه السورة هو أول ما نزل من القرآن الكريم وأول رحمة رحِمَ الله بها عباده وأول خطاب وُجِّهَ إلى رسول الله ﷺ ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ أي صر قارئاً بقدرته الله تعالى بعد ان لم تكن كذلك فإنه ﷺ لم يكن قارئاً ولا كاتباً وقد جاءه الأمر الإلهي بأن يكون قارئاً وإن لم يكن كذلك.

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ العلق : الدم الجامد، أي إن الله الذي خلق الإنسان وهو أشرف المخلوقات كلها من العلق وآتاه القدرة على التسلط على كل شيء في هذا العالم ويسخره لخدمته، فهو قادر على أن يجعل محمداً قادراً على القراءة.

﴿ أَقْرَأْ ﴾ إفعل ما أمرت به وكرر الأمر لأن القراءة لا تكسبها النفس إلا بالتكرار والتعود على ما جرت به العادة، وتكرار الأمر الإلهي يقوم مقام تكرار المقروء، وبذلك تصير القراءة ملكة للنبي ﷺ.

﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ أي وربك أكرم لكل من يرتجي منه ألعطاء فيسير عليه أن يفيض عليك نعمة القراءة من بحار كرمه. ثم أراد أن يزيده أطمئنان ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أي الذي جعل العلم واسطة التفاهم بين الناس والقلم آلة جامدة لا حياة فيها وليس في شأنها الإفهام فمن جعل من الجماد الصامت آلة للفهم والبيان، أفصعب عليه أن يجعل منك قارئاً وتالياً ومعلماً، وأنت إنسان كامل؟

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ أي ان من صدر أمره بأن يكون رسوله ﷺ قارئاً هو الذي علم الإنسان جميع ما هو متمتع به من العلم وممتاز به عن غيره من الحيوان. وفي الآية دليل على فضل القراءة والكتابة والعلم. ولولا القلم ما حُفظت العلوم، ولا أُحصيت الجيوش وأضاءت ألدِيانات ولا عرف الأواخر معارف الأوائل وعلومهم ومخترعاتهم وفنونهم ولمّا سجّل تاريخ السابقين، المسيئين منهم والمحسنين، ولا كان علمهم نبراس من يهتدي به من الناس وهذا دليل على ان الله خلق الإنسان الحي الناطق مما لا حياة فيه ولا نطق ولا شكل ولا صورة وعلمه أفضل العلوم وهي الكتابة ووهبه العلم ولم يكن يعلم شيئاً فما أعجب غفلتك أيها الإنسان؟؟



ليلة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ

خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ الْوَحْيَ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ

﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ القدر: ١ - ٥

قوله تعالى : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ : عن مجاهد ، قال : " كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ " قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل . [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري]

أشار القرآن الكريم إلى زمان نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ في أربعة مواضع من كتابه الكريم والقرآن يفسر بعضه بعضاً .

١- في سورة القدر قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ .

٢- في سورة الدخان قال تعالى : ﴿ حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي

لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا

مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ .

٣- في سورة البقرة قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى

لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ ﴾ : ١٨٥ .

٤- في سورة الأنفال قال تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ بِإِلَهِكُمْ بِاللَّهِ وَمَا
أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّنَجَّىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : ٤١

فآية القدر صريحة في أنّ إنزال القرآن كان في ليلة القدر وآية الدخان تؤكد ذلك وتبين ان النزول كان في ليلة مباركة، وآية البقرة ترشد إلى أنّ نزول القرآن كان في شهر رمضان، وآية الأنفال تدل على أنّ إنزال القرآن على رسوله كان في ليلة اليوم المماثل ليوم التقاء الجمعين في غزوة بدر التي فرق الله فيها بين الحق والباطل. ونصر حزب الرحمن على حزب الشيطان ومن ذلك يتضح ان هذه الليلة هي ليلة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ أي بدأنا نزل الكتاب الكريم في ليلة أشرف ثم أنزلناه منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الحوادث التي كانت تدعو إلى نزول شيء منه، تبياناً لما أشكل من الفتوى فيها أو عبرة بما يقص من قصص وزواجر ولا شك أنّ البشر كان في حاجة إلى دستور يبين لهم ما ألتبس عليهم من أمر دينهم ودنياهم ويوضح لهم أمر النشأة الأولى وأمر النشأة الآخرة لأنهم كانوا أعجز من أن يفهموا مصالحهم الحقة حتى يستنوا لأنفسهم من النظم ما يغنيهم عن الدين والتدين وحوادث الكون التي نراها رأي العين كقيلة بأنّ تبين وجه الحق في ذلك فهم لا غنى لهم عن الاعتقاد في قوة غيبية يلجئون إليها حين يظلم عليهم وتختلط ظروف الحياة وألوانها ومآسيها.

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ أي إحياء إلى أن شرفها مما لا يحيط به علم العلماء وإنما يعلمه عالم الغيوب الذي أنشأ الخلق من العدم. وهي خير من ألف شهر يسطع نور الهدى فيها وتكون فاتحة التشريع الجديد الذي أنزل على البشر ويكون فيها وضع الحجر الأساس لهذا الدين الذي هو آخر الأديان لصالح الأمة

في كل زمان ومكان وهي خير من ألف شهر أي شهورهم التي كانوا يتخبطون فيها في ظلام الشرك وظلام الوثنية وقد يكون التحديد بالألف كناية عن إرادة الكثرة ولا إرادة العدد كما جاء في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ البقرة: ٩٦.

وأي عظمة أعلى من عظمة ليلة فيها نزول هذا النور والهداية للناس بعد ان مضت على قومه ﷺ حقب متتابعة وهم في ضلال ووثنية. وأي شرف أرفع من شرف ليلة القدر ليلة سطع فيها بدر المعارف الأهلية على قلب رسوله ﷺ رحمة بعباده يبشروهم وينذرهم ويهديهم إلى صراط مستقيم، ويجعل منهم أمة تحرر الناس من استعباد القياصرة، وجبروت الأكاسرة، و يجمعهم بعد الفرقة ويلم شملهم بعد الشتات.

فحق على المسلمين أن يتخذوا هذه الليلة عيداً لهم إذ فيها بدأ نزول ذلك الدستور السماوي الذي وَجَّهَ المسلمين تلك الوجهة الصالحة النافعة

ثم ذكر الله مزايا هذه الليلة حيث تنزل الملائكة من عالمها الروحاني حتى تمثلت لبصره ﷺ وتمثل له الروح (جبريل) مبلغاً للوحي كلِّ بإذن ربهم.

ونزول الملائكة إلى الأرض شأن رب العزة لا تبحث عن كيفية ولكن تؤمن به، فلم يعرف العالم إلا الشيء اليسير من العلم، كما قال تعالى : ﴿وَمَا أُوتِئْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ الإسراء: ٨٥ . ليلة كلها سلامة وخير وبركة بنزول القرآن الكريم وفتح سبيل الهداية.



علامات يوم القيامة ونوع الجزاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ
 الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ⑤
 يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ
 مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا
 يَرَهُ ⑧ ﴾ الزلزلة: ١ - ٨

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال : نزلت ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ ،
 وأبو بكر ؓ قاعد ، فبكى أبو بكر ؓ ، فقال رسول الله ﷺ :
 " ما يبكيك يا أبا بكر ؟ " ، قال : أبكتني هذه السورة ، فقال رسول الله ﷺ : " لو
 أنكم لا تخطئون ولا تذبون لخلق الله من بعدكم أمةً يُذنبون ويُخطئون فيغفر
 لهم " [المعجم الكبير للطبراني]

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
 ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧ ﴾ ، قال مقاتل : نزلت في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل
 فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ، ويقول : ما هذا شيء ، وإنما نؤجر
 على ما نعطي ونحن نحبه ، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير : الكذبة والغيبة
 والنظرة ، ويقول : ليس عليّ من هذا شيء ، إنما وعد الله بالنار على الكبائر ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَرْغَبُهُمْ فِي الْقَلِيلِ مِنَ الْخَيْرِ فَإِنَّهُ يَوْشِكُ أَنْ يَكْثُرَ ، وَيَحْذَرُهُمُ الْيَسِيرَ مِنَ الذَّنْبِ ، فَإِنَّهُ يَوْشِكُ أَنْ يَكْثُرَ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ إِلَى آخِرِهَا . [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

كان الكفار كثيراً ما يسألون عن يوم الحساب فيقولون : (أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ)؟ ويقولون : (متى هذا الوعد)؟ فذكر لهم في هذه السورة علامات ذلك اليوم وليعلموا أنه لا سبيل إلى تعيين ذلك اليوم الذي يعرض الناس فيه على ربهم لعقاب المذنبين وثواب المؤمنين .

فَإِذَا أَضْطَرَبْتَ الْأَرْضَ وَتَحَرَّكَتْ حَرَكَةً شَدِيدَةً نَحْوَ الْآيِ قَوْلِهِ : ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴾ الْوَاقِعَةُ : ٤ وَقَوْلِهِ : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ الْحَجَّ : ١ .

لَفَتٌ لِأَنْظَارِ الْكَافِرِينَ لِيَتَدَبَّرُوا الْأَمْرَ وَلِيَسْتَيْقِظُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ وَأُخْرِجَتْ الْأَرْضُ مَا فِيهَا مِنَ الْكُنُوزِ وَالْدَفَائِنِ وَالْأَمْوَاتِ لَشِدَّةِ أَضْطِرَابِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۚ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۚ ﴾ الْإِنْشِقَاقُ : ٣ - ٤ ومثال هذا ما نراه من براكين ثائرة، كما حدث في إيطاليا سنة ١٩٠٩م من ثوران بركان ويزروف وابتلاعه مدينة مسينا ولم يبق من أهلها دياراً. وقال الإنسان ما لها عندما يشاهد هذا الزلزال العظيم فيصيبه الدهشة فتحدث الأرض أحداثها أي حال الأرض وما يقع فيها من اضطراب لأن الله سبحانه وتعالى أوحى لها، وفي ذلك اليوم يصدر الناس أشناتاً ليُروا أعمالهم فلا يكون في الطريق مسيئاً مع محسن ولا مطيع مع عاصي ليربهم الله ما قدموا من أعمالهم.

وقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أُنْزِلَتْ بِهَا وَكُفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ الْأَنْبِيَاءُ : ٤٧

آسر النآاة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْعَصْرِ ١ ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ العصر: ١ - ٣

هذه السورة آامعةٌ لأمور الخير والنآاة عند الله تعالى قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : [لو تدبرّ الناس هذه السورة لوسعتهم] لو لم ينزل غير هذه السورة لكفّت أناس لأنها شملت جميع علوم القرآن .

أخرج الطبراني ، عن أبي مدينة الدارمي ، وكانت له صُحبةٌ قال : كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ " إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر : ﴿ وَالْعَصْرِ ١ ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ ، ثم يسلم أحدهما على الآخر " .

وفيهما أقسم الله بالعصر : وهو الدهر أو الزمان الذي يمر به الناس لما فيه العبر وتقلبات الليل والنهار وتعاقب الظلام والضياء وتبديل الأحداث والدول والأحوال والمصالح، مما يدل على وجود الله ﷻ ، أقسم بذلك على أن الإنسان لفي خسارة وهلاك وسوء حال في كل أعمالهم مستثنياً لمن أتصف بهذه الصفات وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر . والمداومة على العمل الصالح وأداء الفرائض وبقية الطاعات وفعل الخيرات وترك المحرمات

وترداد الباقيات الصالحات وهي (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

والتواصي بالحق هو الخير كله.

والتواصي بالصبر عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجبلة
البشرية، والصبر على الطاعات وعلى الابتلاءات، والصبر أيضاً هو التلقي من
الله ﷻ بالجميل والرضا به باطناً وظاهراً.

* * * * *

الهمز واللمز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هَمْزٍ لَمْرُؤٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. ۝٢ يُحْسَبُ أَنَّ

مَالَهُ أَخْلَدَهُ. ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥

نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝٨ فِي

عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ الهمزة: ١ - ٩

قال عطاء وغيره نزلت في الأخنس بن شريق، كان يلمز الناس ويغتتابهم وبخاصة رسول الله ﷺ وقيل في جميل بن عامر الجُمحي وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ويطعن عليه في وجهه وروي أيضاً أنّ أمية بن خلف كان يفعل ذلك. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهذه قاعدة عامة، فهي تتناول كل من أتصف بهذه الصفات.

فالويل وألهلاك وألْعذاب لكلّ من همز بلسانه أي يعيب ويغتتاب وكل من لمز أي يغتاب ألناس ويطعن في الوجه. وسبب الهمز واللمز أنّه جمع من المال وحافظ على عدده ألا ينقص فمنعه من الخيرات ونفقة البرّ. يظن أنّ ماله يضمن له الخلود ويتركه حياً باقياً لا يموت لشدة إعجابه بما جمع من المال.

فَالْحُطَمَةُ له ولأمثاله أي ألنار المتأججة وأخبر الله عنها أنّها نار الله الموقدة التي يبلغ إحراقها القلوب ولا تخمد، وما أعلمك بها كأنها لا تدرکها العقول

والأفكار نار مستعرة لا تخدم، فهي تصل إلى القلوب لأنها أشد أجزاء البدن تألماً
وخصت بالذكر لأنها محل العقائد الزائفة والنيّات الخبيثة، وسوء الأخلاق وأحتقار
الناس والأعمال القبيحة.

انها عليها مطبقة ليس لها منافذ للخروج منها كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الحج: ٢٢. إن نار الدنيا جزء من سبعين أو
مئة جزء من نار الآخرة عافانا الله منها.



قصة أصحاب الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ الفيل: ١ - ٥

أراد أبرهة ملك الحبشة هدم الكعبة ووجّه جيشه لهذه المهمة، معهم الفيلة الكثيرة بقصد توجيه حجّ العرب إلى بيتّ بناه أبرهة في اليمن ولكن قدرة الله تعالى فوق كل تقدير فحينما وجّه أبرهة جيشه لهدم الكعبة برك فيله بذي (المغمّس) موضع قريب من مكة في طريق الطائف ولم يمش نحو مكة على الرغم من أنّهم شقّوا جلده بالحديد وكانوا إذا وجهوه إلى غير مكة هرول وبينما هم كذلك بعث الله تعالى عليهم طيراً جماعات سوداً أو خضراً من البحر عند كل طير ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه كل حجر حجمها فوق العدسة ودون الحمّصة فرمتهم بتلك الحجارة، وكان الحجر يقتل المرمي ويجعل لحومهم جرباً وأسقاماً وأنصرف أبرهة بمن بقي معه يريد اليمن فماتوا في طريقهم متفرقين في كل مرحلة وتقطع أبرهة حتى مات وحمى الله بيته، نزلت السورة بهذه القصة ليعلم ألكل أنّ الأمر كلّه لله تعالى ويستسلموا لله الواحد القهار الذي ظهرت قدرته حين لم تغن الأصنام شيئاً وأصحابُ الفيل هم أبرهة الملك ورجاله.

هذه القصة قصة أصحاب الفيل ثابتة ثبوتاً قطعياً أثبتتها القرآن وعاش أحداثها عرب مكة من قريش سنة (٥٧١ م) في العام الذي ولد فيه النبي محمد ﷺ.

وهي قصة عجيبة غريبة لإظهار مثال عن قدرة الله تعالى على دفع السوء عن بيت الله الحرام وعن كل ما يريد حمايته ويعاقب الطغاة الذين يشركون مع الله إلهاً آخر ويصدّون عن البيت الحرام وعن الإيمان برسالة محمد ﷺ.

وكفى بذلك إنذاراً وتحذيراً وحماية وصوناً وفضلاً ونعمة إعلماً بأن الله جلّت قدرته ينصر من يشاء ويذل من يشاء وعقيدتنا ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ آل عمران: ١٢٦ .



نَعَمَ اللَّهُ عَلَى قَرِيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لِإِيلَافِ قَرِيْشٍ ﴿١﴾ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ

مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴿ قَرِيْشٍ: ١ - ٤ ﴾

عن سعيد بن عمرو بن جعدة ، عن أبيه ، عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب ، قال رسول الله ﷺ : " فَضَّلَ اللَّهُ قَرِيْشًا بِسَبْعِ خِصَالٍ لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُمْ ، وَلَا يُعْطَاهَا أَحَدٌ بَعْدَهُمْ : فَضَّلَ اللَّهُ قَرِيْشًا أَنِّي مِنْهُمْ فَإِنَّ النُّبُوَّةَ فِيهِمْ ، وَإِنَّ الْحِجَابَةَ فِيهِمْ ، وَإِنَّ السَّقَايَةَ فِيهِمْ ، وَنَصَرَهُمْ عَلَى الْفِيلِ ، وَعَبَدُوا اللَّهَ عَشْرَ سِنِينَ لَا يَعْبُدُهُ غَيْرُهُمْ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ تَنْزَلْ فِي أَحَدٍ غَيْرِهِمْ " [المعجم الكبير للطبراني]

جعل الله قريشاً يألفون رحلتين في العام ، واحدة في الشتاء إلى اليمن لجلب العطور والبهارات الآتية من الهند والخليج وهي بلاد حارة، وواحدة إلى الشام في الصيف لأنها بلاد باردة لجلب الحبوب الزراعية.

فهذه النعم التي أنعمها عليهم بصد أصحاب الفيل والإنعام عليهم بالبيت الحرام فأمرهم بعبادته ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ والعبادة هي التذلل والخضوع ثم النعمة الأخرى الصادرة من الله تعالى وهي أَنَّ رَبَّ الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ووسع لهم الرزق، بسبب هاتين الرحلتين فخلصهم من جوع شديد كانوا فيه قبلهما.

وتفضلّ عليهم بالأمن والاستقرار آمنهم من خوف ألبشة مع الفيل ومن
السبي حيث كان يغيرُ بعضهم على بعض فأمنت قريش لِمكانِ الحرم قال تعالى:
﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَاطَبُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ العنكبوت: ٦٧ .

فَمِنْ تأمينِ الله لقريش كما يبدو في الآية : أنه آمنهم من خوف ألتخطف
في بلدهم والذي كان ظاهرة شائعة في القبائل العربية الأخرى ألمجاورة ومن
ألتأمينات الإلهية لهم أيضاً تأمينهم من خوف ألبذام والطاعون فلا يصيب بلدهم
فضلاً من الله تعالى ونعمة.



الويل للمكذب والبخيل واللاهي

عن صلاته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ

الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ

﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ الماعون: ١ - ٧

قال مقاتل والكلبي : نزلت هذه السورة في العاص بن وائل السهمي [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري] ، وقال السدي : نزلت أبي جهل وكان وصياً ليتيم، فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه، فدفعه، ويروى أن هذه السورة نزلت في بعض المضطرين في الإسلام بمكة، الذين لم يؤمنوا به وقتلوا فأفنتتوا وكانوا على هذا الخلق من الغشم وغلظ العشرة وألفاظة على المساكين وربما كان بعضهم يصلّي أحياناً مع المسلمين مدافعة وحيرة، فقال الله تعالى فيهم ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾

وقال ابن جريج : كان أبو سفيان ينحر كل أسبوع جزوراً فجاءه يتيم فقرعه

بعضاً، فنزلت السورة فيه. [أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري]

عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ قال : " الذين يُؤَخَّرُونَهَا عن وقتها " [جامع البيان في تفسير القرآن للطبري] ، وعنه أيضاً ، في قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ هم المنافقون كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا ويتركونها إذا غابوا ، " [شعب الإيمان للبيهقي] معنى الآيات : أبصرت أيها النبي الذي يكذب بالحساب والجزاء؟! هذه صورة استفهام يريد المبالغة في التعجب هذا الذي يكذب بيوم القيامة هو الذي يدفع أليتيه دفعا شديداً ويزجره زجراً عنيفاً ويظلمه حقه ولا يحسن إليه علماً بأن العرب كانوا لا يورثون النساء والصبيان .

وهذا الذي لا يحث نفسه ولا غيره على إطعام المسكين المحتاج بخلاً بماله كما جاء في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝١٨ ﴾ الفجر : ١٧ - ١٨ .

فويل : أي خزيّ وعذابٍ وهلاكٍ للمنافقين الذين لا يؤدون الصلاة والغافلين عنها ولا يبالي أحدهم صلى أم لم يصل لا يرجون ثواباً إن صلوا ولا يخافون عقاباً إن تركوا، فهم غافلون حتى يذهب وقتها إهمالاً لها وإن كانوا مع المؤمنين صلوا رياءً وإذا لم يكونوا معهم لم يصلوا، إن هؤلاء هم الساهون عن صلاتهم أي التاركون لها أو الغافلون عنها.

أولئك الساهون عن صلاتهم هم الذين يراؤون الناس بصلاتهم ان صلوا أو يراؤون الناس بكل ما عملوا من أعمال البر ليثبتوا عليهم وهم الذين يمنعون الماعون أي الإعارة وفعل الخير، والماعون كل ما يطلبه الناس بينهم من الدلو، والفأس، والقدر، متاع البيت، وما لا يمنع عادة كالماء والملح مما ينسب مانعه إلى الخسة ولو لم الطبع وسوء الخلق.

فيجب على المسلمين الذين يزعمون أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاء به أن يقيموا أنفسهم عند قراءتهم لهذه السورة ليعرفوا من هم؟ وأن يعيدوا النظر في أعمالهم وصفاتهم وعبادتهم لله الواحد الأحد، فيقيموا الصلاة ويحيوا صورتها بالخشوع. فلا يخرجون من الصلاة إلا وهم ذاكرون أنهم عبيد لله تعالى يلتمسون رضاه ويجعلوا من الصوم مؤدباً للشهوة ومهذباً للرغبة فلا يكون في صومهم إلا الخير لأنفسهم ولقومهم ثم يؤدون الزكاة المفروضة ولا يبخلون بالمعونة بما ينفع الناس.



نَعَمَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾

شَانِعَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴿ الكوثر: ١ - ٣ ﴾

عن ابن عباسٍ ، قال : لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ ، قَالَتْ لَهُ قَرِيْشٌ : أَنْتَ خَيْرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدُهُمْ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْمُنْبِتِ مِنْ قَوْمِهِ ، يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا ، وَنَحْنُ . يَعْنِي : أَهْلَ الْحَجِيجِ ، وَأَهْلَ السَّدَانَةِ . قَالَ : أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ إِنَّا شَانِعَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [السنن الكبرى للنسائي]

وهناك روايات أخرى ومجمل الروايات كلها أنّ سبب نزول هذه السورة : هو استضعاف النبي ﷺ واستصغار أتباعه، وألشمامة بموت أولاده الذكور ابنه القاسم بمكة وإبراهيم بالمدينة.

فنزلت هذه السورة إعلماً بأنّ الرسول ﷺ قويّ منتصر، وأتباعه الغالبون، وأنّ موت أبناء الرسول ﷺ لا يضعف من شأنه وأنّ مبغضيه هم المنقطعون الذين لن يبقى لهم ذكر وسمعة ولا أثر، البعيدون عن كل خير، المحرومون من أيّ فضل.

ونهر الكوثر هو نهر في الجنة جعله الله كرامة لرسول الله ﷺ ولأمته، أخرج مسلم عن أنس ، قال : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا ، فَقُلْنَا : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : " أَنْزَلْتُ

عَلِيَّ أَنْفَاءً سُورَةٌ " فَقَرَأَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٢﴾ . ثم قال: " أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟ " فقلنا الله ورسوله أعلم ، قال : " فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي ﷻ ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، آيِئْتُهُ عِدَدُ النُّجُومِ ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ ، فَأَقُولُ : رَبِّ ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ : مَا تَدْرِي مَا أَحَدَّثْتُ بِعَدِّكَ " [كتاب الصلاة]

وكما أعطيناك هذا الكوثر فداوم على صلاتك المفروضة والنافلة وأدّها خالصة لوجه ربك وأنحر ذبيحتك وأضحيتك وما هو نسك لك وأهد الهدى (شاة أو بعير مقدم للحرم) وغير ذلك من الذبائح لله تعالى وعلى أسم الله وحده لا شريك له فإنه هو الذي تعهدك بالتربية وأسبغ عليك نعمة دون سواه كما قال تعالى في الآية : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَيَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣ .

إنّ مبغضك أيها النبي وما جنّت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتَر أي الأقل والأذلّ. المنقطع عن خيري الدنيا والآخرة، والذي لا يبقى ذكره بعد الموت كالعامر بن وائل والوليد بن المغيرة وأبي جهل.



التسبب والتحميد والاستغفار عند الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ

فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ

تَوَّابًا ﴿٣﴾ النصر: ١ - ٣

هذه السورة بشارة بالنصر للنبي محمد ﷺ ونعي أجله والاستعداد للانتقال إلى الرفيق الأعلى بمداومة التسبب والتحميد والاستغفار.

النصر الذي رآه رسول الله ﷺ هو : غلبته لقريش وهوازن وغير ذلك، و(الفتح) هو فتح مكة والطائف ومدن الحجاز وكثير من المدن.

عن ابن عباس ، قال : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " نُعِيْتُ إِلَيَّ نَفْسِي بِأَنَّهُ مَقْبُوضٌ فِي تِلْكَ السَّنَةِ " [مسند احمد بن حنبل] ، بقول الله تعالى لرسوله الكريم إذا جاء العرب يدخلون في دين الله جماعات أو فوجاً بعد فوج. بعد ان كانوا في بادئ الأمر يدخلون واحداً واحداً واثنتين فصارت القبيلة تدخل بأسرها إلى الإسلام وتحقق ذلك في العام التاسع والعاشر عام الوفود حيث تابعت الوفود العربية إلى المدينة معلنة إسلامها.

لقد جاء الأمر الإلهي بالتسبيح بعد تحقيق الانتصارات وانتشار الدين الإسلامي وطلب المغفرة من الله تواضعاً لله وأسأله المغفرة لمن تبعك من المؤمنين، فإن الله يتوب على من تاب ويرحم حتى لا ييأسوا ويرجعوا بعد الخطأ.

قال ابن عمر : نزلت هذه السورة في حجة الوداع، ثم نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ المائدة: ٣ فعاش بعدها ثمانين يوماً ثم نزلت آية الكلاله فعاش بعدها خمسين يوماً ثم نزلت ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ التوبة: ١٢٨ فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوماً ثم نزلت ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٨١ ، فعاش بعدها واحداً وعشرين يوماً.

وصلى الله على محمد وآله وأصحابه الذين هاجروا وجاهدوا وربطوا في سبيل الله.



أبو لهب وأمراته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

المسد: ١ - ٥

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : صعدَ النبي ﷺ الصفا ذات يومٍ ، فقال : " يا صَبَاحَاهُ " ، فاجتمعت إليه قريش ، قالوا : ما لك ؟ قال : " أرايتم لو أخبرتكم أنَّ العدوَّ يُصَبِّحُكم أو يُمَسِّيُكم ، أما كنتم تُصدِّقُوني؟" قالوا : بلى ، قال : " فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ " فقال أبو لهبٍ : تبا لك ، ألهذا جمعتنا ؟

فأنزلَ اللهُ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ [صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن]

هلك وخسر أبو لهب وهذا دعاء عليه بالهلاك والخسران ثم أخبر الله تعالى عنه : (وتبَّ) أي وقع فعلاً هلاكه، فقد خسر الدنيا والآخرة، وأبو لهب عم الرسول ﷺ وأسمه عبد العزى بن عبد المطلب وقد كان كثير الأذى والبغض والازدراء لرسول الله ﷺ ولدينه.

أخبر الله تعالى في هذه السورة :

لم يُدفع عن أبي لهب البلاء ما جمعه من المال ولا ما كسب من الأرباح والجاه والولد ولم يفده ذلك في دفع ما يحل به من الهلاك وما ينزل به من العذاب لشدة معاداته لرسول الله ﷺ، وصدَّ الناس عن الإيمان، سيدوق نار جهنم ذات

اللهب المشتعل وتصلى أمراًته أيضاً أُنار وهي أم جميل (أروى بنت حرب) أخت أبي سفيان، عمة معاوية بن أبي سفيان وكانت أم جميل مؤذية لرسول الله والمؤمنين بلسانها وعملها، قال ابن عباس : كانت تجيء بالشوك فتطرحة في طريق النبي وطريق أصحابه فبذلك سميت حمالة الحطب، وقيل ان قوله (حمالة الحطب) استعارة لذنوبها التي تحطبها على نفسها وقيل المراد انها كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنميمة انه يحمل الحطب.

﴿ فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ أي في عنقها حبل مفتول من الليف من مسد النار وقد صورها الله في حالة العذاب بنار جهنم بصورة حالتها في الدنيا عند النميمة وحينما تحمل حزمة الشوك وتربطها في جيدها ثم تلقياها في طريق النبي ﷺ وأصحابه.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ، قالت : لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمَّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ وَلَهَا وَلَوَلَةٌ فِي يَدَيْهَا فَهَزَّتْ (حجر ملء الكف) وهي تقول : مُدْمَمًا أَبِينَا وَدِينَهُ قَلِينَا وَأَمْرَهُ عَصِينَا ، والنبي ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله ، قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك . فقال رسول الله ﷺ : " إِنَّهَا لَن تَرَانِي " وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْجُورًا ﴾ ﴿٤٥﴾ فَوَقَفْتَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبِكَ هَجَانِي . فَقَالَ : لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكَ ، فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ : قَدْ عَلِمْتُ فُرَيْشَ أُنِّي بِنْتُ سَيْدِهَا . [المستدرک علی الصحیحین للحاکم - کتاب التفسیر]

قال سعيد بن المسيب : كانت لأم جميل قلادة فاخرة فقالت : واللات
والعزى لأنفقها في عداوة محمد فأعقبها الله حبلاً في جيدها من مسد النار .

لو كان لأبي لهب وأمراة عقلٌ واعٍ وعلمٌ كافٍ وحظٌّ من التحضر والتمدن
لما كان لهما مثل هذا العذاب . فشدّة العناد والأيذاء مصدره تراكمات جاهلية
ووثنية وتقاليد موروثة والحرص على الزعامة والسيادة .

اللهم اجعل القرآن العظيم مربي قلوبنا ونور حياتنا واجعله حجة لنا لا حجة علينا
وامرض عنا وأدخلنا الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين

* * * * *

الخاتمة

اللهم اجعل القرآن العظيم نور صدري وربيع قلبي، وجلاء همي
وحزني وقائدي إلى جنتك جنات النعيم.

اللهم علمني منه ما جهلت وذكرني منه ما نسيت وارزقني
تلاوته أثناء الليل وأطراف النهار برحمتك يا أرحم الراحمين.

شكري وتقديري لليد البيضاء التي ساعدتني في كتابة وترتيب
موضوعات هذا الكتاب القيم فأخرجته بصورة جيدة ((الست ميسون
إبراهيم سليمان)) ودعاؤنا جميعاً لها بالموفقية ورضا الرحمن عنها،
وأن يجعل يداها ممدودتان للخير دائماً وأبداً..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين



المصادر

- القرآن الكريم .
- ١- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري.
 - ٢- تفسير المراغي / أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير . أحمد مصطفى المراغي . رحمه الله
 - ٣- الجامع لأحكام القرآن / تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . تحقيق : عبد الرزاق مهدي.
 - ٤- صفوة التفاسير / تأليف العلامة محمد علي الصّابوني.
 - ٥- التفسير الواضح الميسر / للشيخ محمد علي الصّابوني.
 - ٦- التفسير الوسيط / أ.د. وهبه الزحيلي.
 - ٧- التفسير الموضوعي للحافظ المتقن مع أسباب النزول وشرح المفردات بهامش القرآن الكريم.
 - ٨- مختصر تفسير الطبري / يحيى محمد بن حمادج النجيبى المتوفى سنة (٤١٩هـ).
 - ٩- تفسير الإمامين الجليلين / العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، والحبر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
 - ١٠- زبدة التفاسير / لفضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي، أعده وعلق عليه وقدم له / عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي.
 - ١١- تفسير القرآن الكريم - أولى ما قيل في آيات التنزيل / تأليف رشيد الخطيب الموصلي.

- ١٢- تفسير ابن أبي حاتم.
- ١٣- أسباب التنزيل للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفي سنة (٤٦٨ هـ).
- ١٤- الصحيح البخاري / للعلامة المدقق أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه وأرضاه.
- ١٥- صحيح مسلم / أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري بشرح النووي . الإمام الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى ابن شرف.
- ١٦- مسند أحمد بن حنبل.
- ١٧- السنن الكبرى للبيهقي.
- ١٨- السنن الكبرى للنسائي.
- ١٩- سنن أبي داود / للإمام الحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني الأزدي - ضبط الأحاديث وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد.
- ٢٠- سنن ابن ماجه / الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ) - حقق نصوصه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٢١- سنن الترمذي الجامع الصحيح / للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . حققه وصححه عبد الوهاب اللطيف.
- ٢٢- دلائل النبوة للبيهقي.
- ٢٣- المستدرک على الصحيحين للحاكم.

- ٢٤- معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني.
- ٢٥- المناسك لابن أبي عروبة.
- ٢٦- المفردات في غريب القرآن / الراغب الاصفهاني في ضبطه
وراجعه محمد خليل عيتاني.
- ٢٧- لطائف قرآنية / صلاح الخالدي.
- ٢٨- شعب الإيمان للبيهقي.
- ٢٩- المعجم الأوسط للطبراني.
- ٣٠- المطالب العالية للحافظ بن حجر العسقلاني.
- ٣١- دلائل النبوة لأبي سعيد الأصبهاني.
- ٣٢- مصنف ابن أبي شيبة.

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٤٢	الإيلاء	١٦	فاتحة القرآن الكريم
٤٤	عدة المرأة المطلقة	٢٠	صفات المؤمنين
٤٧	أحكام الطلاق وحدوده	٢٢	صفات الكافرين
٥٠	آداب الطلاق - ١-	٢٤	صفات المنافقين
٥٢	آداب الطلاق - ٢-	٢٦	الافتراءات الكاذبة
٥٤	آداب الرضاعة	٢٨	وحدانية الله وبرهان ذلك
٥٦	عدة المرأة المتوفي عنها زوجها	٣٠	علاقة المشركين بأهنتهم
٥٧	تحريم التصريح بخطبة المعتدة	٣٢	جزاء كتمان آيات الله
٥٩	الصلاة والحفاظ عليها	٣٤	الله قريب مجيب الدعوات
٦٢	متعة الطلاق ومهر غير المدخول بها	٣٦	الحج وأحكامه
٦٤	آية الكرسي	٣٨	أشهر الحج
٦٧	أحكام الربا	٤٠	تحريم الزواج بالمشركات

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
١٠٢	عدم الخوف من الأعداء	٧٠	أركان الإيمان
١٠٤	كل نفس ذائقة الموت	٧٢	يسر التكاليف الشرعية
١٠٦	الإعلام الديني	٧٥	وفد نجران/ وبيان صفات الله الخارقة وعلمه الدقيق الشامل
١٠٩	التأمل والتفكر والعقيدة	٧٧	المحكم والمتشابه في القرآن
١١٢	أحكام التوبة	٧٩	حب الدنيا
١١٤	المحرمات من النساء في الزواج	٨١	الشهادة العظمى بوجود الله ووحدانيته
١١٧	إعطاء الحقوق لأصحابها - وتحريم التبني	٨٣	موالاة الأعداء
١٢٠	حياة الأسرة في الإسلام	٨٥	غزوة أحد
١٢٢	العلاقات الاجتماعية في الإسلام	٩١	إرشاد المؤمنين للخير
١٢٥	صلاة الخوف	٩٣	إتخاذ الأسباب لتحقيق العقبة الطيبة
١٢٧	ولله ما في السموات وما في الأرض	٩٥	الأخلاق النبوية
١٢٩	عدم مجالسة المستهزئين بآيات الله	٩٧	المقومات الإسلامية / آية الاغلال
١٣١	صفات المسيح في القرآن الكريم	٩٩	آية الشهداء والمجاهدين عند ربهم

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
١٦٥	مظاهر قدرة الله تعالى	١٣٤	الطعام المحرم على المؤمنين
١٦٧	الله تعالى وحده عالم الغيب	١٣٨	إحلال الطبيبات والزواج من الكتابيات
١٦٩	الله خالق كل شيء	١٤١	الرسالة النبوية
١٧٢	الإسلام دين الحق والهداية	١٤٣	إنكار الشرك بالله تعالى
١٧٤	إنذار من الله تعالى للكافرين	١٤٥	قصة هابيل وقابيل
١٧٦	أهل البدع والضلالات	١٤٧	جزاء الذين يعتدون على أولياء الله
١٧٨	إتباع القرآن الكريم	١٤٩	حكم السارق والسارقة
١٨٠	الموازن القسط	١٥٢	الذين يسارعون في الكفر
١٨٢	لباس التقوى	١٥٤	آية الأمر بتبليغ الرسالة
١٨٤	عاقبة الكذب على الله تعالى	١٥٧	كفارة الأيمان
١٨٧	جزاء المكذبين بآيات الله	١٥٩	البيت الحرام والشهر الحرام
١٨٩	جزاء المصدقين بآيات الله	١٦١	الخبيث والطيب
١٩٢	الدعاء من الله تعالى	١٦٣	أحكام العرب في الجاهلية

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٢٣٥	الزكاة - أأد أركان الإسلام	١٩٦	النهج القويم والصراط المبين في معاملة الناس
٢٣٧	المنافقون والمنافقات	١٩٩	القرآن والذكر الحكيم
٢٣٨	المؤمنون والمؤمنات	٢٠٢	صفات المؤمنين الخمس التي تدل على التقوى
٢٤٠	مسجد الضرار ... ومسجد التقوى	٢٠٥	غزوة بدر الكبرى
٢٤٤	أمر عام لأمة محمد ﷺ بالجهاد في سبيل الله	٢١١	وما النصر إلا من عند الله
٢٤٦	بالمؤمنين رءوف رحيم	٢١٣	مؤامرة المشركين ونية الغدر بالرسول ﷺ
٢٤٨	لمن النار؟ ولمن الجنة؟	٢١٥	وما كان الله معذبهم وأنت فيهم
٢٥٠	دعاء الناس بالشر على أنفسهم	٢١٧	الغنائم وقسمتها
٢٥٢	إهلاك الكفار واستخلاف غيرهم	٢٢١	الاستعداد لحرب الكفار
٢٥٤	قوم يونس عليه السلام	٢٢٤	المجد والعزة والنصر من الله
٢٥٧	عبادة الله تعالى	٢٢٨	الشرك الباطل
٢٦٠	إن الحسنات يذهبن السيئات	٢٣١	نور الله المبين
٢٦٣	دعاء إبراهيم عليه السلام	٢٣٢	الأشهر الحرم والنسيء

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٣٠٨	استئصال الظالمين	٢٦٦	وعيد للظالمين ... وإيناس للمظلومين
٣١٠	قدرة الله تعالى	٢٦٩	إقامة الحق المطلق والعدل الشامل
٣١٥	طي السماء وإرث الأرض	٢٧٢	ماذا أعد الله للمتقين؟؟
٣١٨	زلزلة الساعة	٢٧٦	إعلان الدعوة والجهر بها
٣٢٠	صفات الفلاح لمن جمع خصال الخير الست	٢٧٩	حلاوة القرآن
٣٢٣	حديث الإفك	٢٨٣	توحيد الله وبر الوالدين
٣٣٠	فضل الله في تنوير الكون سمائه وأرضه	٢٨٧	الإحسان إلى ذوي القربى
٣٣٢	صفات عباد الرحمن	٢٩١	تحريم القتل والزنا وأكل مال اليتيم وإيذاء الكيل
٣٣٧	من وصايا لقمان (الله واحد لا شريك له)	٢٩٥	التثبت من المعلومات
٣٤٠	من وصايا لقمان (طاعة الوالدين وبرهما)	٢٩٧	الصلاة (صلة العبد بربه)
٣٤٢	من وصايا لقمان (إقامة الصلاة مع أوامر أخرى)	٣٠١	نزول القرآن بالحق
٣٤٤	مفاتيح الغيب	٣٠٣	الغفلة عن الحساب
٣٤٧	أولوا العزم من الرسل	٣٠٦	من هم الأنبياء؟؟ بشر أم ملائكة؟؟

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٣٨١	القرآن الكريم وعظمته	٣٤٩	البعث والنشور
٣٨٣	وحدة الصفوف	٣٥١	صلح الحديبية
٣٨٥	تجارة النجاة	٣٥٥	محمد رسول الله
٣٨٧	القدرة الإلهية	٣٥٧	فض النزاع
٣٨٩	أهوال يوم القيامة	٣٥٩	حال المتقين ونعيمهم
٣٩٠	حال الأبرار يوم القيامة	٣٦٢	إثبات التوحيد وقدرة الله تعالى
٣٩٣	حال الفجار يوم القيامة	٣٦٤	إن عذاب ربك لواقع
٣٩٥	تعداد النعم الإلهية	٣٦٧	فرحة المؤمنين
٣٩٧	نعم الله على الإنسان	٣٧٠	إثبات ظاهرة الوحي
٣٩٩	التطفيف في الكيل والميزان	٣٧٣	قدرة الله وسعة ملكه مع صفات المحسنين والمشركين
٤٠٢	كيف خلق الله الإنسان	٣٧٦	الحض على خشية الله والصدقات
٤٠٦	البشرى والطمأنينة ... (ما ودعك ربك وما قلى)	٣٧٨	حال الدنيا وحقيقة الآخرة
٤١٠	أول آية نزلت من القرآن العظيم على قلب نبينا محمد ﷺ	٣٨٠	المصيبة والقدر

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٤٢٦	الويل للمكذب والبخيل واللاهي عن صلواته	٤١٣	ليلة القدر
٤٢٩	نعم الله على نبيه	٤١٦	علامات يوم القيامة ونوع الجزاء
٤٣١	التسبيح والتحميد والاستغفار عند الفتح	٤١٨	جسر النجاة
٤٣٣	أبو لهب وامرأته	٤٢٠	الهمز واللمز
٤٣٦	الخاتمة	٤٢٢	قصة أصحاب الفيل
٤٣٧	الفهرس	٤٢٤	نعم الله على قريش

البطاقة الشخصية للشيخة الموصلية

ولدت في الموصل الحدباء وتخرجت من معهد إعداد المعلمات وعينت في محافظة الانبار أولى محطات مسيرتي التعليمية التي لم تتوقف بتقاعدي بعد خمس وعشرين سنة من الخدمة في مجال التعليم .

وأحظى بحياة أسرية مستقرة ولي ولدان وثلاث بنات ، بدأت بتدريس التربية الإسلامية بعد دورات تقيت فيها أحكام التلاوة ، فأصبح شغلي وشاغلي هو ضبط هذه الأحكام وقراءة القرآن الكريم بالصورة التي قرأ بها رسول الله ﷺ من رب العزة ، وقد كنت استعين بجهاز التسجيل لتسجيل المقرر على الطلبة من القرآن الكريم على كاسيتات يستمع إليها الطلبة ثلاث مرات ، وقد سر مشرفوا التربية الإسلامية بهذا العمل وأخص منهم بالذكر الشيخ المرحوم (يونس إبراهيم الطائي) الذي كلفني مرات عديدة بإلقاء دروس تدريبية للمعلمين والمعلمات ، وكذلك الأستاذ الفاضل (ضرار جاسم محمد) المشرف التربوي والاختصاصي للتربية الإسلامية الذي كنت أعتد عليه في انتقاء مواضيع الوسائل التعليمية والنشرات الخاصة بالمدارس .. ويشجعني على عمل المعارض الإسلامية ، فكان سنداً وأخاً عزيزاً ، وكانت الوسيلة العلمية والنشرة المدرسية تحوز على المرتبة الأولى بين المدارس المشاركة في نينوى كانت أم في بغداد .

قيل لي انك امرأة متعددة المواهب ؟

نعم ... كان من المهم بالنسبة لي أن أتمكن من التأثير في بناتي وأبنائي الطلبة وأتمكن وأمكن نفسي دون الحاجة إلى غيري من التمكين ، فأنا ماهرة في الخياطة والتطريز ، دخلت دورة لتعليم السيراميك والنقش على الجلود وطرق المعادن وكانت مدة الدورة أربعة شهور ، حصلت فيها على تقدير متميز بتشجيع من مشرفي التربية الفنية ، وأقامت عدة معارض فنية في التطريز والزخرفة والسيراميك في عدد من مدارس مدينة الحدباء واجتهدت في توظيف تلك الفنون

إسلامياً في تلك الفترة وما بعدها بما تحتويه اللوحات الخطية والزخارف والرسوم من معلومات دينية وآيات قرآنية وأحاديث شريفة ... منها معرض (الأخلاق الإسلامية) ومعرض (قصص الأنبياء في القرآن الكريم) ومعرض (الله خالق كل شيء) وكذلك معرض خاص بالرحلات التاريخية (الحج إلى بيت الله الحرام) ومعرض (مساجد الموصل وجوامعها) وقد أعلن عنها في حينها في العديد من الصحف والمجلات منها جريدة الحدياء وفتى العراق وومضات جامعية ومجلة العلا .

إلى أن من الله عليّ بمتابعة برنامج (كيف نقرأ القرآن) الذي يقدمه الدكتور أيمن رشدي سويد على قناة اقرأ الفضائية ، كنت أدون المعلومات وأراجعها وعرضت تلاوتي على الشيخ الدكتور أيمن ، وكنت أول متصل من العراق بهذا البرنامج ، فأثنى على قراءتي وأصبح القرآن ملازماً لي في كل تفاصيل حياتي .. استحضر في قلبي وذاكرتي قول الله عز وجل ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ وحاولت وما أزال أن استكمل معلوماتي في هذا الباب الواسع من أبواب العلم يحدوني في ذلك قول رسول الله ﷺ ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) أحفظ القرآن فحراً عملاً بقوله تعالى : ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ .

قرأت على الشيخ عبداللطيف خضر الصوفي . أطال الله في عمره . فأجازني بقراءة حفص عن عاصم في السادس من جمادي الثاني ١٤٢٤ هـ ، وأكملت قراءة شعبة الراوي الأول عن عاصم وقرأت بالرواية على الدكتور الشيخ بشير شكر حنون فأجازني بقراءة حفص وشعبة ... أقبلت بعدها على إعطاء دروس أحكام التلاوة في جوامع الموصل ، وكان لي من الطالبات في كل جامع ما يزيد على خمسين طالبة ، أجزت عدداً منهن حفظاً وقرأة .

أما عن القراءات السبع والعشر ؟

بدأت بدراستها في محرم ١٤٢٦ هـ وقرأت على الشيخ محمد نوري المشهداني فأكملت أمامه قراءة الجمع الصغير ، وبدأت بقراءة الجمع الكبير إلى الآية : ٢١٩ من سورة البقرة إلا أن الأوضاع الأمنية وصعوبة الانتقال من ساحل إلى آخر مما حال بيني وبين إكمال قراءتي على الشيخ المشهداني فأكملت قراءة الجمع الكبير للائمة السبعة على الشيخ عبداللطيف خضر الصوفي ، وختمت القرآن والتكبيرات يوم الأربعاء ١٤ شوال ١٤٢٦ هـ ، ثم أكملت القراءات العشر الصغرى والكبرى ... والشيخ الصوفي هو الذي لقبني بـ (درة النساء) وقد حاولت تذليل ما اعترضني من الصعوبات بعد أن حملت هذه الأمانة العلمية أمام طالباتي .

إن علم القراءات من أشرف العلوم لصلته بكتاب الله عز وجل ، السراج الذي لا يخبو توقده .. والبحر الذي لا يدرك قعره .. الحمد لله ان جعلني من ورثة القرآن الكريم وقد جاء في الحديث القدسي ((من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)) .

ومن فضل الله عليّ كلفت حسبة لوجه الله تعالى بإدارة ثانوية السيدة عائشة أم المؤمنين الإسلامية للبنات وإدارة مركز خديجة الكبرى لإقراء وتحفيظ القرآن الكريم بفرعيه الأول والثاني .

إصدارات الشیخة الموصلیة (أم نصیر)

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ ﴾

سلسلة أحكام التلاوة بثلاثة أجزاء .

١. أحكام التلاوة للمرحلة التمهيديّة برواية حفص عن عاصم .
٢. تنبيهات خاصة للمرحلة التطويرية .
٣. أحكام التلاوة من قناة اقرأ الفضائية .
٤. رواية شعبة / الراوي الأول لعاصم بن أبي النجود من طريق الشاطبية .
٥. كيف وقف الإمام حمزة على الكلمات المهموزة في القرآن الكريم .
٦. القرآن الكريم وبهامشه قراءة أبي عمرو البصري وبروايتي الدوري والسوسي من طريق الشاطبية .
٧. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام نافع المدني بروايتي قالون وورش من طريق الشاطبية .
٨. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام حمزة بروايتي خلف وخلاد من طريق الشاطبية .
٩. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام ابن كثير المكي بروايتي البزي وقنبل من طريق الشاطبية .
١٠. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام ابن عامر الدمشقي بروايتي هشام وابن ذكوان من طريق الشاطبية .
١١. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام الكسائي بروايتي أبو الحارث والدوري من طريق الشاطبية .

١٢. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام عاصم ابن أبي النجود الكوفي بروايته شعبة وحفص ابن سليمان من طريق الشاطبية .
١٣. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام أبو جعفر يزيد بن القعقاع بروايته ابن وردان وابن جَمَاز من طريق الدرّة .
١٤. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام يعقوب البصري بروايته رويس وروح من طريق الدرّة .
١٥. القرآن الكريم وبهامشه قراءة الإمام خلف بن هشام (العاشر) بروايته إسحاق وإدريس من طريق الدرّة .
١٦. كتاب (فآلآمسوا نوراً) آيات التشريع والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآيات أخلاق وقيم مع شرحها وتفسيرها وأسباب نزولها والأحاديث الواردة في شأنها .
١٧. كتاب (قل - وقل - فقل) الآيات المبتدئة بهذه الكلمات مع شرحها وتفسيرها وأسباب نزولها مدعمة بالأحاديث الصحيحة .
١٨. كتاب (يا أيها الذين آمنوا) الآيات المبتدئة بهذه التسمية مع شرحها وتفسيرها وأسباب نزولها والأحاديث الصحيحة التي وردت في تفسيرها .
١٩. كتاب (اللآلئ الكاسيات) رسالة تذكرة إلى المرأة المسلمة .
٢٠. قصص الحيوان في القرآن / شرح وتفسير أسباب نزول مع الإعجاز العلمي وآيات الله في الحيوان .